

# أدب الوفاة والسفارة

من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر العباسي

---

تأليف

أ.د/ رفعت زكي محمود حفيظ

---

١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك، وعظيم سلطانك •  
وأصلى وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد —  
صلى الله عليه وسلم — وعلى آله الأطهار، وصحبه الأبرار •  
وبعد

فلقد عرف العالم منذ أقدم العصور ألوانا متعددة من وسائل  
الاتصال المباشرة وغير المباشرة، دفعت إليها أسباب الحياة، وما يعترئها  
من حاجات ومشاكل، فكان من هذه الوسائل ما عرفناه من مكاتبات  
ورسائل، وكان منها ما قرأنا عنه مسطورا في الكتب من إيفاد المبعوثين  
 وإرسال الرسل، وما كانت تقوم به جماعات من الأفراد على هيئة وفود  
يتولون بأنفسهم عرض ما يعين لهم من أسباب ودواع لهذه النفرة  
الجماعية •

\* \* \*

فرحلات الوفود " وإيفاد الرسل أمر معروف منذ أقدم العصور لدى  
مختلف الدول والشعوب، ولقد عرف اليونان والرومان هذا الضرب من  
الاتصالات الدولية، وكذلك عرفته الحضارة الصينية القديمة، وعرفه من  
قبل قدماء المصريين " (١) •

\* \* \*

ولم تكن أمة العرب — على امتداد أنحاء الجزيرة العربية واتساع  
أرجائها — أقل من الأمم المجاورة لها في هذا المجال ، بل إنى أراها

(١) سفراء النبي — صلى الله عليه وسلم — وكتابه ورسالته • د/ مختار الوكيل ص ٦  
سلسلة كتابك ٩٦ — دار المعارف بمصر ١٩٧٨ •

احتياجاً لهذا اللون من الاتصالات؛ نظراً لضبيعة الأرض، وظروف  
بأه، وقسوة العيش، وغلظ بعض النفوس وجفائها، وكثرة المشاكل  
بأسية والاجتماعية، وما كانت تعكسه الحياة القبلية من ملابسات.

وكانت الكلمة هي فارس الحلبة في هذا اللون من الاتصال  
وبة كانت أم منقولة مشافهة، ولقد حظيت المكائيات باهتمام الباحثين  
تتاولوه من دراسة لفن المراسلات والمكائيات. بينما لم تحظ الكلمة  
تولة مشافهة بمثل هذا الاهتمام، على الرغم من كثرة النصوص  
زدة في جمهرة من المصادر والمراجع.

وخدمة للغة القرآن الكريم، التي شرفني الله تعالى بفضيلة الانتماء  
، والعمل في ميدان خدمتها، أقدم هذا البحث، متوخياً الكشف عن  
ب من جوانبها المشرقة المضيئة المليئة بصور البين، المفعممة بالأوان  
نالي.

ولست أدعى فيه إبداعاً أو ابتكاراً، فمادته — كما أشرت — ماثولة  
بطون الكتب، ولكني بذلت جهداً في جمعها وترتيبها، وبيان أسرارها  
بالية والفنية، وسبقت إلى الكتابة فيه، فهو — بإذن الله — بادرة طيبة  
و أن أوفق في تقديمها إلى المكتبة العربية .

ولقد نوه القرآن الكريم بالوفادة في أكثر من آية . قال تعالى  
مبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً، وتؤني بأهلِكُم  
مين (١) وقال : "ولما وَرَدَ ماء مَدْيَنَ (٢) وَقَالَ : يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ  
الرحمنَ وَفِدًا ونسوق المجرمين إلى جهنمَ وَرْدًا (٣) .

• وصف / ٩٣ .

• قصص / ٢٣ .

• ريم / ٨٦، ٨٥ .

وهذا البحث يتناول أدب الوفادة والسفارة ، حيث قام رجال ونساء بهذه المهمات معبرين بالأساليب العربية البراقة المؤثرة، وبمقطوعات أدبية كان لها فعل السحر فى تحقيق مأربهم، وبلوغ أهدافهم التى ابتغسوا أو وفدوا من أجلها، ولعل فى قول عبد الله بن جعفر الطالبي (١)

إِذَا كُنْتُ فِي حَاجَةٍ مُرْسِيلاً      فَارْسِلْ حَكِيمًا وَلَا تُوصِهِ  
وَإِنْ بَابُ أَمْرِ عَلَيْكَ التَّسْوَى      فَشَاوِرْ لَيْبِيًّا وَلَا تَعْصِهِ

أقول: لعل فى هذا القول ما يلقى الضوء على شخصية هؤلاء الأدباء الذين كانت لهم صفات تفرّدوا بها، وأهلتهم للقيام بما كلفوا — أو تطوعوا — للقيام به . مما سألقى عليه الضوء فى مكانه من البحث إن شاء الله تعالى .

وإنى إذ أقدم هذا البحث للقارئ العربى، أرجو أن أكون قد أسهمت فى فتح نافذة نطل منها على بستان أدبنا العربى، نتسّم أريج أفنائه العطرة، التى تتناغم مزهّوة بعبق تراثنا الأصيل، ومتخذين منه دليلاً على درب المستقبل الوضى الذى تفيض جوانبه بالإشراق والازدهار، مسابرين ركب الحضارة الذى يمضى مسرعاً يسابق الزمن أخذين فيه بنصيبنا فى موكب الرقى البشرى .

والله — تعالى — أسأل أن يكتب لنا التوفيق، ويتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به، ويجعله قيساً يضىء سبيل السارين فى دنيا المعرفة — إنه سميع مجيب، والله من وراء القصد، وهو الهادى إلى سواء السبيل .

د/ رفعت زكى محمود عفيفى

القاهرة — مارس ١٩٩٨ م

(١) الموشح (مأخذ العلماء على الشعراء) . أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزبانى ص ١٥ ط ٢ — القاهرة ١٣٨٥ هـ — المطبعة السلفية .

# **الباب الأول**



## **الوفادة والسفارة**

**وأشهر الوفادات والسفارات**

## **الفصل الأول**



## **بين الوفادة والسفارة**

## الفصل الأول

### بين

### الوفاءة والسفارة

لكي يتضح المعنى المقصود من هذين اللفظين، ويتم التعرف على أبعادهما اللغوية والاصطلاحية، والإحاطة بما يدور في فلكهما من ألفاظ أخرى تؤدي المعنى المقصود من أى منهما، أو تسهم في القيام بنفس الوظيفة، وما قد يعرض للقارئ من ألفاظ تجري في حليتهما، أو نصوص تدور في إطارهما.

لذا نعرض لهذين المصطلحين وما جاء عنهما في المعاجم، حتى نتبين في جلاء ووضوح ما يرمى إليه كل منهما، وما يدور مدارهما من ألفاظ أخرى :

### الوفاءة و السفارة لغة واصطلاحاً

الوفاءة: تناولت المعاجم هذه اللفظة من حيث دلالتها اللغوية بما

يأتى:

#### ١ - القاموس المحيط ( ) :

وَفَدَ إليه ، وعليه: يَفِدَ وَفْدًا وَوَفُودًا وَوَفْدَةً وَإِفَادَةً : قِيم، وَوَرَدَ وَأَوْفَدَهُ عَلَيْهِ وَإِلَيْهِ، وَهُمْ وَفُودٌ وَوَفَدَ وَأَوْفَادٌ وَوُفِدَ.

والوفاد: السابق من الإبل، والقطا سائرهما، والمرتفع من الخدّ عند المضغ، ومن شاب غاب وإفده .  
ووافد: حى، والإيفاد: الإشراف، كالتوفد، والإرسال كالتوفيد ورفع الریم رأسه، ونصبه أذنيه، والإسراع والارتفاع .  
والوفد: ذروة الحبل من الرمل المشرف، والمستوفد: المستوفز .  
وبنو وفدان : حى . والأوفاد: قوم، وهم على أوفاد: على سفر .

• • •

## ٢- وفى لسان العرب : ( )

قال الله تعالى : "يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا" قيل:  
 الوفد: الركبان المكرّمون . الأصمعي: وقد فلان يفد وفادة: إذا خرج إلى ملك أو أمير . ابن سيده: وقد عليه وإليه يفد وفدا ووفادة وإفادة (على البذل) قديم ، فهو وافد .

قال سيبويه: وسمعناهم ينشدون بيت ابن مقبل:

إلا الإفادة فاستولت ركائبنا عند الجبابير بالأساء والنّعم

( وقد عبر ابن مقبل عن الوفادة — بالإفادة ) .

وأوفده عليه، وهم الوّفد والوفود، فأما الوفد فاسم للجمع، وقيل:  
 جمع، وأما الوفود، فجمع وافد . وقد أوفده إليه .

ويقال : وقد الأمير إلى الأمير الذى فوقه { وأوفد فلان إيفلدا: إذا

أشرف }

الجوهري: وفد فلان على الأمير ، أى: ورّد رسولا، فهو وافد .

وجمع الوفد: أوفاد ووفود .

( ) لسان العرب {ابن منظور الإفریقی المصرى الإمام العلامة أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور } مجلد ٦ ص ٤٨٨ دار المعارف ، مجلد ٣ ص ٤٦٤ ، ٤٦٥ دار صادر / لبنان .



وأوفدته أنا إلى الأمير: أرسلته  
والوافد من الإبل: ما سبق سائرها، وقد تكرر الوفد في الحديث  
وهم القوم يجتمعون فيردون البلاد. واحدهم وافد .  
والذين يقصدون الأمراء لزيارة واسترفاد وانتجاع وغير ذلك  
والإيفاد : الإسراع . وفي الحديث : وَفَدَّ اللهُ ثَلَاثَةَ . وفي حديث الشهيد:  
فَإِذَا قَتَلَ فَهُوَ وافدٌ لسبعين يشهد لهم .

وقوله: أجزوا الوفد بنحو ما كنت أجزهم . وتوفدت الإبل  
والطير: تسابقت، وأوفد الشيء: رفعه . وأوفد هو : ارتفع . وأوفد الريم:  
رفع رأسه ونصب أذنيه . قال تميم بن مقبل :  
ترأعت لنا يوم السيار بفاحم      وسنة ريم خاف سمعا فأوفدا  
وركب موفد: مرتفع . وفلان مستوفد في قعدته . أى : منتصب  
غير مطمئن كمستوفز ، وأثبت على أوفاد: أى على سفر قد أشخصنا، أى:  
أفلقنا .

والإيفاد على الشيء: الإشراف عليه، والإيفاد: الإسراع، وهو فى  
شعر ابن أحرر .

والوفد : ذروة الحبل من الرمل المشرف . والوافدان: اللذان فى  
شعر الأعشى هما: الناشزان من الخدين عند المضغ، فإذا هَرَمَ الإنسان  
غاب وافده، ويقال للفرس: ما أحسن ما أوفد حاركه . أى: أشرف .  
وأشد

نرى العلاقى عليها موفدا  
كأن برجا فوقها مشيدا

أى مشرفا . والأوفاد: قوم من العرب، وقال:

فَوَ كُنْتُمْ مَنَا أَخَذْتُمْ بِيَأْسَنَا وَلَكِنَّمَا الْأَوْفَادُ أَسْفَلُ سَافِلٍ

وَوَافِدٌ • اسم • وِينُو وَفْدَانٍ : حَيٍّ مِنَ الْعَرَبِ  
نَشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ:

إِنْ بَنَى وَفْدَانٌ قَوْمَ سَكَّ  
مِثْلَ النِّعَامِ، وَالنِّعَامُ صُكَّ

• • •

٣- وَفَى الْمَصْنُوحِ الْمُنِيرِ (١) :

{وَفِدَ} عَلَى الْقَوْمِ وَفْدًا، مِنْ بَابِ وَعَدَ • وَ {وَفُودًا} فَهُوَ {وَوَافِدٌ}، وَقَدْ  
يَجْمَعُ عَلَى {وَوَافِدٍ} وَعَلَى {وَفِدَ} مِثْلُ صَاحِبٍ وَصَحْبٍ: وَمِنْهُ  
: {لَحَاجٌ وَفْدٌ لِلَّهِ}، وَجَمَعَ الْوَفْدَ {أَوْفَادٌ وَوَفُودٌ} •

• • •

٤- وَأُورِدَ صَاحِبَ (تَاجِ اللُّغَةِ وَصَحَابِ الْعَرَبِيَّةِ) الْمَسْمُومِ

بِالصَّحَابِ (٢) :

{وَفِدَ} وَقَدْ فَلَانٌ عَلَى الْأَمِيرِ، أَيْ وَرَدَ رَسُولًا، فَهُوَ وَافِدٌ، وَالْجَمْعُ  
وَقَدْ مِثْلُ صَاحِبٍ وَصَحْبٍ • وَجَمَعَ الْوَفْدَ: أَوْفَادٌ وَوَفُودٌ، وَالْإِسْمُ: الْوَفَادَةُ  
وَأَوْفَدْتُهُ أَنَا إِلَى الْأَمِيرِ: أَيْ أَرْسَلْتُهُ •

وَالْوَفْدُ مِنَ الْإِبِلِ: مَا سَبَقَ سَائِرَهَا •

وَالْإِفَادُ عَلَى الشَّيْءِ: الْإِشْرَافُ عَلَيْهِ • وَقَالَ:

تَرَى الْعِلَافِيَّ عَلَيْهَا مُوفِدًا  
كَأَنَّ بَرْجًا فَوْقَهَا مَشِيدًا

(١) الْمَصْنُوحُ الْمُنِيرُ • جـ ٣ ص ٣٤٣ — أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَنِي الْمَقْرِزِيُّ الْقِيُومِيُّ  
(ت ٧٧٠هـ) ط مصطفى الحلبي / مصر •

(٢) تَاجُ لُغَةِ وَصَحَابِ الْعَرَبِيَّةِ (الصَّحَابُ) جـ ٢ ص ٥٥٣ — إِسْمَاعِيلُ بْنُ حَمَادٍ  
الْجَوْهَرِيُّ، تَحْقِيقُ / أَحْمَدُ عَبْدُ الْغَفُورِ عَطَّار • ط ١٩٨٢ / نَهْضَةُ •

- ويقال للفرس: ما أحسن ما أوفد حاركه، أى أشرف .
- والإيفاد أيضا : الإسراع .
- والوفد : ذورة الحبل من الرمل المشرف .
- • •

٥- وزاد المعجم الوسيط على ما سبق (١):

(استوفد) فلانا: طلبه أن يقدم عليه . واستوفده: أرسله وفداً إلى

الغير .

و (الوفد) : جمع الوافد، و (الوفد) : جماعة مختارة للتقدم فى لقاء  
ذوى الشأن . (ج) وفود . وجاعت مادة (وفد) فيه على النحو التالى (٢):

(وفد) على القوم وإليهم — (يفد) وفداً ووفودا، ووفادة: قديم .  
و... وورد رسولاً، فهو وفد (ج) : وفود ووفد وأوفاد ووفد .  
(أوفد) أسرع . و... الشيء: أشرف وارتفع، و... الرنم رفع  
رأسه ونصب أذنيه . و... الشيء: رفعه، و... فلاناً على الأمير  
وإليه: أرسله .

و(أوفده) على الأمير: وفد معه .  
و (وفده) على الأمير وإليه: أرسله .  
و (توافد) القوم عليه: قديموا ووردوا .  
و (توقد) عليه: أشرف، و... الطير والإبل: تسابقت  
و (استوفد) فى قعدته: ارتفع وانتصب .

(١) المعجم الوسيط / ج ٢ ص ١٠٥٨ — لجنة من إبراهيم مصطفى وأخريين .  
ط/المكتبة العلمية بطهران .  
(٢) المعجم الوسيط ج ٢ ص ١٠٤٥ .

و.....فلانا: طلب أن يقدم عليه . و.....أرسله وفداً إلى الغير  
(الأوفاد) يقال: نحن على أوفاد قد أشخصنا: أى على سفر قد أفلقنا.  
(الوافد) : المرتفع الناشز من الخد عنه المضغ، وهما وافدان .  
و..... من القطا والإبل: ما سبق سائرها .  
(الوفاد) الكثير الوفود . (الوفد) جمع الوافد .  
و(.....) : جماعة مختارة للتقدم في لقاء ذوى الشأن .  
(ج) : وفود .  
و(.....) ذروة الحبل من الرمل المشرف (ج) وفود وأوفاد .  
\* \* \*

#### ٦- وبين صاحب {أسرار الحماسة} (١)

المقصود بالوفد ، فيقول: الوفد اسم في الأصل للركبان يسيرون  
لزيارة ملك، أو استرفاد أمير، أو انتجاع لخصب. أو ما أشبه ذلك .

\* \* \*

وبالنظر فيما سبق عرضه، نجد أن لفظة (الوفادة) هي كلمة دالة  
على الجماعة من القوم — يسمون الوفد — يخرجون إلى ملك أو أمير أو  
عظيم، لأداء أمر ذي شأن ، يتعلق بهم أو بقومهم. كعرض قضية، أو  
الدفاع عن اتهام، أو لأمر من الأمور الاجتماعية، كتهنئة على منزلة، أو  
حدث سار، أو لطلب عون واسترفاد، أو لطلب زواج، أو ما يشبه ذلك .

وقد احتوت المادة اللغوية — أيضا — على بعض ما ينبغي أن  
يكون عليه أفراد الوفد من صفات وخصائص، كالحوية والنشاط في أداء  
مهمتهم ، فهم يتسمون بالإسراع (كما جاء في القاموس) ، كما أنهم من

(١) أسرار الحماسة جـ ١ ص ٣٩ السيد على المرصفي — ١٩١٢/١ — القاهرة  
مطبعة أنى البول .

علية ، فيهم الارتفاع والإشراف (كما جاء فى لسان العرب)، حتى ثلاثم منزلتهم من يسعون إليه، فهم ليسوا من عامة الناس، بل من أشرف قبيلتهم ونبهائهم، والمستحقين للتقدم على من سواهم، ففيهم صفات السبق والإشراف والارتفاع.

ولعل فيما أضافه (المعجم الوسيط) من تعبير خير دليل على ما أقول، حيث عرف الوفد بأنه (جماعة) ثم وصف هذه الجماعة بأنها (مختارة) ، والاختيار لا يكون إلا بانتقاء أفضل العناصر وأرقاها فى القبيلة أو المجتمع؛ لأنهم بصدد التقدم للقاء ذوى الشأن والمنزلة.

والوفد مرآة قومه، فإذا كانوا نابهيين، رفع ذلك من قدر ذويهم وكان عامل اقتتاع لمن يفدون عليه .

كما ينبغى أن يكون أفراد الوفد على درجة عالية من اللباقة وحسن إدارة الحوار، والتمكن من ناصية اللغة والمقدرة البيانية، والنباهة والذكاء، والإلمام بأبعاد ما أوفدوا من أجله، ومعرفة كل أسرار وخفاياه وأبعاده .

وكل عضو من أعضاء الوفد يلزم أن يكون حكيما أريباً، كما سبق . أوردته فى أبيات عبد الله بن جعفر الطالبي .

هذا، وقد جاء فى بعض النصوص المنعلقة بالوفادة التعبير بلفظ 'القدوم'، فجاءت بعض الروايات مصدرة بلفظ (قدم) أو (أتى) بدلا عن 'وفد'، وهو ما يؤدى نفس المعنى والغرض .

أما (السفارة)، وهى الشق الثانى من هذا البحث، فقد تناولتها عاجم اللغة ، بما يأتى:

## ١- القاموس المحيط (١) :

و..... رَجُلٌ سَفَرٌ، وَقَوْمٌ سَفَرٌ وسافرة وأسفارٌ وسَفَّارٌ: ذوو سفر  
لضد الحضر.

والمسافر: المسافر . لا فعل له، والقليل اللحم من الخيل، وبسهاء:  
أمة من الروم . كأنه لبعدهم وتوغلهم في المغرب، ومنه الحديث: لسولا  
أصوات السافرة لسمعتم وجبة الثمن.

والمسفر: الكثير الأسفار، والقوي على السفر .  
وقد سَفَرَه يسفره وأسفره وسَفَّرَه .

وسفر بين القوم: أصلح . يسفر ويسفر سَفَّرا وسَفَّارة وسَفَّارة فهو

سفير .

وسَفَّرَه تسفيرا: أرسله إلى السَفَر، وتسَفَّر: أتى بسَفَرٍ

.... وتسَفَّرَ شيئا من حاجته: تداركه .

وتسَفَّرَ فلاناً: طلب عنده النَّصَف من تعة كانت له قَبْلَه

السفير: .... والقِيم بالأمر المصلح له .... والرجل الظريف

والعقري الحاذق بصنعتة .

السَفَر: (بلاهاء) قطع المسافة (ج) أسفار

وسافر إلى بلد كذا يسفارا ومسافرة : مضى

\*\*\*

## ٢- وفي لسان العرب (٢) :

السفير: ما تسفره الريح من الورق .

والذهاب . من أسفرت الإبل إذا ذهبَت في الأرض . والسَفَر

سفران: سفر الصبح، وسفر المساء .

(١) مادة سفر ص ٥٢٣، ٥٢٢ .

(٢) مجلد ١ ص ٢٠٢٤، ٢٠٢٥ ط دار المعارف - مصر .

السفير: الرسول والمصلح بين القوم . والجمع: سفراء، وقد سافر بينهم بسفير سَفَرًا وسَفَارَةً وسَفَارَةً: أصلح . وفى حديث عليّ أنه قال لعثمان: إن الناس قد استسفرونى بينك وبينهم . أى : جعلونى سفيرا، وهو الرسول المصلح بين القوم .

يقال : سفرت بين القوم، إذا سعت بينهم فى إصلاح "رَأَيْدِي سَفَرَةً". السَّفَرَةُ كَتَبَةُ الملائكة الذين يحصون الأعمال . قال ابن عرفة: سميت الملائكة سَفَرَةً؛ لأنهم يَسِفِرُونَ بين الله وبين أنبيائه .

قال أبو بكر: سُمُّوا سَفَرَةً؛ لأنهم ينزلون بوحي الله وبإذنه . وما يفع به الصلاح بين الناس . فَشَبَّهُوا بالسفراء الذين يصلحون بين الرجلين فيصلح شأنهما .

وفى الحديث: 'مَثَلُ الماهر بالقرآن مَثَلُ السَّفَرَةِ'. هم الملائكة جمع: سافر . والسافر فى الأصل: الكاتب . سُمِّيَ به لأنه يبين الشئ ويوضحه .

قال الزجاج: قيل للكاتب: سافر، وللكتاب: سفر؛ لأن معناه أنه يبين الشئ ويوضحه" (١) .

\* \* \*

### ٣- وفى المصباح المنير (٢):

(سفر): {سفر الرجل سَفَرًا} من باب ضرب، فهو سافر والجمع: سَفَرٌ، مثل : راكب وركب، وصاحب وصحب، وهو مصدر فى الأصل والاسم (السَّفَرُ) بفتحتين، وهو قطع المسافة ، يقال ذلك إذا خرج للارتحال، أو لقصد موضع فوق مسافة العدو، لأن العرب لا يسمون

(١) المرجع السابق جـ ١ ص ٢٦٦ .

(٢) المصباح المنير جـ ١ ص ٢٩٨ .

مسافة العدو سفرًا، وقال بعض المصنّفين: أقل السفر يوم، كأنه أخذ من قوله تعالى: "رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا" فبن في التفسير، كان أصل أسفارهم يوماً... .

ومنه: (سَعَرْتُ) بين القوم أسْفَر — أيضاً — سِفارة . بالكسر: أصلحت، فأنا (سافر وسفير) .

وقيل للوكيل ونحوه: سفير . والجمع سفراء، مثل شريف وشرفاء وكأنه مأخوذ من قولهم: (سفرت الشيء سَفَرًا) من باب ضرب: إذا كشفته وأوضحته؛ لأنه يوضح ما ينوب فيه ويكشفه (١) .

\* \* \*

#### ٤- المعجم الوسيط (٢) :

(سفر) سفورا : وضع وانكشف ..... .

وسفر الرجل سفرا: خرج للارتحال، وسفر الشيء سفرا، كشفه وأوضحه..... .

و(سَفَرَه) : جعله يسافر، ومنه: سفر بين القوم سَفَرًا وسِفارة: أصلح، فهو سافر وسفير ..... .

و(سافر) مسافرة وسفارا: خرج للارتحال(٣)..... .

و(السفير) الرسول..... والمصلح بين قومين .

وفى القانون الدولي: مبعوث يمثل الدولة لدى رئيس الدولة

المبعوث إليها..... .

(١) المصباح المنير ج ١ ص ٢٩٨ .

(٢) المعجم الوسيط ص ٤٣٢ إبراهيم مصطفى وأحرون ط . ناز الدعسوة (تركيا) اسطنبول سنة ١٩٨٦ — توزيع مكتبة الحرم من ناشر ناصر .

(٣) السابق ٤٣٣ .



و استسفره: جعله سفيرا بين قوم وقوم .....  
و (السَّفَارَة) : عمل السفير، و ..... مقامه .

• • • • •

هذا، وقد ورد في بعض النصوص، استعمالُ العَاطِ أحرى تقوم مقام مادة (سفر) مثل لفظ:

(بعث): بعثه يبعثه بعثاً: أرسله وحده، و (بَعَثَ به) : أرسله مع غيره، و ابتعثه أيضاً: أرسله فانبعث .

وفي حديث عليٍّ يصف النبي — صلى الله عليه وسلم —: شهيدك يوم الدين، وبعثتك نعمة... أى مبعوثك الذى بعثته إلى الخلق (١) و (البعث): الرسول... وبعث الجند إلى الغزو .

قال النمر بن تولب لرسول الله صلى الله عليه وسلم :  
إنا أتيناك وقد طال السَّفَرُ نَقُودٌ خِثْلًا ضَمَرًا فِيهَا عَسَرُ  
نُطْعِمُهَا الشَّحْمَ إِذَا عَزَّ الشَّجَرُ وَالْخَيْلُ فِي إِطْعَامِهَا اللَّحْمَ ضَرَرُ (٢)

\* \* \*

وجاء في مادة (بعث) — أيضاً —:  
و (الْبَعَثُ): القوم المبعوثون الْمُشَخَّصُونَ، ويقال هم: البعث .  
يسكون العين، والبعث: يكون بعث للقوم، يُبْعَثُونَ إلى وجه من الوجوه  
مثل السفر والركب .

والبعث في كلام العرب على وجهين:

(١) لسان العرب المجلد الثاني ١١٦ ابن منظور دار صادر بيروت .  
والمجلد الأول ٣٠٧ ابن منظور دار المعارف: مصر .  
(٢) الشعر والشعراء ٢٣/١ (المقدمة) ابن فتيبة . تحقيق / احمد محمد شاكر دار التراث العربى ط ٣ / سنة ١٩٢٧ م .

أحدهما: الإرسال ٠٠٠٠ والالإرسال التوجيه. وقد أرسل إليه .  
والاسم الرَّسالة والرَّسالة ٠٠٠٠ وتراسل القوم: أرسل بعضهم إلى  
بعض<sup>(١)</sup>

فالبعث والإرسال عنده بمعنى. وكنت أتى لفظ (بعث) بمعنى  
الإرسال في المعجم الوسيط، ففيه<sup>(٢)</sup>:  
(بعث): بعثه — بعثا وبعثة: أرسله وحده، ويقال: بعثه إليه وله:  
أرسله .

لكنه حدد الإرسال هنا بقصره على الرسول، دون الجماعة كما  
في لسان العرب، وأراه أدق في الإتيان بمعناه .

• • •

وفي المصباح المنير {مادة : رسل} .  
{ أرسلت رسولا } بعثته برسالة يودها <sup>(٣)</sup> .  
ويعرف الرسول في كتب اللغة بأنه: الذي يتابع أخبار الذي بعثه .  
أخذاً من قولهم: جاءت الإبل رَسَلاً: أي متتابعة .

• • •

وبهذا العرض أكون قد بينت ما جاء في كتب اللغة من دوران  
الكلمات الثلاث: سفر وبعث وأرسل، في دائرة يتغارب فيها المعنى، وهو  
إيفاد شخص مخصوص إلى جهة مخصوصة، أو شخص مخصوص  
لإداء مهمة مخصوصة، مع بيان التفاوت لتيسر لأصحاب هذه الكتب من  
نصرها على شخص واحد أو جماعة. مع بيان اختياري للكلمة (سفر)  
{السفارة} وما تدل عليه من إيفاد شخص واحد، وهو ما ذهب إليه  
لمعجم الوسيط .

<sup>(١)</sup> لسان العرب ١٦٤٤/١ ط دار المعارف، ١١٦ ط بيروت .

<sup>(٢)</sup> المعجم الوسيط (بعث) ٦٢/١ .

<sup>(٣)</sup> المصباح المنير ٢٤٢/١ .

وعليه، فإنى أذهب إلى تعريف اللفظين، مناط هذا المبحث الأول:  
الوفادة والسفارة، كما يلي :

١-**الوفادة**: قيام جماعة قد يكونون رجالا، أو نساء، بالانتقال من مكان إلى مكان آخر، بقصد القيام بأمر خاص لدى كبير أو زعيم . وقد يتحدث عن الوفد متحدث أو أكثر . أما

٢-**السفارة**: فهي قيام شخص يختار طبقا لمواصفات خاصة للقيام بأداء رسالة خاصة لدى ملك أو زعيم أو كبير، وهو الذى يتحدث أو ينقل الرسالة، يرفعها أو يدلى بمضمونها أو ملخصها . ويكون ذلك فى أوقات السلم أو الحرب، بين الدول أو الأفراد .

ونلاحظ أنه لابد من اختيار من يقومون بأداء هذا الأمر موفدين أو رسلا من أفراد نابهيـن ذوى شأن، على قدر كبير من اللباقة والكياسة وحسن الأداء والبيان؛ لأنهم سيواجهون ملوكا أو زعماء أو قادة ، فيلزم أن يكونوا متمتعين بالفصاحة واللسن، ومتحلين بالذكاء وحسن القريحة ويجيدون العرض والرد، ملمين بتفاصيل وأسرار ما من أجله ابتعثوا وأن يكونوا على قدر كبير من راحة العقل والسمت الطيب ، والشكل الحسن، حتى يحوزوا القبول، وينالوا ما يسمح لهم بقضاء ما من أجله تجشموا أهوال السفر وما تحملوا من أداء أمانة <sup>١</sup> حملوا قضاءها .

## الفصل الثانى

### أ- أشهر الوفادات وأفرادها

نظرا لأهمية الدور الذى كانت تقوم به الوفود، وأهمية ما تسعى إلى تحقيقه من أهداف، وما يترتب على ذلك من آثار تعود على المجتمع العربى بالخير والفائدة، حرصت بعض المراجع على رصد بعض هذه الوفادات على تفاوت فيما بينها .

ونجد أن أهم الوفود التى حظيت بالرصد والتسجيل، هى تلك الوفادات التى اقترنت بمناسبات لها خطورتها وأهميتها، فمفع إشراقه الإسلام الحنيف، وما أحدثه فى أوساط الجزيرة العربية من تغير جذرى هزّ كيان المجتمعات القبلية والحضرية، وغيّر المفاهيم العقّدية والأفكار الدينية ، وحركّ النفوس والعقول ، ودفع كبار الأقوام ومفكرها إلى القيام برحلاتهم للقاء سيدنا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لتفهم حقيقة الدين الجديد، وإعلانهم الإنضواء تحت لوائه .

كما أن بعض المراجع الأدبية تناولت طرفا من هذه الوفود — قبل ظهور الإسلام — وسجلت ما كان يدور بين أطرافها .

١- فهذا هو الجاحظ يورد فى كتابه : (١) .

" لما دخل ضمرة بن ضمرة على النعمان بن المنذر، زرى عليه (٢) للذى رأى من دمايته وقصره وقِلته .

فقال النعمان : "تسمع بالمعدي لا أن تراه"

(١) البيان والتبيين ١٧١/١ ط الخانجي سنة ١٩٧٥ القاهرة

(٢) عابه — وعاتيه (مادة: ررى — القاموس المحظ ص ١٦٦٦) .

فقال {أى ضمرة} : أَبَيْتَ اللَّعْنَ . إن الرجال لا تُكَلَّ بالقُرْآن (١) .  
لا تُوَزَن بالمِيزان ، وليست بِمُشَوِّك (٢) . يَسْتَقْبَلُ بِهَا ، وإنَّما المرء  
أَصْغَرِيه : بقلبه ولسانه ، إن صال صال بجنان ، وإن قال قال ببيان .

٢- ومن أشهر وفادات ما قبل الإسلام وفادة قس بن ساعدة على  
يصر ، فقد حكى ، أن قس بن ساعدة ، كان يفد على قيصر ويؤزره  
قال له قيصر يوما : ما أفضل العقل ؟

- قال (قس) : معرفة المرء بنفسه .
- قال : (قيصر) : فما أفضل العلم ؟
- قال : (قس) : وقوف المرء عند علمه .
- قال : (قيصر) : فما أفضل المروءة ؟
- قال : (قس) : استبقاء الرجل ماء وجهه .
- قال : (قيصر) : فما أفضل المال ؟
- قال : (قس) : ما قضى به الحقوق (٣) .

٣- ومنها : وفادة النعمان بن المنذر على كسرى أنى شروان  
فقد روى ابن القطامي عن الكلبي قال :  
قدم النعمان بن المنذر على كسرى ، وعنده وفود الروم والهند  
صين ، فذكروا من ملوكهم وبلادهم ، فافتخر النعمان بالعرب ، وفضلهم

الفزان جمع قفيز . وهو مكيال ثمانية مكاكيت . القاموس المحط ص ٦٧٠ .  
مِسْوَك : ج مسك . والمسك : الجلد . ١٢٣٠ القاموس المحط .  
الإمالي ٩٣، ٣٧/٢ لأبى على القالى . الهيئة المصرية العامة للكتاب / مصر  
١٩٧٥ والجمهرة ٢٨٣ .

على جميع الأمم لا يستثنى فارس ولا غيرها<sup>(١)</sup> .  
وقد دار في هذا اللقاء بين النعمان وكسرى حوار ساخن حاول  
كسرى فيه أن ينال من العرب وعاداتهم وأخلاقهم وبلادهم، فرد عليه  
النعمان معقبا، ومفندا كل ما ادعاه كسرى داحضا له ، وهو ما سنعرضه  
بالتفصيل عند تناول النصوص بالدراسة والشرح والتحليل .

#### ٤- رسل النعمان إلى كسرى<sup>(٢)</sup>:

عاد النعمان من الحيرة وقد ألمه وحز في نفسه ما سمع من  
كسرى، وتقصص العرب، والإزراء بهم، وتهجين أمرهم، فقرر أن —  
يبعث إلى كسرى بوفد عربى، يرد له الصاع صاعين، ويُعلمه عظمة  
العرب ومنعتهم، فأرسل إلى أكثم بن صيفى، وحاجب بن زرارة التميميين  
وإلى الحارث بن عبّاد وقيس بن مسعود البكريين، وإلى خالد بن جعفر  
وعلقمة بن معد يكرب الزبيدي، والحارث بن ظالم المرى، وتحدث معهم  
عما بدر من كسرى، وكلفهم بالشخوص إليه، والتحدث بين يديه، والرد  
عن العرب . وجهزهم بما يتجهز به الوفد، وأوصاهم، فلما كانوا بين يدي  
كسرى، وقف كل منهم بين يديه متحدثا — بما سنعرض له عند دراسة  
النصوص إن شاء الله تعالى .

(١) العقد الفريد ١/٢٢٨ ابن عبدربه تحفيق / محمد سعيد العريان / دار الفكر  
١٩٤٠ مصر / العقد الفريد ٢/ ص ٥ ابن عبدربه نحفيق / احمد بسرى العزى لوى / دار  
الإمام على المعادى مصر ١٩٩٢ ، البداية والنهاية لابن كثير ٥/ ٢٦٢ .  
البداية والنهاية ابن كثير ج ٥ ص ٢٦٢ إلى ٢٦٨ مكتبة المعارف — بيروت ط ٢  
١٩٧٧ ( أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقى ت ٧٧٤ ) = .

وانظر / تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٣٧٨ ( الوفود ) . وانظر : جمهرة حطب العربى  
٥١/١ لأحمد زكى صفوت — ط الحلبي ١٩٦٢ ط ٢ .

(٢) العقد الفريد ابن عبد ربه نحفيق محمد سعيد العريان ١/ ٢٣١ .  
العقد الفريد ابن عبد ربه نحفيق / احمد بسرى ص ١١ م ١٠ .

#### ٥- وفود حاجب بن زرارة على كسرى (١) :

وفد حاجب بن زرارة على كسرى لما منع تميمًا من ريف العراق . فاستأذن عليه، فأوصل إليه . ودار بينهما حوار، وقَدَّم له ضمائمًا بالوفاء، ارتهنه قوسه، حتى أن لقومه بدخول ريف العراق .

٦- لما مات حاجب وفد ابنه عمارد بن حاجب إلى كسرى لاسترداد قوس أبيه، فردها إليه كسرى .

#### ٧- وفود أبي سفيان إلى كسرى:

٠٠٠ قال أبو سفيان: أهديت لكسرى خيلاً وأتماً، فقَبِلَ الخيل، وَرَدَّ الأَدمَ وَأَدْخَلَتْ عليه، فَكَانَ وجهه وجهان من عَظْمِهِ، فَأَلْقَى إلى مَخْدَةٍ كانت عنده (٢) .

ولا شك في أنه كانت هناك وفادات كثيرة على كسرى من العرب، ولكن هذه أشهرها .

وإذا لاحظنا أعضاء هذه الوفود العربية على كسرى ندرك أن هؤلاء الرجال كانوا من رؤساء قبائلهم، وأرفعهم شأنًا، وأعزهم جانبًا وأروعهم بيانًا، وأثبتهم جنانًا، وأنصعهم لسانًا .

كما نلاحظ أن كسرى كان يحضى بهذه الوفود، لما كان عليه من عظمة السلطان، واتساع رقعة المملكة، وقوة بأسها، وشدة بطشها، وكثرة خيرها، وامتلاء خزائنها، وتحضرها بين الأمم وتقدمها .

(١) نفسه/ ابن عبد ربه تحقيق/ محمد سبب نعيان ٢٣٩/١ .

نفسه/ ابن عبد ربه تحقيق أحمد يسري ١٠ ص ٢١ .

(٢) نفسه ابن عبد ربه تحقيق / محمد سعد نعيان ٢٤٠/١ .

نفسه ابن عبد ربه تحقيق / أحمد يسري ١٠ ص ٢٢ .

ولم يمنع جبروت كسرى وصلفه وتَجَبَّرَه وتَصَدَّيه للعرب بالحقِّد والازدراء من مقابلة رجالات العرب، والاستماع إليهم، ومناقشتهم ومحاورتهم. فهو ملك عظيم، والعرب أمة عظيمة. لها تقاليدها وقيمها وعاداتها الكريمة التي تتم عن سودد ومنعة بين الأمم، طبعتهم صحراؤهم بصلابة أحجارها، وحصنتهم بسمو جبالها، كما منحتهم سعتها وامتدادها ساحة وكرما.

### ب- الوفود على النعمان بن المنذر

#### ١- وفود حسان بن ثابت على النعمان بن المنذر :

كان النعمان يحب الشعراء ويجيزهم ويقرّبهم، كالنابغة وغيره، يفد إليه الشعراء يمدحونه لينالوا رفته وعتاءه، فكان حسان بن ثابت أحدهم. حكى ابن عبد ربه، قال: (١)

"فد حسان بن ثابت على النعمان بن المنذر، قال: فلقيتُ رجلاً ببعض الطريق، فقال لي: أين تريد؟ قلت: هذا الملك. قال: فإنك إذا جنته متروك شهراً، ثم تترك شهراً آخر، ثم عسى أن يأذن لك، فإن أنت خلوت به، وأعجبته فأنت مصيب منه خيراً، وإن رأيت أبا أمامة النابغة فاطعن، فإنه لا شيء لك! قال: فقدمت عليه، ففعل بي ما قال، ثم خلوت به وأصبت ما لا كثيراً، ونادمت، فبينما أنا معه، إذا رجل يرتجز حول القبة فيقول:

أَتَأْمُ أَمْ يَسْمَعُ رَبَّ الْقُبَّةِ      يَا أَوْهَبَ النَّاسِ لَعْنِ صُلْبَةٍ  
ضُرَابَةٌ بِالْمَشْفَرِ الْأَذْبَةِ      ذَاتِ نَجَاءٍ فِي يَدَيْهَا جَذْبَةٍ

(١) العقد الفريد / ابن عبد ربه تحقيق / محمد سعيد العريان ١/ ٢٤٠، ٢٤١.  
العقد الفريد / ابن عبد ربه تحقيق / أحمد بسري م ١٠ ص ٢٢.



فقال النعمان: أبو أمامة: أئذنوا له، فدخل فحيّاه وشرب معه  
وَوَرَدَتِ النَّعْمُ السُّودُ، ولم يكن لأحد من العرب بعيرٌ أَسْوَدُ غيره، ولا  
بفتح أحدٍ فحلاً أَسْوَدُ، فاستأذنه النابغة في الإتيان، فَأُذِنَ له، فَأَنشَدَ  
قَصِيدَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا:

فَبَكَتْ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُمْ كَوْكَبُ  
فَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ نَاقَةٍ مِنَ الْإِبِلِ السُّودِ بِرَعَاتِهَا. فَمَا حَدَّثْتُ أَحَدًا قَطُّ  
حَسَدِي لَهُ فِي شِعْرِهِ، وَجَزِيلِ عَطَانِهِ.

ويذكر الأصفهاني (١) أنه "أقبل ركبٌ من بني أسد ومن قيس  
برينون النعمان، فلقوا حاتمًا، فقالوا له: إنا تركنا قومنا يثنون عليك خيرا  
وقد أرسلوا إليك رسولا برسالة."

قال: وما هي؟

فَأَنشَدَهُ الْأَسَدِيُّونَ شِعْرًا لِعَبِيدٍ وَلِيَشْرَ بِمَدْحَانِهِ، وَأَنشَدَ الْقَيْسِيُّونَ  
شِعْرًا لِلنَّابِغَةِ، فَلَمَّا أَنشَدُوهُ قَالُوا: إِنَّا نَسْتَحْيُ أَنْ نَسْأَلَكَ شَيْئًا، وَإِنْ لَنَا  
لَحَاجَةٌ. قال: وما هي؟

قالوا: صاحبٌ لَنَا قَدْ أَرَجَلَ {أَي لَيْسَ لَهُ مَا يَرْكَبُ}، فَهُوَ رَاجِلٌ}.  
فقال حاتم: خذوا فرسي هذه فاحملوا عليها أصحابكم، فأخذوها  
وربطت الجارية فلوها بثوبها، فأفلت. فاتَّبَعَتْهُ الْجَارِيَةُ. فقال حاتم: ما  
تبعكم فهو لكم، فذهبوا بالفرس والفلو والجارية .

(١) الأَعْيُنِي/ لأبي الفرج الأصفهاني —/ على محمد النحوي ١١ ٣٩١، ٣٩٢ الهيئة  
المصرية العامة للكتاب.

### ومن الوفادات على النعمان بن المنذر

وفادة أكثم بن صيفى، وحاجب بن زرارة التميميين، والحارث بن ظالم وقيس بن مسعود البكرين. وخالد بن جعفر وعقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل. وعمر بن النريد السلمى. وعمر بن معد يكرب الزبيدى والحارث بن ظالم المرى — وقد وفدوا على النعمان بن المنذر<sup>(١)</sup>.

وممن وفدوا على النعمان بن المنذر: أبو براء (ملاعب الأسنة): عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب، وإخوته: طفيل ومعاوية وعبيدة ومعهم: ليبد بن ربيعة بن مالك بن جعفر (وهو غلام) <sup>(٢)</sup>. ولعل من أشهر الوفادات على النعمان بن المنذر، وفادة الشاعر: النابغة الذبياني، وقد كان كثير التردد عليه. وممن وفدوا على النعمان بن المنذر: الصقعب بن عمرو النهدي<sup>(٣)</sup>.

وكان ممن وفد على المنذر بن النعمان الأكبر: عامر بن جويش الطائي<sup>(٤)</sup>.

### جـ— وفود قريش على سيف بن ذى يزن بعد قتله الحبشة<sup>(٥)</sup>:

قال ابن عباس: لما ظفر سيف بن ذى يزن بالحبشة، وذلك بعد مولد النبى — صلى الله عليه وسلم، أتته وفود العرب وأشرفها

(١) جواهر الأدب/ ١/ ١٩٧ أحمد الهاشمى دار الكتب العلمية • بيروت ط ٢٩ سنة ١٩٧٨.

(٢) الأغاني/ ١٧/ ١٨٣ وما بعدها الإصهاني •

(٣) أمالى ابن دريد/ ٢٠٢ ابن دريد •

(٤) نوادر الأملنى/ ١٩٧ ابن دريد

(٥) العقد الفريد/ ابن عبد ربه تحقيق/ محمد سعيد العريان ١/ ٢٤١ •

العقد الفريد ابن عبد ربه تحقيق/ أحمد يسرى م ١/ ص ٢٣ •

وشعراؤها تهنئه وتمدحه، وتذكر ما كان من بلائه وظلته بئثر قومه، فأتاه وفد قريش، فيهم عبد المطلب بن هاشم، وأميمة بن عبد شمس، وأسد بن عبد نحرى وعبد الله بن جدعان، فقدموا عليه وهو فى قصر يقال له شمس.

ووقف بعضهم بشعره مهنتا، والآخر ببيان خفيها مادحا، وهو ما سنتأمله بالبيان والشرح — إن شاء الله تعالى فى مكانه من البحث.

### الوفادة فى عصر النبوة

ولما أشرق الإسلام على الدنيا بأنواره، وجاء محمد — صلى الله عليه وسلم — بهديه، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وتسامعت العرب بالدعوة المحمدية، أخذت الوفود تترى إلى نبي الرحمة، ورسول رب العالمين.

كان بعض الوفود قد أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بمكة. ثم فى السنة التاسعة من الهجرة تزايدت الوفود وتواصلت، حتى سميت (سنة الوفود).

وفى السيرة النبوية لابن هشام: "لما افتتح رسول الله (ص) مكة وفرغ من تبوك، وأسلمت ثقيف وبايعت، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه — قال ابن هشام: حدثنى أبو عبيدة: أن ذلك فى سنة تسع، وأنها كانت تسمى سنة الوفود (١) وقد "وقد عليه — صلى الله عليه وسلم — وهو بمكة غفار وأزد شنوءة وهمدان والطفيل بن عمرو الدوسى ونصارى الحبشة" (٢).

(١) "سيرة النبوية — لابن هشام ج ٤ ص ٤١٤ دار التراث نحرى — ١٩٤٧  
(٢) نهاية الأرب فى فنون الأدب/ ج ١٨ ص ٢ شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن النويرى ط ١ مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٥ م القاهرة.

وبيان هذه الوفود كما يلي :

#### ١- وفد غفار :

قال أبوذر — رضى الله عنه — خرجنا عن قومنا غفار — وكانوا يحلون الشهر الحرام — فخرجنا أنا وأخي أنيس وأمناء، فانطلقنا . . . ثم يمضى فى ذكر وفادته وإسلامه .  
وهذا الوفد — كما رأينا — يتكون من ثلاثة أفراد هم: أبوذر وأخوه وأمه (١) .

#### ٢- وفد أزد شنوءة:

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قدم (ضِماد) مكة . وهو رجل من أزد شنوءة . وكان يرقى من هذه الرياح . . . فبايعه رسول الله (ص) وقال: "وعلى قومك"؟ فقال: وعلى قومي . . . . (٢) .  
٣ وفد همدان:

. . . قالوا: قدم قيس بن مالك بن سعد بن مالك بن لؤى الأرحبى على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهو بمكة . (٣)  
ومن طريق آخر له، قال : عرض رسول الله — صلى الله عليه وسلم — نفسه بالموسم على قبائل العرب، فمر به رجل من أرحب، يقال له: عبد الله بن قيس بن أم غزال، فقال له : هل عند قومك من مَنَعَةٍ؟ قال: نعم . فعرض عليه الإسلام فأسلم .

وروى محمد بن اسحاق — رحمه الله — فيما يتعلق بهذا الوفد بعد الهجرة — فقال: قدم وفد همدان على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

(١) الطبقات الكبرى/ ٢١٩/٤ ابن سعد .

(٢) نهاية الارب/ ص ٨ ج ١٨ والطبقات الكبرى ٢٤١/٤ ابن سعد .

(٣) نهاية الارب/ ص ٩ ج ١٨ . والسيرة النبوية لابن هشام ٤٤١/٤ .

منهم: مالك بن نمط، وأبو ثور، وهو ذو المشعار، ومالك بن أيفع  
رضمام بن مالك السلماني، وعميرة بن مالك الخازني<sup>(١)</sup> .  
ولا أرى في ذلك تعارضاً، فقد يكون الوفد نفسه قد وفد على  
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مرة ثانية بعد الهجرة .

### ٣- وفادة الطفيل بن عمرو الدوسي:

كان الطفيل بن عمرو الدوسي يحدث أنه قدم مكة، ورسول الله -  
صلى الله عليه وسلم - بها، تمشى إليه رجال من قريش ٠٠٠ أي أنهم  
حاولوا منعه من الاتصال برسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولكنه لم  
يستحب لهم، والتقى بالثبي صلى الله عليه وسلم - وأسلم<sup>(٢)</sup> .

### ٤- وفد نصاري الحبشة :

قال محمد بن اسحاق: "قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ - وَهُوَ بِمَكَّةَ - عَشْرُونَ رَجُلًا - أَوْ قَرِيبَ مِنْ ذَلِكَ - مِنْ  
النَّصَارَى، حِينَ بَلَغَهُمْ خَبَرُهُ مِنَ الْحَبَشَةِ، فَوَجَدُوهُ بِالْمَسْجِدِ فَجَلَسُوا إِلَيْهِ  
وَكَلَمُوهُ وَسَأَلُوهُ عَنْ أُمُورٍ فِي دِينِهِمْ فَأُجَابَهُمْ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ  
فَأَسْلَمُوا"<sup>(٣)</sup> .

### ٥- وفد سُلَيْم :

قدم على رسول الله (ص) رجل من بني سُلَيْم يقال له (قيس بن  
نثبة) فسمع كلام الرسول وسأله عن أشياء ٠٠ فأسلم:

-

(١) بهاية الارب/ ١٨ ص ١٠٩، العقد الفردي تحقيق / العريزن ٢٤٦/١، تحقيق/  
أحمد يسري م ١٠ ص ٢٩ والسيرة النبوية لابن هشام ٤٤١/٤ .  
(٢) نفسه ١٨ ص ١٤، الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٣٧/٤ .  
(٣) نفسه ١٨ ص ١٤، السيرة النبوية لابن هشام ٣٤٥، ٣٤٤/١ .

فلما كان عام الفتح خرجت سُلَيْمٌ فلقوا رسول الله — وهم سبعمئة ويقال كانوا ألفاء فيهم العباس بن مرداس وجماعة من أعيانهم فأسلموا<sup>(١)</sup> .

#### ٦- وفد الأوس والخزرج .

يقول الله تعالى : **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ، وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا<sup>(٢)</sup>** .

والقرآن الكريم بهذا، يشير إلى ذلك الوفد، الذي أحدث تحولا عظيما في تاريخ الدعوة، وحقق لها — بأمر الله — انتصارا وانتشارا عظيمين، وهو الوفد الذي يعرف باسم: وفد العقبة — أو وفد بيعة العقبة .

#### وفد بيعة العقبة :

لعل هذا الوفد من أهم الوفود التي شَرَفَتْ بقاء سيدنا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قبل هجرته الشريفة إلى يثرب؛ ذلك لأنه تم في ظروف صعبة للغاية، حيث كانت الدعوة تمر بأقصى مراحلها والمشركون يترصدون برسول الله — صلى الله عليه وسلم — وبأصحابه يظهرون لهم العداء، ويبدون لهم الكراهية، ويعملون على إيذائهم وفتنتهم عن دينهم، ويتصدون لمن يحاول أن يتصل لهم من العرب الوافدين من خارج مكة، يمنعونهم — رغبا ورهبا — عن لقاء سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : فلما أراد الله عز وجل إظهار دينه، وإعزاز نبيه — صلى الله عليه وسلم — وإنجاز مواعده (وعده) له ، خرج رسول

(١) البداية والنهاية ٩٢/٢ ونهاية الأرب ٧٢/١٨ .

(٢) سورة الفتح الآية ١٨ .

الله — صلى الله عليه وسلم — فى الموسم الذى لقيه فيه النفير من الأنصار ٠٠٠ فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج — أراد الله بهم خيراً فلما لقيهم قال لهم: من أنتم؟ قالوا: نفر من الخزرج ٠ قال: أمن موالى يهود؟ قالوا: نعم ٠ قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا: بلى ٠ جلسوا معه، فدعاهم إلى الله عز وجل، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن ٠٠٠ (وكانوا قد سمعوا من اليهود فى يثرب أن نبياً يبعث ٠ ظلهم زمانه ويهدونهم به) ٠

فتشاور الرهط فيما بينهم ٠٠ ثم أسلموا (١) ٠

فلما كان العام المقبل "وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً لقوه بالعقبة — وهى العقبة الأولى — فبايعوا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — على بيعة النساء، وذلك قبل أن تفرض عليهم الحرب ٠ كان منهم من بنى النجار ثم من بنى مالك، ومن بنى زريق — عامر، ومن بنى عوف بن الخزرج، ومن بنى سلم، ومن بنى سلمة بنى سواد ٠

وشهدها من الأوس ابن حارثة بن ثعلبة ومن بنى عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس عويم بن ساعدة (٢) ٠

وكان النبى — صلى الله عليه وسلم — قد بعث معهم مصعب بن عمير يقرئهم القرآن الكريم، ويعلمهم أمور دينهم، فعاد مصعب إلى مكة خرج مع من خرج من قومه للحج، وواعد القوم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — العقبة من أوسط أيام التشريق ٠ قال كعب بن مالك: "قلما رغبنا من الحج، وكانت الليلة التى واعدنا رسول الله — صلى الله عليه وسلم —

(١) السيرة النبوية ٢٧٥/١ ابن هشام تحقيق د/ أحمد حجازى دار التراث العربى/مصر  
(٢) نفسه ٢٧١/١ — ٢٧٣ ٠

وسلم — لها . . . وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين . . . فنمنا تلك الليلة في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لمعاد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً، ومعنا امرأتان من نسائنا: سبية بنت كعب — أم عمار، وأسماء بنت عمرو بن عدى. فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حتى جاءنا معه العباس بن عبدالمطلب . . . " (١)

وقد تكلم العباس — وكان لا يزال على دين قومه مبيّناً منزلة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بين قومه وعشيرته، وأنهم قادرون على حمايته .

ثم تكلم الرسول، وتلا القرآن الكريم، ورغب القوم في الإسلام ودعاهم إليه، وطلب مبايعتهم، فأعلنوا البيعة، ثم طلب منهم أن يخرجوا له من بينهم اثني عشر نقيبا، ليكونوا على قومهم، ففعلوا .

• • • • •

هذه أشهر الوفود التي اشتهرت وعرفت وفادتها إلى مكة قبل الهجرة، وشرفت بقاء الرسول — صلى الله عليه وسلم، وإسلامها. أما وفود التي وفدت بعد الهجرة وقبل الفتح، فهي: "عبس وسعد العشيرة جهينة ومزينة وسعد بن بكر، وأشجع، وخشين والأشعرين وسليم وس وأسلم وجذام" (٢) .

نفسه ٢٧٩، ٢٧٨/١ .

البداية والنهاية، ونهاية الأرب ح ١٨ ص ١٦ .



وبيانها كالآتي:

١- وفد عيس : قال محمد بن سعد في طبقاته :

وَقَدْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — تِسْعَةُ رَهْطٍ مِنْ عَيْسٍ، فَكَتَبُوا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأُولَى مِنْهُمْ: مَيْسِرَةُ بْنُ مَسْرُوقٍ وَالْحَارِثُ بْنُ الرَّبِيعِ — وَهُوَ الْكَامِلُ — وَقَتَانُ بْنُ دَارِمٍ، وَبِشْرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عِبَادَةَ هَيْدَمُ بْنُ مَسْعُودَةَ، وَسِبَاعُ بْنُ زَيْدٍ، وَأَبُو الْحِصْنِ بْنُ لَقْمَانَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَائِكَ، وَفِرْوَةَ بْنُ الْحَصِينِ بْنِ فَضَالَةَ، فَأَسْلَمُوا، فَدَعَا لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ (ص) بِخَيْرٍ (١).

٢- وفد سعد العشيرة: قال محمد بن سعد :... لما سمعتُ سعد العشيرة بخروج النبي — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — وَثَبَ ذَبَابٌ — رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُنَاسٍ اللَّهُ بْنُ سَعْدِ الْعَشِيرَةِ — إِلَى صَنْمٍ يُقَالُ لَهُ فَرَاصٌ فَحَطَّمَهُ، ثُمَّ وَقَدْ إِلَى النَّبِيِّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمَ (٢).

٣- وفد جهينة: قال ابن سعد: لما قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — الْمَدِينَةَ وَقَدَّ إِلَيْهِ عَبْدُ الْعِزَّى بْنُ بَدْرِ بْنِ زَيْدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْجَهْنِيِّ، وَمَعَهُ أَخُوهُ لِأُمِّهِ أَبُو رُوْعَةَ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ لَهُ... وَجَاءَ مِنْ جَهْنَةَ عَمْرُو بْنُ مَرَّةٍ الْجَهْنِيُّ فَأَسْلَمُوا... (٣).

٤- وفد مزينة (مُضَر) : قال محمد بن سعد (في طبقاته): كَانَ أَوَّلُ مَنْ وَقَدَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مُضَرٍّ أَرْبَعُمِائَةٍ مِنْ مَزِينَةَ وَذَلِكَ فِي شَهْرِ رَجَبِ سَنَةِ خَمْسٍ، فَجَعَلَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — الْهَجْرَةَ فِي دَارِهِمْ... وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ بِسَنَدٍ

(١) السابق ص ١٧ ج ١٨ — البداية والنهاية ٨٨/٢ .

(٢) السابق ص ١٨ ج ١٨ .

(٣) السابق ص ١٩ ج ١٨ .

يرفعه إلى أبي مسكين ، وأبى عبد الرحمن العجلاني — قالاً: قدم على رسول الله (ص) نفر من مزينة، منهم خزاعي بن عبدنهم، فبايعه على قومه مزينة، وقدم معه عشرة منهم، فيهم بلال بن الحارث، والنعمان بن مقرر، ثم خرج إلى قومه فلم يجدهم كما ظن فأقام ، فدعا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حسان بن ثابت قال: "ادكر خزاعياً ولا تهجه" (١) .

٥- وفد سعد بن بكر: بعثت بنو سعد بن بكر إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — رجلاً منهم يقال له : ضمام بن ثعلبة — قال ابو سعد: في شهر رجب سنة خمس ٥٠٠ فقتل وأُتِخَ بغيره ٥٠٠ ثم دخل المسجد ٥٠٠ حتى إذا فرغ (من مناقشة النسي) أسلم (٢) .

٦- وفد أشجع: وقدمت أشجع على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عام الخندق، وعام الخندق سنة خمس من الهجرة، وهم مائة رأسهم مسعود بن رخیلة بن نويرة بن طريف . فنزلوا شعب سلع فخرج إليهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ٥٠٠ ثم أسلموا (٣) .

٧- وفد خُشَيْن: قدم أبو ثعلبة الخُشَني على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهو يتجهز إلى خيبر، فأسلم — وخرج معه إلى خيبر ثم قدم بعد ذلك سبعة نفر من خشين، فنزلوا على أبي ثعلبة، فأسلموا (٤) وذكر ابن كثير في عدتهم أنهم "بضعة عشر رجلاً" .

(١) السابق ص ٢٠، ١٩ ج ١٨ ، البداية والنهاية ٤١/٢ .

(٢) السابق ص ٢١، ٢٠ بتصرف ج ١٨ ، السيرة النبوية لابن هشام ٤٢٣/٥ والبدایة والنهاية ٦٠/٢ .

(٣) السابق ص ٢٢ ج ١٨ ، البداية والنهاية لائن كثير ٩١/٢ .

(٤) السابق ص ٢٣ ج ١٨ ، البداية والنهاية لابن كثير ٩٥/٢ ، والطبقات الكبرى ٢١٩/٤ ابن سعد والبدایة والنهاية ٦٩/٢ اس كثير .

٨- **وفد الأشعرين:** وقَدِمَ الأشعريون على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهم خمسون ، منهم أبو موسى الأشعري، ومعهم رجلان من عك، وقدموا في سفن في البحر، وخرجوا بجدة، ٠٠٠ فالمدينة ثم ذموا فوجدوا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في سفرة بخيبر لقوه، فباعوه، وأسلموا(١) .

٩- **وفد سُليَم:** وقَدِمَ على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — رجل من بني سليم، يقال له قيس بن نسيبة . فسمع كلامه، وسأله عن شيء فأجابه، ودعى ذلك كله، ودعاه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إلى الإسلام، فأسلم ورجع إلى قومه ٠٠٠ . فلما كان عام الفتح خرجت بنو سليم إلى رسول — صلى الله عليه وسلم — فلقوه بُقَيْدٍ، وهم سبعمائة . ويقال : كانوا ألفاً، وفيهم العباس بن مرداس السلمي ، وأنس بن عباس بن رعل، وراشد بن عبد ربه فأسلموا ٠٠٠(٢) .

وحكى أبو عمر بن عبد البر، في ترجمة خنساء بنت عمرو بن الشريد السلمية الشاعرة واسمها تماضر بنت عمرو بن الشريد بن رباح ابن ثعلبة بن عصىة بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم — أنها قدمت على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مع قومها من بني سليم . فأسلمت معهم(٣) .

وهذه أول امرأة يرد ذكرها في وفد من الوفود التي جاءت للقائه المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ويبدو أنها لشاعريتها — ومكانتها في

(١) السابق ص ٢٣ ج ١٨ والبداية والنهاية ٩٢/٢ .

(٢) نفسه ٢٤/١٨ .

(٣) السابق ص ٢٦ ج ١٨ .

قومها — نالت شرف المثل — مع قومها — أمام الرسول عليه الصلاة والسلام .

١٠- وفد دوس: لما أسلم الطفيل بن عمرو الدوسي — كما تقدم — (المذكور في رقم ٤ — في وفود ما بعد الهجرة) دعا قومه فأسلموا وقَدِمَ معه منهم سبعون أو ثمانون أهل بيت . وفيهم أبو هريرة وعبد الله بن أزيهر الدوسي، ورسول الله — صلى الله عليه وسلم — بخيبر، فساروا إليه فلقيه هناك . فيقال: إنه قسم لهم من غنائم خيبر، ثم قدموا معه المدينة<sup>(١)</sup> .

١١- وفد أسلم: قَدِمَ عمير بن أفصى في عصابة من أسلم، فقالوا لقد امنّا بالله ورسوله ، واتبعنا مناجك<sup>(٢)</sup> .

١٢- وفد جذام: قَدِمَ رفاعة بن زيد بن عمير بن معبد الجذامي، ثم أحد بنى الصبيب على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في الهدنة قبل خيبر . . . وأسلم<sup>(٣)</sup> .

وقال ابن كثير: "وبعث فروة بن عمرو بن التافرة الجذامي ثم النفائي إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — رسولا بإسلامه وأهدى له بغلة بيضاء، وكان فروة عاملا للروم على من يليهم من العرب، وكان منزله معان وما حولها من أرض الشام، فلما بلغ الروم ذلك من إسلامه طلبوه حتى أخذوه فحبسوه عندهم . . . ثم ضربوا عنقه وصلبوه<sup>(٤)</sup> .

(١) السابق ص ٢٦ ج ١٨ .

(٢) السابق ص ٢٧ ج ١٨ .

(٣) السابق ص ٢٨ ج ١٨ والبداية والنهاية ٨٧، ٨٦/٢ .

(٤) السابق ص ٢٨ ج ١٨ والبداية والنهاية ٨٧، ٨٦/٢ .

## الوفود التي وفدت بعد فتح مكة

لما كتب الله تعالى النصر لرسوله صلى الله عليه وسلم، وتم له فتح مكة، وارتفعت ألوية الإسلام خفاقة، أدرك العرب أنه لا طاقة لهم بمعاذة محمد، وما جاء به من دين، فبدأت وفودهم تتري للقاء النبي وإعلان إسلامهم، قال تعالى: "إذا جاء نصر الله والفتح . . . السورة ."

كان أول وفد بعد الفتح : وفد ثعلبة .

١- وفد ثعلبة: لما قَدِمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم — من الجعرانة في سنة ثمان من الهجرة، قَدِمَ عليه أربعة نفر، وقالوا: نحن رسل من خلفنا من قومنا، ونحن وهم مقرون بالإسلام، فأمر لهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بضيافة (١) .

٢- وفد أسد: قدم عشرة رهط من بني أسد بن خزيمة على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في أول سنة تسع من الهجرة، فيهم: حضرمي بن عامر وضرار بن الأزور ووابصة بن معبد وطليحة بن خويلد الذي ادعى النبوة بعد ذلك ثم أسلم وحسن إسلامه . وكان معهم قوم من بني الزينة وهم بنو مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد. فقال لهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم : "أنتم بنو الرشد" (٢) .

٣- وفد تميم: كان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قد بعث بشر بن سفيان ويقال: النحَّام العدوي على صدقات بني كعب من خزاعة . فجاء وقد حلَّ بنواحيهم بنو عمرو بن جندب بن العنبر بن

(١) المرجع السابق ص ٣٠ — ١٨ والبداية والمنهاية ٨٩/٢ .

(٢) السابق ص ٣١ — ١٨ والبداية والمنهاية ٨٨/٢ .

عمرو بن نعيم، فجمعت خزاعة مواشيها للصدقة، فاستنكرت ذلك بنو نعيم، وأبوا وابتدروا القسي وشهروا السيوف، فقدم المصدق<sup>(١)</sup> على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فأخبره. فقال: "مَنْ لهؤلاء القوم؟" فانتدب لهم عيينة بن حصن، فبعثه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في خمسين فارساً من العرب، ليس فيهم مهاجري ولا أنصاري، فأغار عليهم، فأخذ منهم أحد عشر رجلاً، وإحدى عشرة امرأة، وثلاثين صبيلاً فجلبهم إلى المدينة، فقدم فيهم عدة من رؤساء بني نعيم، منهم: عطار بن حاجب، والزبرقان بن بدر، وقيس بن عاصم، وقيس بن الحارث، ونعيم بن سعد، والأقرع بن حابس، ورياح بن الحارث، وعمرو بن الأهتم وغيرهم، وزاد ابن هشام: الحباب بن يزيد، ونعيم بن يزيد وعيينة بن حصن<sup>(٢)</sup>.

ويقال: كانوا تسعين أو ثمانين رجلاً<sup>(٣)</sup>.  
وسألتني بيان ما دار بين هذا الوفد ورسول الله — صلى الله عليه وسلم — تفصيلاً

٤- وفد خزاعة: لما رجع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من تبوك، وكان ذلك سنة تسع، قَدِمَ عليه وفد بني زُرارة، بضعة عشر رجلاً فيهم: خارجة بن حصن، والحارث بن قيس بن حصن... جاءوا مفزين بالإسلام<sup>(٤)</sup>.

(١) المصدق: عامل الركاة.  
(٢) نفسه ٣٢/١٨ والسيرة النبوية لأبي هشام ج ٤ ص ٤١٤ والبداية والنهاية لابن كثير ٤١/٢.  
(٣) السابق ص ٣٢ ج ١٨.  
(٤) السابق ص ٤١ ج ١٨.

٥- وفد مرة: قَدِمَ وَفَدَ بَنِي مَرَّةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — عِنْدَ مَرْجَعِهِ مِنْ تَبُوكَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ، وَهُمْ ثَلَاثَةُ عَشَرَ رَجُلًا، رَأْسُهُمُ الْحَارِثُ بْنُ عَوْفٍ (١) .

٦- وفد محارب: قَدِمَ وَفَدَ مُحَارِبٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فِي سَنَةِ عَشْرٍ، فِي حِجَةِ الْوُدَاعِ، وَهُمْ عَشْرَةُ نَفَرٍ، مِنْهُمْ: هُوَ ابْنُ الْحَارِثِ وَابْنُهُ خَزِيمَةُ بْنُ سَوَاءٍ . . . . . فَأَسْلَمُوا (٢) .

٧- وفد كلاب: قَدِمَ وَفَدَ كِلَابٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فِي سَنَةِ تِسْعٍ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَهُمْ ثَلَاثَةُ عَشَرَ رَجُلًا، فِيهِمْ: لُبَيْدُ بْنُ يَعْنَةَ وَجِبَارُ بْنُ سَلْمَى . . . . . (٣) .

٨- وفد رؤاس بن كلاب: رَوَى عَنْ أَبِي نَعِيعٍ طَارِقُ بْنُ عُلْقَمَةَ : إِسْمَى أَنَّهُ قَالَ: قَدِمَ رَجُلٌ مَنَا يُقَالُ لَهُ: عَمْرُو بْنُ مَالِكٍ بْنُ قَيْسٍ إِسْمَى عَلَى النَّبِيِّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فَأَسْلَمَ، ثُمَّ أَتَى قَوْمَهُ أَهْمَ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَقَالُوا: حَتَّى نَصِيبَ مِنْ بَنِي عَقِيلِ بْنِ كَعْبٍ مِثْلَ مَا بَوَا مَنَا، فَخَرَجُوا يَرِيدُونَهُمْ، وَخَرَجَ مَعَهُمْ عَمْرُو بْنُ مَالِكٍ، فَأَصَابُوا ، ثُمَّ خَرَجُوا يَسُوقُونَ النِّعَمَ . . . الخ القصة (٤) .

٩- وفد عقيل بن كعب: ثَنَا — رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَقِيلِ بْنِ كَعْبٍ، عَنْ قَوْمِهِ، قَالُوا: وَفَدَّ مَنَا مِنْ بَنِي عَقِيلِ بْنِ كَعْبٍ، عَلَى رَسُولِ اللَّهِ —

انق ص ٤٢ ج ١٨، البداية والنهاية ٨٩/٢ .  
بق ص ٤٣ ج ١٨ ، البداية والنهاية ٨٩/٢ .  
بق ص ٤٣ ج ١٨ ، البداية والنهاية ٨٩/٢ .  
ق ص ٤٤ ، ٤٥ ، البداية والنهاية ٩٠/٢ .

صلى الله عليه وسلم — ربيع بن معاوية بن خفاجة بن عمرو بن عقيل ومطرف بن عبد الله، وأنس بن قيس بن المنتفق، فبايعوا وأسلموا...  
وَوَقَدَ عَلَيْهِ أَيْضًا: لَقِيَطُ بْنُ عَامِرِ بْنِ الْمُنْتَفِقِ بْنِ عَامِرِ بْنِ عَقِيلٍ...<sup>(١)</sup>

وَقَدِمَ عَلَيْهِ أَبُو حَرْبٍ بْنُ خُوَيْلِدٍ بْنُ عَامِرِ بْنِ عَقِيلٍ... فَتُهِدُ وَأَسْلَمَ<sup>(٢)</sup>...  
ثُمَّ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — الْحَصِينُ بْنُ الْمَعْلَى بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَقِيلٍ، وَذُو الْجَوْشَنِ الضَّبَّائِيُّ فَأَسْلَمَا<sup>(٣)</sup>...

١٠- وَقَدَ جَعْدَةُ: وَقَدَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — الرَّقَادُ بْنُ عَمْرِو بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ جَعْدَةَ بْنِ كَعْبٍ...<sup>(٤)</sup>  
١١- وَقَدَ قَشِيرُ بْنُ كَعْبٍ: وَقَدَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — نَفَرٌ مِنْ بَنِي قَشِيرٍ، قَبْلَ حِجَةِ الْوُدَاعِ، وَبَعْدَ حَنِينٍ، فِيهِمْ: ثَوْرُ بْنُ عَزْرَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ قَشِيرٍ... فَأَسْلَمَ...  
وَفِيهِمْ: حَيْدَةُ بْنُ مَعَاوِيَةَ بْنِ قَشِيرٍ، وَفِيهِمْ مَرَّةُ بْنُ هَيْرَةَ بْنِ سَلَمَةَ الْخَيْرِ بْنِ قَشِيرٍ... فَأَسْلَمُوا<sup>(٥)</sup>...

#### ١٢- وَقَدَ بَنَى الْبَكَاءَ:

وَقَدَّ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ مِنْ بَنِي الْبَكَاءِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فِي سَنَةِ تِسْعٍ، فِيهِمْ مَعَاوِيَةُ بْنُ ثَوْرٍ بْنُ عُبَادَةَ بْنِ الْبَكَاءِ، وَهُوَ

(١) السابق ص ٤٥ ، والبداية والنهاية ٩٠/٢ .  
(٢) السابق ص ٤٦ .  
(٣) السابق ص ٤٧ .  
(٤) السابق ص ٤٧ .  
(٥) السابق ص ٤٧ والبداية والنهاية ٩٠/٢ .



يومئذ ابن مائة سنة، ومعه ابنٌ له يقال له: بشر والفجيع بن عبد الله  
رمعهم عبد عمرو البكائي، وهو الأصم، فسماه رسول الله — صلى الله  
عليه وسلم — عبد الرحمن (١) .  
وأضاف ابن كثير أن عددهم كانوا ثلاثين رجلاً .

### ١٣- وفد كنانة وبنى عدى:

وَقَدْ وَاتَلَهُ بَنُ الْأَسْقَعِ اللَّيْثِيُّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ — بِالْمَدِينَةِ — وَرَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — يَتَجَهَّزُ إِلَى  
تَبُوكَ . . . . . وَقَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — وَفَدَ بَنِي عَبْدِ  
بَنِ عَدَى، وَفِيهِمُ الْحَارِثُ بْنُ أَهْبَانَ، وَعُوَيْرُ بْنُ الْأَحْزَمِ، وَحَبِيبُ وَرَبِيعَةَ  
ابْنَا مَلَةٍ (٢) وَمَعَهُمُ رَهْطٌ مِنْ قَوْمِهِمْ . . . . . فَأَسْلَمُوا .

١٤- وفد باهلة: وَقَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ —  
مَطْرَفُ بْنُ الْكَاهِنِ الْبَاهِلِيُّ — بَعْدَ الْفَتْحِ وَاقْدًا لِقَوْمِهِ . فَأَسْلَمَ .  
ثُمَّ قَدِمَ نَهْشَلُ بْنُ مَالِكِ الْوَاتِلِيِّ مِنْ بَاهِلَةَ . . . . . فَأَسْلَمَ (٣) .

### ١٥- وفد هلال بن عامر وزيد عبد الله:

قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — نَفَرٌ مِنْ بَنِي هَلَالٍ  
فِيهِمْ : عَبْدُ عَوْفِ بْنِ أَصْرَمَ بْنِ عَمْرِو بْنِ شُعَيْتَةَ . فَأَسْلَمَ .  
وَفِيهِمْ قَبِيصَةُ بْنُ الْمَخَارِقِ .  
وَوَقَدْ زِيَادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ (٤) .

(١) المرجع السابق ٤٨، البداية والنهاية ٩٠/٢ .

(٢) المرجع السابق ٤٩، البداية والنهاية ٩١/٢ .

(٣) المرجع السابق ٤٩، البداية والنهاية ٩١/٢ .

(٤) المرجع السابق ٥٠ .

## ١٦- وفد بني عامر (١):

ولما قَدِمَتْ وفود العرب على رسول الله (ص) في سنة تسع من الهجرة قَدِمَ وَقْدُ بَنِي عامر — فيهم عامر بن الطفيل ، وأربد بن قيس أخولبيد الصحابي لأُمِّه — وكُنَّا رئيسي القوم ومن شُيْبَاضِهم — فقدم عامر بن الطفيل عدو الله، على رسول الله (ص) وهو يريد الغدر به ، وقد قال له قومه: يا عامر . إن الناس قد أسلموا فأسلم .

**قال:** والله لقد كنت الليث أن لا أنتهي حتى تتبع العرب عقبى . فأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش! ثم قال لأربد: إذا قدمنا على الرجل فإنني شاعل عنك وجهه . فإذا فعلت ذلك فَأَعْلُهُ بالسيف . فلما قدما على رسول الله (ص) وجعل يكلمه، وينتظر من أربد ما كان أمره به، فجعل أربد لا يحير شيئا، فلما رأى عامر ما يصنع أربد، قال له عامر: أتجعل لي نصف ثمار المدينة، وتجعلني ولي الأمر من بعدك وأسلم؟ فأبى عليه صلى الله عليه وسلم، فانصرف عامر وقال: أما والله لأملأنها عليك خيلا ورجالا . فلما وليّ، قال رسول الله (ص): اللهم اكفني عامر بن الطفيل . فلما خرجا من عند رسول الله (ص) قال عامر لأربد: ويلك يا أربد: أين ما كنت أمرتك به . والله ما كان على ظهر الأرض رجل أخوف عندي على منك! وإيم الله لا أخافك بعد اليوم أبدا . قال: لا أبالك! لا تعجل على! والله ما هممت بالذي أمرتني به من أمره إلا دخلت بيني وبين الرجل، حتى ما أرى غيرك، أفأضربك بالسيف؟ وخرجا راحعين إلى بلادهم، حتى إذا كانا ببعض الطريق، بعث الله على عامر بن الطفيل الطاعون في عثقه، فقتله الله في بيت امرأة من بني سلول، فجعل يقول: " يا بني عامر! أعد كغدة البكر في بيت امرأة من بني سلول! " ثم خرج

(١) المرجع السابق ٥٢ وخزامة الأدب البعادي ٨١/٢ وما بعدها . والسرقة النبوية ابن هشام ٥٦٧ والأغانى ٥٦/١٧ وما بعدها ط . الهيئة العامة .

أصحابه حين واروه التراب، حتى قدموا أرض بنى عامر، فقالوا: ما ورايك يا أريد؟ قال لا شئ، والله لقد دعنا إلى عبادة شئ لوددت أنسه عندي الآن فأرميه بالنبل حتى أقتله. فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين معه جمل له يبيعه، فأرسل الله عليه وعلى جملة صاعقة فأحرقتهما.

وكان في الوقت: عبد الله بن النخير . . .

وقدّم على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — علقمة بن علاثة ابن عوف وهوذة بن خالد بن ربيعة وابنه (١).

١٧- وقد ثقيف :

كان قدوم وقد ثقيف على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وإسلامها في شهر رمضان سنة سبع من هجرته (٢) وقد ألقى الله الإسلام في قلب عروة بن مسعود فلحق بالرسول وأسلم، ثم قتله قومه، ولحق أبو المليلح بن عروة وقارب بن الأسود بن مسعود، برسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا (٣).

ثم إن ثقيفا بعد ذلك "أجمعوا أن يبعثوا رجلين من الأحلاف وثلاثة من بنى مالك (مع عبد ياليل بن عمرو بن عмир) — فبعثوا معه: الحكم ابن عمرو بن وهب بن معتب وشرحبيل بن غيلان بن سلمة بن معتب ومن بنى مالك: عثمان بن أبي العاص بن بشر أخا بنى يسار، وأوس بن عوف أخا بنى سالم، ونمير بن خرشة بن ربيعة أخا بنى الحارث، فخرج بهم عبد ياليل وهو نائب القوم وصاحب أمرهم (٤).

(١) السابق ص ٥٨ .

(٢) السابق ص ٥٩ والبدابة والنهاية ٢/٢٩٩. السيرة النبوية لابن هشام ٤/٣٩٧ .

(٣) السابق ص ٦٢ والعقد الفريد ت/ محمد سعيد العريان ١/٢٤٨ وت/ أحمد يسرى م ٢٠ ص ٣٢ .

(٤) السابق ص ٦٢ والعقد الفريد ت/ محمد سعيد العريان ١/٢٤٨ وت/ أحمد يسرى م ٢٠ ص ٣٢ .

١٨- وفد عبد القيس:

كتب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى أهل البحرين أن يقدم عليه منهم عشرون رجلاً، فقدموا، رأسهم عبدالله بن عوف الأشج وفيهم الجارود بن عمرو بن حنش، وزادا بن إسحاق؛ أخو عبد القيس وقال ابن هشام: الجارود بن بشر بن عبد المعلى وكان نصرانياً ومنقداً بن حبان وهو ابن أخت الأشج، وكان قدومه عام الفتح (١) فأسلموا.

١٩- وفد بكر بن وائل:

قَدِمَ وَفْدُ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَكَانَ فِي الْوَفْدِ بَشِيرُ بْنُ الْخِصَاصِيَّةِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَرْتَدٍ، وَحَسَّانُ بْنُ خُوْطٍ، وَقَدِمَ مَعَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَسُودَ بْنِ شَهَابٍ بْنُ عَوْفِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ بْنِ سَدُوسٍ (٢).

٢٠- ومن بكر: أعشى بنو قيس :

إِنَّ أَعْشَى بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَكَابَةَ بْنِ صَعْبِ بْنِ عَلِي بْنِ بَكْرِ ابْنِ وَائِلٍ خَرَجَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَرِيدُ الْإِسْلَامَ {وَأَعَدَّ أَيْبَاتًا يَمْدَحُ بِهَا الرَّسُولَ} .  
فلما كان بمكة أو قريباً منها، اعترضه بعض المشركين (٣) وزينوا له أمر الشرك فعاد ولم يسلم ومات من عامه .

(١) السابق ص ٦٥، ٦٦ والسير النبوية لابن هشام ٤/٢٤٤ والبداية والنهاية لابن كثير ٤٦/٢ - ٤٨ .

(٢) السابق ص ٦٧ - ١٨ ، البداية والنهاية ٩٣/٢ .  
(٣) السابق صفحات ٦٨ - ٧٢ ج ١٨ .

٢١- وفد تغلب :

وَقَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَقَدْ بَنَى تَغْلَبَ .  
هَم سِتَّةَ عَشَرَ رَجُلًا مُسْلِمِينَ وَنَصَارَى . . . فَصَالِحٌ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ  
نَصَارَى عَلَى أَنْ يَفْرَهُمَ عَلَى ذِمَّتِهِمْ ، عَلَى أَلَّا يَصْبِغُوا أَوْلَادَهُمْ فِي  
نَصْرَانِيَّةٍ ، وَأَجَازَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهُمْ بِجَوَائِزِهِمْ (١) .

٢٢- وفد حنيفة :

قَدِمَ وَقَدْ بَنَى حَنِيفَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُمْ  
ضِعْفُ عَشَرَ رَجُلًا ، فِيهِمْ : رَجُلَانِ بَنُو عَنُقُوزَةَ ، وَسَلْمَى بْنُ حَنْظَلَةَ ، وَطَلْقُ بْنُ  
عَلَى بْنِ قَيْسٍ وَخُمْرَانُ بْنُ جَابِرٍ ، وَعَلَى بْنُ سَدْنٍ . وَالْأَقْعَسُ بْنُ مَسْلَمَةَ  
زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو وَمَسْلَمَةُ بْنُ حَبِيبٍ ، وَهُوَ الْكَذَّابُ . وَعَلَى الْوَفْدِ : سَلْمَى بْنُ  
حَنْظَلَةَ . فَأَسْلَمُوا (٢) . زَادَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فِيهِمْ مَسْلَمَةُ بْنُ حَبِيبٍ الْحَنْفِيُّ  
(الْكَذَّابُ) قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : مَسْلَمَةُ بْنُ ثُمَامَةَ ، وَيَكْنَى أَبَا ثُمَامَةَ .

٢٣- وفد شيبان :

وَقَدِمَ مِنْ بَنَى شَيْبَانَ حَرِيثُ بْنُ حَسَانَ الشَّيْبَانِيُّ فَبَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ -  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَصَحْبَهُ فِي سَبِيلِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَبِيلَةُ بَنَاتٍ مَخْرُومَةِ التَّمِيمَةِ (٣) .

(١) السابق ص ٧٢ ح ١٨ والبداية والنهاية ٩٣/٢ .

(٢) السابق ص ٧٣، ٧٢ ح ١٨ والبداية والنهاية ٨٠/٢ : وتسرد نبوية ٤/٤٢٥ .

(٣) السابق ص ٧٥ ح ١٨ والبداية والنهاية ٦٠/٢ . السيرة لسوية ابن هشام ٤/٤٢٦ .

## وفادات أهل اليمن

٢٤- وفد طبرستان وخبر زيد الخيل وعدي بن حاتم .

وَقَدَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَفَدَ طَيْبُ خَمْسَةِ  
عَشَرَ رَجُلًا، رَأْسُهُمْ وَسِيدُهُمْ زَيْدُ الْخَيْلِ بْنِ مَهْلَهْلٍ، مِنْ بَنِي بَنِي هَنَانَ، وَفِيهِمْ  
وَزَرُ بْنُ جَابِرِ بْنِ سَدُوسِ النَّبْهَانِيِّ ٠٠٠ وَقَبِيصَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنِ عَامِرِ بْنِ  
جَرْمِ طَيْبٍ، وَمَالِكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَيْبَرٍ مِنْ بَنِي مَعْنٍ، وَقَعِينُ بْنُ خُلْفٍ  
مِنْ جَدِيلَةَ، وَرَجُلٌ مِنْ بَنِي بُولَانَ فَدَخَلُوا الْمَدِينَةَ، وَرَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي الْمَسْجِدِ ٠٠٠٠ فَاسْلَمُوا (١) .  
وَأَثْنَاءَ عَوْدَةِ {زَيْدِ الْخَيْرِ} كَمَا سَمَاهُ الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ  
أَصَابَتْهُ الْحُمَّى فَمَاتَ عِنْدَ مَاءِ (فُرْدَةِ) قَرِيبَ نَجْدٍ .

٢٥- وفد تحييب:

قَدِمَ وَفَدَّ تَجِيبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي سَنَةِ  
تَسْعٍ مِنْ مُهَاجِرِهِ وَهُمْ ثَلَاثَةٌ عَشَرَ رَجُلًا (١) .

**٢٦- وفد خولان:**

قَدِمَ وَقَدْ خُولَانِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي شَعْبَانَ سَنَةِ عَشْرٍ، وَهُمْ عَشْرَةُ نَفَرٍ - جَاءُوا مُسْلِمِينَ - وَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ، فَجَعَلَ يَخْبِرُهُمْ بِهَا وَأَمَرَ مَنْ يَعْلَمُهُمُ الْقُرْآنَ وَالسُّنَنَ .

(١) السابق ص ٧٦ ج ١٨ .

(٢) السابق ص ٨١ ج ١٨ و البداية و النهاية ٩٣/٢ .

وممن أسلم من خولان: أبى مسلم الخولانى العابد، واسمه عبد الله بن ثوب. ولم ير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإنما قَدِمَ المدينة بعد وفاته (١).

#### ٢٧- وفد جعفى :

وَقَدَّ إِلَى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رجلان من جعفى وهما : قيس بن سلمة بن شراحيل، وسلمة بن يزيد، وهما أخوان لأم وأمهما: ملكية بنت الحلو بن مالك . فأسلما . (ثم امتعنا فدعا عليهما رسول الله (ص) وقدم أبو سبرة، هو يزيد بن مالك بن عبدالله الجعفى على النبى - صلى الله عليه وسلم - ومعه ابناء سيرة وعزيز . فأسلما (٢).

#### ٢٨- وفد مراد :

قَدِمَ فروة بن مسيك المرادى على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مفارقاً لملوك كندة ومباعداً لهم . ويبيع النبى (ص) (٣).

#### ٢٩- وفد زبيد :

قَدِمَ وَفْدٌ عمرو بن معدى كرب الزبيدى، على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة . فى عشرة نفر من زبيد . . . . . فأسلم هو ومن معه (٤).

(١) السابق ص ٨٢ ج ١٨ والبداية والنهاية ٩٣/٢ .  
(٢) السابق ص ٨٤، ٨٣ ج ١٨ والبداية والنهاية ٩٣/٢ .  
(٣) السابق ص ٨٤، ٨٥ ج ٢٨ .  
(٤) السابق ص ٨٥ ج ١٨ .

### ٣٠- وفد كندة:

قَدِمَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي بَضْعَةِ عَشْرَ رَاكِبًا مِنْ كِنْدَةَ - قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فِي ثَمَانِينَ رَاكِبًا فَدَخَلُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسْجِدَ (وَكَانُوا مُسْلِمِينَ) (١) .

### ٣١- وفد الصدف:

وَقَدِمَ وَفْدُ الصَّدْفِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُمْ بَضْعَةُ عَشْرَ رَجُلًا . . . . . فَصَادَفُوا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِيمَا بَيْنَ بَيْتِهِ وَبَيْنَ الْمَنْبَرِ . . . . . (وَكَانُوا مُسْلِمِينَ) (٢) .

### ٣٢- وفد سعد هذيم:

قَالَ ابْنُ سَعْدٍ يَرْفَعُهُ إِلَى أَبِي النُّعْمَانِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَدِمَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَافِدًا فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِي، فَزَلَّزْنَا نَاحِيَةَ مِنَ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ خَرَجْنَا نَوْمَ الْمَسْجِدِ فَجَدَّ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَصْلِي عَلَى جَنَازَةٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَانْصَرَفَ فَقَالَ: "مَنْ أَنْتُمْ؟" قُلْنَا: مِنْ بَنِي سَعْدٍ هَذِيمَ . فَأَسْلَمْنَا وَبَايَعْنَا (٣) .

### ٣٣- وفد يلي:

عَنْ رُوَيْفِعِ بْنِ ثَابِتٍ الْبَلَوِي، قَالَ: قَدِمَ وَفْدٌ قَوْمِي فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ تِسْعٍ . . . . . تَقْدِمُ شَيْخَ الْوَفْدِ أَبُو الضَّبْيَبِ فَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَتَكَلَّمَ وَأَسْلَمَ، وَأَسْلَمَ الْقَوْمُ (٤) .

(١) السابق ص ٨٧ ج ١٨ والبداية والنهاية ٩٤/٢ والسيرة النبوية ٤/٤٣٢ .

(٢) السابق ص ٨٩ ج ١٨ والبداية والنهاية ٩٤/٢ .

(٣) السابق ص ٨٩ ج ١٨ والبداية والنهاية ٩٥/٢ .

(٤) السابق ص ٩٠ ج ١٨ والبداية والنهاية ٩٥/٢ .



**٣٤- وفد بهراء:**

قَدِمَ وَفَدَ بهراء من اليمن، وهم ثلاثة عشر رجلاً ٠٠٠ وأتوا النبي صلى الله عليه وسلم — فأسلموا (١) .

**٣٥- وفد عذرة :**

قَدِمَ على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وَفَدَ عذرة، فى صفر سنة تسع من مهاجره، وهم اثنا عشر رجلاً، فيهم حمزة بن النعمان العذرى، وسليم وسعد ابنا مالك. ومالك بن أبى رباح ٠٠٠ ثم جاءوا النبي صلى الله عليه وسلم — فسلموا بسلام الجاهلية ٠٠٠ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — : "مرحباً بكم وأهلاً، ما أعرفنى بكم، ما منعكم من تحية الإسلام؟ قالوا: قدمنا مرتادين لقومنا. وسألوا النبي — صلى الله عليه وسلم — عن أشياء من أمر دينهم فأجيبهم فيها، فأسلموا ٠٠٠" (٢)

**٣٦- وفد سلامان: (بطن من بطون قضاة) ينسبون إلى جدهم**

الأعلى سلامان بن سعد بن زيد، وفد سبعة من سلامان على رسول الله صلى الله عليه وسلم — فى شوال سنة عشر، فصادفوه وهو خارج من المسجد إلى جنازة ٠٠٠٠٠٠٠ فلما صلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الظهر، جلس بين بيته وبين المنبر، فقدموا إليه فسألوه عن أشياء ٠٠٠ فأجابهم فأسلموا (٣) .

**٣٧- وفد كلب :**

قال محمد بن سعد بسنده إلى عبد بن عمرو بن جبلة بن وائل بن الجلاح الكلبى، قال: شخصت أنا وعصام — راح من بنى رقاش من بنى

(١) السابق ص ٩٠ ج ١٨ والبداية والنهاية ٩٥/٢ .

(٢) السابق ٩١ ج ١٨ والبداية والنهاية ٩٥/٢ .

(٣) السابق ص ٩٢ ج ١٨ والبداية والنهاية ٩٥/٢ .

عامر — حتى أتينا النبي — صلى الله عليه وسلم — فعرض علينا الإسلام فأسلمنا .

وقال بسند آخر إلى ربيعة بن إبراهيم الدمشقي، قال: وَقَدْ حَارِثَةُ ابن قطن بن زابر بن حصن بن كعب بن عليم الكلبي، وحمل بن سعدانة ابن حارثة بن مغل بن كعب بن عليم إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فأسلموا<sup>(١)</sup> .

### ٣٨- وقد جرم:

وَقَدْ عَلَى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — رجلا من جرم يُقال لأحدهما: الأسقع بن شريح بن صريم بن عمرو بن رياح بن عوف ابن عميرة بن الهون بن أعجب بن قدامة بن جرم {بن رياح} بن حلوان ابن عمران بن الحاف بن قضاعة. والآخر هو: هودة بن عمرو بن يزيد ابن عمرو بن رياح، فأسلموا<sup>(٢)</sup> .

### ٣٩- وفد الأزد وأهل جرش:

قَدِمَ صرد بن عبد الله الأزدي في بضعة عشر رجلا من قومه وَقَدَّأَ إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم . فأسلموا<sup>(٣)</sup> . وكان أهل جرش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم بالمدينة، يرتادان وينظران، فبينما هما عند رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عشية بعد العصر . . . . . (القصة) .

(١) السابق ص ٩٣ ج ١٨ والعقد الفريد ت/ العريزان ١/ ٢٤٨، ٢٤٧ ت/ أحمد بسوى

م ١٠ ص ٣١ البداية والنهاية ٩٥/٢ .

(٢) السابق ص ٩٤، ٩٥ ج ١٨ البداية والنهاية ٩٥/٢ .

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٤٣٣/٤ .

وبعد عودتهما (قصا على قومها القصة، فخرج وفدهم حتى قَدِمُوا  
على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأسلموا (١) .

#### ٤٠- وفد غسان:

قال محمد بن سعد بسنده إلى محمد بن بكر الغساني عن قومه  
من غسان قالوا: قَدِمْنَا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في  
شهر رمضان سنة عشر، المدينة، ونحن ثلاثة نفر . . . . ثم أتينا رسول  
الله - صلى الله عليه وسلم - فأسلمنا وصدّقنا (٢) .

#### ٤١- وفد الحارث بن كعب:

بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خالد بن الوليد في  
أربعمائة من المسلمين في شهر ربيع الأول سنة عشر إلى بني الحارث  
ابن كعب ينجران، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام ثلاثا قبل أن يقاتلهم  
ففعّل، فاستجاب له مَنْ هناك من بلحارث بن كعب ودخلوا في الإسلام .  
ونزل خالد بن الوليد بين أظهرهم فعلمهم الإسلام وشرّعه وكتاب الله  
وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم . . .

(ثم) قَيَّم خالد ومعه وَقَدَّمهم . فيهم: قيس بن الحصين، ويزيد بن  
عبد المدان وعبد الله بن عبد المدان، ويزيد بن المحجل، وعبد الله بن  
قُرَاد، وشداد بن عبد الله القناني، وعمرو بن عبد الله . . . . (٣) .

#### ٤٢- وفد عنس:

عن رجل من عنس قال: كان منا رجل وفد على النبي - صلى  
الله عليه وسلم - فأثاء وهو يتعشى، فدعا به إلى العشاء فجلس، فلما

(١) السابق ص ٩٧ ج ١٨ والبداية والنهاية ٩٥/٢ .  
(٢) السابق ص ٩٨ ج ١٨ والبداية والنهاية ٩٥/٢ .  
(٣) السابق ص ٩٩، ٩٨ ج ١٨ والبداية والنهاية ٩٥/٢ .

تعشى أقبل عليه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال: "أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله" فقال العنسي: "أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله" . . . . . واسمه ربعة . وزاد صاحب أسد الغابة أن اسمه ربعة بن رواء العنسي (١) .

#### ٤٣- وفد الدارين:

قَدِمَ وَفْدُ الدارين على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — منصرفاً من تبوك، وهم عشرة نفر، فيهم: تميم ونعيم ابنا أوس بن خازجة بن سود بن جذيمة بن ذراع بن عدى بن الدار بن هاني بن حبيب ابن نمارة بن لخم — ويزيد بن قيس بن خازجة — والفاكه بن النعمان بن جبلة بن صفارة بن ربعة بن ذراع بن عدى بن الدار — وجبلة بن مالك ابن صفارة وأبو هند — والطيب ابنا ذر . . . . .

وهاني بن حبيب — وعزيز ومرة ابنا مالك بن سواد (٢) .

#### ٤٤- وفد الرهاويين:

وَقَدِمَ خَمسة عشر رجلاً من مذحج على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — سنة عشر . . . . . فَأَتَاهُم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فَتَحَدَّثَ عَنْدهم طويلاً . . . . . فَأَسْلَمُوا وَتَعَلَّمُوا (٣) .

ثُمَّ قَدِمَ مِنْهُم نَفَرٌ فَحَجَّوْا مَعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

#### ٤٥- وفد غامد:

قَدِمَ وَفْدٌ غامد على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في شهر رمضان، وهم عشرة . . . . . فَاسْلَمُوا وَأَقْرَأُوا بِالْإِسْلَامِ (٤) .

(١) السابق ص ١٠٣، ١٠٤ ج ١٨ والبداية والنهاية ٩٥/٢ .

(٢) السابق ص ١٠٤ ج ١٨ والبداية والنهاية ٩٥/٢ .

(٣) السابق ص ١٠٧ ج ١٨ والبداية والنهاية ٩٥/٢ .

(٤) السابق ١٠٨ ج ١٨ والبداية والنهاية ٩٥/٢ .

#### ٤٦- وقد النخع :

بعث النخع رجلين منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وافدين بإسلامهم، وهما: أراطة بن شراحيل بن كعب، من بني حارثة بن سعد بن مالك بن النخع.

والجهيش، واسمه الأرقم، من بني بكر بن عوف من النخع فخرجا حتى قدما على رسول الله - صلى الله عليه وسلم، فعرض عليهما الإسلام، فقبلاه وبايعا عن قومه<sup>(١)</sup>.

قال ابن سعد: أخبرنا محمد بن عمر الأسلمي قال: كان آخر من قَدِمَ من الوَقْدِ على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد النخع - وقدموا من اليمن للنصف من المحرم سنة إحدى عشرة، وهم مائتا رجل جاعوا مقرين بالإسلام، وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل باليمن وكان فيهم زرارة بن عمرو<sup>(٢)</sup>.

وكان قدوم زرارة بن عمرو هذا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في النصف من شهر رجب سنة تسع.

وقال الطبري: قَدِمَ على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفد النخع، وهم مائتا رجل، وفيهم زرارة بن قيس بن الحارث بن عدى بن الحارث بن عوف بن جشم بن كعب بن قيس بن منقذ بن مالك بن النخع<sup>(٣)</sup>.

(١) السابق ١٠٨/١٨ والعقد الفريد تحف/ محمد سعد العربي ٢٤٧/١ تحقيق/ أحمد بصرى م ١٠ ص ٣١.

(٢) السابق ١٠٩/١٨ والبداية والنهاية ٩٥/٢.

(٣) السابق ١١٠/١٨ والبداية والنهاية ٩٥/٢.

٤٧- وفد بجيلة :

قَدِمَ جرير بن عبد الله البجلي سنة عشر المدينة، ومعه من قومه مائة وخمسون رجلاً ٠٠٠٠ فأسلموا وبنيعوا (١) .  
وقَدِمَ قيس بن {أبي} غرزة الأحمسي — وقيل غرزة بن قيس البجلي — في مائتين وخمسين رجلاً من احمس (٢) .

٤٨- وفد خثعم:

وَقَدَّ عَثَثَ بن زحر، وأنس بن مترك، في رجال من خثعم إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعد ما هدم جرير بن عبد الله ذا الخلصة وقتل من قتل من خثعم . فقالوا: امنا بالله ورسوله، وما جاء من عند الله (٣) . وَوَقَدَّ مخوس بن معد يكرب بن وليعة فيمن معه على رسول الله (ص) (٤) .

٤٩- وفد حضرموت:

قَدِمَ وَقَدَّ حضرموت مع وفد كِنْدَةَ على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهم: بنو وليعة ملوك حضرموت، جمد، ومخوس ومشرح وأبضعة . فأسلموا .  
وقَدِمَ وائل بن حجر الحضرمي وافدا على رسول الله — صلى الله عليه وسلم . وقال: جئت راغباً في الإسلام والهجرة .

(١) السابق ١١٠/١٨ والبداية والنهاية ٩٥/٢ .

(٢) السابق جـ ١٨ ص ١١١ البداية والنهاية ٩٥/٢ .

(٣) السابق ١١١/١٨ البداية والنهاية ٩٥/٢ .

(٤) السابق ١١٢/١٨ البداية والنهاية ٩٥/٢ .

ويقال: إن وائل بن حجر هذا وفد بعد ذلك إلى معاوية في خلافته  
فذكرمه معاوية<sup>(١)</sup>.

٥٠- وفد مخوس: ووَقَدَ مخوس بن معد يكرب بن وليعة فيمن  
معه على رسول الله (ص) <sup>(٢)</sup>.

#### ٥١- وفد أزد عمان:

أسلم أهل عمان، فبعث إليهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم —  
لعلاء بن الحضرمي — ليعلمهم شرائع الإسلام — ويصدق أمو الههم  
بخرج وَقَدَّهم إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وفيهم: أسد بن  
يرج الطاحي، فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم .  
وقَدِمَ بعدهم سلمة بن عباد الأزدى في ناس من قومه . . . وأسلم  
معه قومه<sup>(٣)</sup>.

قتل البغدادى:

ووَقَدَ الجعدى على النبى (ص) مسلماً، وأنشده، ودعا له رسول  
الله (ص) وكان من أول ما أنشده فى قصيدته الرائية:  
تَبَتْ رَسُولَ اللَّهِ إِذْ جَاءَ بِالْهُدَى وَيَتْلُو كِتَاباً كَالْمَجَرَّةِ نَيَّْراً  
جَاهَدْتُ حَتَّى مَا أَحْسَ وَمَنْ مَعِيَ سَهَيْلاً، إِذَا مَا لَاحَ نَمَتْ غَوَّراً  
قِيمُ عَلَى التَّقْوَى وَأَرْضَى بِفِعْلِهَا وَكُنْتُ مِنَ النَّارِ الْمَخُوفَةِ أَحْذِراً

إلى أن قال:

إِنَّا لَقَوْمٌ مَا نَعْتَوِدُ خَيْلَنَا إِذَا مَا التَّقِينَا أَنْ تَحِيدَ وَتَنْفَرَا  
نُنْكِرُ يَوْمَ الرُّوعِ أَلْوَانَ خَيْلِنَا مِنْ الطَّعَنِ حَتَّى تَحْسَبَ الْجَوْنَ أَشْقَرَا

(١) السابق ١١٤/١٨ .

(٢) السابق ١١٤/١٨ .

(٣) السابق ١١٥/١٨ .

وليس بمعروف لنا أن نردها صحاحا، ولا مستكرا أن تعقرا  
بلغنا السماء مجننا وسناؤنا وإنا لنترجو فوق ذلك مظهرا  
وفى رواية عبد الله بن جراد  
علونا على طر العباد تكرما .....

فقال له النبي (ص) : إلى أين يا أبا ليلى؟ فقال: إلى الجنة .  
فقال: نعم إن شاء الله .

ولا خير في حليم إذا لم تكن له بـَوَادِرُ تحمي صفوه أن يُكْدَرَا  
ولا خير في جهلٍ إذا لم يكن له حَلِيمٌ إذا ما أورد الأمر أصدرا (١)

فقال رسول الله (ص) : لا يفضض الله فاك! فكان من أحسن  
الناس ثغرا، وكان إذا سقطت له ثنية نبتت، وكان فوه كالبدن المهال يتلألأ  
ويبرق .

#### ٥٢- وقد غافق:

قَدِمَ حليحة بن شجار بن صحرار الغافقي — على رسول الله —  
صلى الله عليه وسلم — فى رجال من قومه . . . . . (أقبلوا مسلمين) (٢) .

#### ٥٣- وقد يارق:

قَدِمَ وقد يارق، فدعاهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إلى  
الإسلام — فأسلموا وبايعوا . . . . . (٣) .

(١) خزانة الأدب البغدادي ١٦٩/٣، ١٧٠ .  
(٢) السابق ١١٥/١٨ البداية والنهاية ٩٥/٢ .  
(٣) السابق ١١٥/١٨ البداية والنهاية ٩٥/٢ .



#### ٥٤- وفد ثمالية والحدان:

قَدِمَ عبد الله بن غلس الثمالي، ومسلمة بن هاران الحدانسي على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في رهط من قومهما، بعد فتح مكة فأسلموا وبايعوا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — على قومهم (١) .

#### ٥٥- وفد مُهَرَّة: (نسبة إلى مهرة بن حيدان — حى من قضاة)

قَدِمَ وفد مُهَرَّة على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عليهم: مهري بن الأبيض، فعرض عليهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الإسلام، فأسلموا (٢) .

وَوَفَدَ إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — رجل من مهرة يقال له: زهير بن قرضم بن الجعيل من الشحر، فكان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يدينه لبعد مسافته، فلما أراد الانصراف بَقَعَتْهُ وَحَمَلَهُ (٣) . (بَقَعَتْهُ: أعطاه الزاد) .

#### ٥٦- وفد حمير:

قَدِمَ على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مالك بن مرارة الزهاوى، رسول ملوك حمير بكتابهم وإسلامهم، وذلك في شهر رمضان سنة تسع. عند مقدمه من تبوك، وهم: الحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال، والنعمان قيل ذى رعين، ومعاقر وهمدان (٤) .

(١) السابق ١١٦/١٨ البداية والنهاية ٩٥/٢ .

(٢) السابق ١١٧/١٨ البداية والنهاية ٩٥/٢ .

(٣) السابق ١١٨/١٨ .

(٤) السابق ١١٨/١٨ البداية والنهاية ٩٥/٢ .

#### ٥٧- وفد جيشان:

قَدِمَ أَبُو وَهَبُ الْجِيْشَانِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي ثَمَرٍ مِنْ قَوْمِهِ (١) .

#### ٥٨- وفد سلول:

قَدِمَ قَرْدَةُ بْنُ نَفَاثَةَ السُّلُولِي، مِنْ بَنِي عَمْرٍو بْنِ مَرَّةٍ بْنِ صَعْصَعَةَ ابْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ - عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي جَمَاعَةٍ مِنْ بَنِي سُلُولٍ، فَأَمَرَهُ عَلَيْهِمْ بَعْدَ مَا أَسْلَمَ وَأَسْلَمُوا (٢) .

#### ٥٩- وفد نجران:

قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَفْدٌ نَجْرَانِي نَجْرَانٌ . سِتُونَ رَاكِبًا، فِيهِمْ أَرْبَعَةٌ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ، وَهُمْ: الْعَاقِبُ ابْنُ عَبْدِ الْمَسِيحِ، وَالسَّيِّدُ وَهُوَ الرُّيْهَمِيُّ، وَأَبُو حَارِثَةَ بْنُ عُلْقَمَةَ وَأَوْسُ وَالْحَارِثُ، وَزَيْدٌ، وَقَيْسٌ، وَبَزِيدٌ، وَنَبِيْهٌ، وَخُوَيْلِدٌ وَعَمْرُو، وَخَالِدٌ وَعَبْدُ اللَّهِ، وَيَحْنَسُ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةِ عَشَرَ ثَلَاثَةٌ نَفَرٌ إِلَيْهِمْ يَسْؤُولُ أَمْرَهُمْ، وَهُمْ الْعَاقِبُ أَمِيرُ الْقَوْمِ وَذُو رَأْيِهِمْ، وَصَاحِبُ مَثُورَتِهِمْ، وَالسَّيِّدُ لَا يَصْدُرُونَ إِلَّا عَنْ رَأْيِهِ، وَاسْمُهُ عَبْدُ الْمَسِيحِ (٣) .

قال محمد بن سعد: هو رجل من كندة والسيد ثمالهم، وصاحب رحلهم ومجتمعهم واسمه الأيهم، وأبو حارثة ابن علقمة أحد بكر بن وائل، أسقفهم وحبرهم وإمامهم، وصاحب مدارسهم .

قال ابن سعد: وكان من الأربعة عشر: كوز . وهو أخو الحارث ابن علقمة، وأوس أخو السيد . وبعد مناقشات بين أحبارهم ورسول الله

(١) السابق ١٨/١٢٠ البداية والنهاية ٩٥/٢ .

(٢) السابق ١٨/١٢٠ .

(٣) البداية والنهاية ٥٢/٢ .

- صلى الله عليه وسلم - حول النصرانية ومعتقدهم - أنزل الله قرآنا - من سورة ال عمران - يبطل ما ذهبوا اليه، طلبوا من الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن يدعهم لينظروا في أمرهم، ثم خلوا بالعاقب ذى طلب منهم عدم ملاعنة محمد، وطلب منه موادعته {آيات المباحلة} قالوا: يا أبا القاسم قد رأينا ألا نلاعنك، وأن نتركك على دينك، ونرجع لى ديننا، ولكن ابعت معنا رجلا من أصحابك - نرضاه لنا - بحكم ننا فى أشياء اختلفنا فيها...، فأرسل معهم أبا عبيدة بن الجراح .  
 "ولم يلبث السيد والعاقب إلا يسيرا، حيث رجعا إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - فأسلما " (١) .

٦٠- وفد مذحج : وفد ظبيان بن حداد فى سراة مذحج على النبى - صلى الله عليه وسلم - فسلم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بتحية الإسلام، وألقى خطبة بين يديه (٢) .  
 ٦١- وفد لقيط بن عامر : وفد لقيط بن عامر بن المنتفق . على نبى - صلى الله عليه وسلم - ومعه صاحب يقال له : نهيك بن عاصم . مالك بن المنتفق (٣) .

## ٦- وفود قبيلة على النبى - صلى الله عليه وسلم -

خرجت قبيلة بنت مخزومة التميمية تبغى الصبابة إلى رسول الله ﷺ، وكان عم بناتها ، وهو أثوب بن أزر ، قد انتزع منها

( نهاية الأرب ١٢١/١٨ - ١٣٦ .

( العقد الفريد ابن عبد ربه . ت/ محمد سعيد العربيان ٢٤٨/١ ، ٢٤٩، ت/ أحمد يسرى م ١٠ ص ٢٣ .

( نفسه ابن عبد ربه ت/ محمد سعيد العربيان ٢٥٣/١ ، ت/ احمد يسرى م ١٠ ص ٣٨ والبداية والنهاية ٨٠/٢ .

بناتها، فيكت جويرية منهن حديباء، قد أخذتها الفرصة (١)، عليها سبيح (٢) من صوف، فرحمتهما فذهبت بها . فبينما هما ترثكان الجمل (٣) إذا انتفخت (٤) منه الأرنب؛ فقالت الحديباء: الفصية (٥). والله لا يزال كعبك (٦) أعلى من كعب أثوب . ثم سنح الثعلب، فسمته اسما غير الثعلب (نسيه ناقل الحديث) ثم قالت فيه مثل ما قالت في الأرنب ، فبينما هما ترثكان الجمل إذ برك الجمل وأخذته رعدة . فقالت الحديباء: أخذتك والأمانة إخذه أثوب . قالت قيلة: فقلت لها: فما أصنع، ويحك! قالت: قلبي ثيابك ظهورها لبطونها، وادحرجي ظهرك لبطنك واقلبي أحلاس (٧) جملك . ثم خلعت سبيجها فقلبتة، ثم ادحرجت ظهرها لبطنها، فلما فعلت ما أمرتني به انتفض الجمل، ثم قام ففأح (٨) وبال. فقالت: اعيدى عليه أدائك . ففعلت، ثم خرجنا نرتك، فإذا أثوب يسعى وراءنا بالسيف صلتا (٩)، فوالنا إلى جواء (١٠) ضخم فداراه، حتى ألقي الجمل إلى رواقه هالأوسط، وكان جملا ذلولا، واقتحمت داخله وأدركني بالسيف، فأصابته طنبه طائفة من قرون رأسه؛ ثم قال: ألق إلى ابنة أخى يا دفار (١١) . فآلقيتها إليه . فجعلها على منكبيه وذهب بهاء، وكنت أعلم به من أهل

(١) الفرصة: الداء الذى يصيب ففار الظهر فيكون منه الحذب . وهى لفظة فى الفرسية: علة تصيب الظهر فتجعله احذب . العقد الفريد ابن عبد ربه تحقيق/

محمد سعيد العريان ١/٢٥٢، تحقيق احمد بسرى ع ١٠ ص ٣٨ وما بعدها .

(٢) سبيح: مصغر معرب: ثوب صوف تلبسه المرأة، أو شئ له مثل الخزر .

(٣) ترثكان الجمل: تحملانه على السير السريع .

(٤) انتفخت: وثبت .

(٥) الفصية: تريد بها التخلص من الصيق والشدة .

(٦) تدعو لها بالشرف والعلو .

(٧) الأحلاس: جمع حلس: الكساء الذى يلى ظهر البعير أو الدابة نحب الرحل

والقنب والسراج .

(٨) فأح: صاح .

(٩) صلتا: مجردا .

(١٠) والنا: لجأنا . الجواء: بيوت الناس من الوبر مجمعة على ماء جمع أحوية .

(١١) بادفار: يا منتنة .

البيت، وخرجت إلى أخت لى ناكح فى بنى شيبان أبتغى الصحبة إلى رسول الله ﷺ . فبينما أنا عندها تحسب أنى نائمة، إذ جاء زوجها من السامر (١) ، فقال لها: وأبيك، لقد وجدت لقيلة صاحب صدق . قالت أختى؛ من هو؟

قال: حريث بن حسان الشيباني، وافد بكر بن وائل عاويبا ذا صياح . فقالت أختى: الويل لى، لا تخبرها فنتبع أبا بكر بن وائل بيسن سمع الأرض وبصرها، ليس معها أحد من قومها . قال: لا ذكرته . قالت: وسمعت ما قالاه فغدوت إلى جملى فشددت عليه، ثم نشدت عنه فوجدته غير بعيد . فسألته الصحبة فقال: نعم وكرامة، وركابه مناخة عنده .

قالت: فسرت معه صاحب صدق؛ حتى قدمنا على رسول الله ﷺ وهو يصلى بالناس صلاة الغداة: قد أقيمت حين شق الفجر والنجوم شابكة (٢) فى السماء، والرجال لا تكاد تعارف من ظلمة الليل فصفت مع الرجال؛ وأنا امرأة قريية عهد بجاهلية؛ فقال الرجل الذى يلينى من الصف: امرأة أنت أم رجل؟ فقلت: لا بل امرأة . فقال: إنك كدت تقتنينى، فصلى فى النساء وراءك . فإذا صف من نساء قد حدثت عند الحجرات لم أكن رأيته إذ دخلت؛ فكنت فىهن؛ حتى إذا طلعت الشمس دنوت؛ فجعلت إذا رأيت رجلا ذا رواء قشر (٣) طمح إليه بصرى لأرى رسول الله فوق الناس، حتى جاء رجل؛ فقال: السلام عليك يا رسول الله . فقال: وعليك السلام ورحمة الله . وعليه — تعنى النبى ﷺ

(١) السامر: مجلس السمر .

(٢) شابكة: المراد: اختلطت بعضها ببعض فظهرت كأنها متشابكة .

(٣) القشر: اللباس .

سمال مليتين، كانتا بز عفران قد نفضا(١)؛ ومعه عسيب نخلة  
 فثو(٢) غير خوصتين من أعلاه، وهو قاعد القرفصاء. فلما رأيت  
 سول الله صلى الله عليه وسلم متخشعا في الجلسة أرعدت من الفرق  
 إل جليسه: يا رسول الله، أوعدت المسكينة. فقال رسول الله، ولم ينظر  
 ب وأنا عند ظهره: يا مسكينة، عليك السكينة.  
 قالت: فلما قالها صلى الله عليه وسلم أذهب الله ما كان دخل في  
 من الرعب.

وتقدم صاحبي أول رجل فبايعه على الإسلام عليه وعلى قومه، ثم  
 : يا رسول الله، اكتب بيننا وبين تميم كتابا بالدهناء لا يجاوزها إلينا  
 هم إلا مسافر أو مجاوز.  
 قال: يا غلام، اكتب له بالدهناء.

قالت: فلما رأيته أمر بأن يكتب له؛ شخص بي(٣). وهى وطنى  
 ارى؛ فقلت: يا رسول الله؛ إنه لم يسألك السوية من الأرض إذ سألك  
 هذه الدهناء مقيد الجمل(٤) ومرعى الغنم؛ ونساء بنى تميم وأبناؤها  
 ذلك، فقال: امسك يا غلام، صدقت المسكينة. المسلم أخو المسلم  
 هما الماء والشجر، ويتعاونان على الفتان(٥).

فلما رأى حريث أن قد حيل دون كتابه، قال: كنت أنا وأنت كما  
 فى المثل: حنقها تحمل ضأن بأظلافها! فقلت: أما والله ما علمت إن  
 ت لدليلا فى الظلماء، جوادا لدى الرحل، عفيفا عن الرقيقة حتى قدمنا

(١) ذهب لون صبيهما .

(٢) مقشو : مكشوط عنه خوصه .

(٣) شخص بي : تعبير يدل على النامل والقلق والازعاج .

(٤) تعنى انها مخصبة وأن الجمل لا يعد ومرنعه فيها .

(٥) الفتان (فتح الفاء) : الشيطان . وقيل: اللص الذى يعرض للرفقة فى طريقهم .  
 ويروى الفتان : (بضم الفاء) : جمع الفتان، وهو الذى يضل الناس عن الحق  
 يفتنهم .

على رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولكن لا تلمنى أن أسأل حظى إذ سألت حظك، قال: وأى حظ لك فى الدهناء لا أنالك؟  
قلت: مقيد جملى تريد لجمل امرأت ! فقال: لا جرم (١) إني أشهد رسول الله أنى لك أخ ما حييت؛ إذ أثبتت على عنده. فقلت: أما إذ بدأتها فلن أضيعها.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيلام ابن هذه أن يفصل الخطة (٢)، وينتصر من وراء الحجرة (٣) فبقيت . ثم قلت: فقد والله ولدته يا رسول الله حراما، فقاتل معك يوم الربرة (٤)، ثم ذهب يمتري من حبير فأصابته حماها فمات، فقال: لو لم تكونى مسكينة لجررتك على وجهك . أياغلب أحدكم على أن يصاحب صويحه فى الدنيا معروفا، فإذا حال بينه وبينه من هو أولى به استرجع، ثم قال:

رب أسنى لما أمضيت، وأعنى على ما أبقيت . فوالذى نفس محمد بيده إن أحدكم ليبيكى فيستعبر له صويحبه، فيأ عباد الله لا تعذبوا إخوانكم .

ثم كتب لها فى قطعة آدم أحمر: لقليلة والنسوة من بنات قبيلة (لا) يظلمن ولا يكرهن على منكح، وكل مؤمن مسلم لهن نصير، أحسن ولا تسئن .

وقد ذكر ابن كثير طائفة أخرى من الوفادات . منها

(١) لا جرم: لا بد ولا محالة، أو حقا .

(٢) الخطة: الأمر أو الحالة، وفى المثل: "جاء فلان وفى راسه خطة": أمر قد عزم عليه وفى الحديث: "إنه قد عرض لكم خطة رتد فاقبلوها": أمرا واضحا فى الهدى والاستقامة جمع: خطط .

(٣) الحجرة: جمع الحاجز: الذى يمنع الناس من بعض ويفصل بينهم بالحق .

(٤) الربرة: من قرى المدينة على بعد ثلاثة أميال .

قدوم نعيم الداري: فقال: قَدِمَ على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — نعيم الداري ..... (١) .

### قدوم طارق بن عبدالله:

روى الحافظ البيهقي عن جامع بن شداد المحاربي: حدثني رجل من قومي يُقال له طارق بن عبد الله . قال: اني لقائم بسوق ذي المجاز إذ أقبل رجل عليه جبة وهو يقول: "يأيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا ورجل يتبعه يرميه بالحجارة، وهو يقول: "يأيها الناس إنه كذاب" فقلت من هذا؟ فقالوا غلام من بني هاشم يزعم أنه رسول الله . قال: قلت من هذا الذي يفعل به هذا؟ قالوا هذا عمه عبد العزى . قال: فلما أسلم الناس وهجروا خرجنا من الربذة بريد المدينة (وهناك التفؤوا برسول الله — صلى الله عليه وسلم وعرفهم بنفسه) فأسلموا (٢) .

### قدوم وفد بني هلال بن عامر : قال ابن كثير :

"وفى وفدهم عبد عوف بن أصرم، فأسلم وسماه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عبد الله. وقبيصة بن مخارق . . . وذكر في وفد بني هلال: زياد بن عبد الله بن مالك بن نحير بن الهدم بن ربيعة بن عبد الله بن هلال . . . (٣) .

### وقد جاء الطفيل بن عمرو إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم

— فقال : (٤) "دوسا قد هلكت مرصت وأبت، فادع عليهم يا رسول الله. فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — "اللهم اهد دوسا وأت بهم" (٥) ثم إن دوسا قدمت معها أبو هريرة وأسلموا .

(١) البداية والنهاية ٨٧/٢ .

(٢) نفسه ٨٦، ٨٥/٢ .

(٣) نفسه ٩٢/٢ .

(٤) نفسه ٨٦/٢ .



### قدوم فروة بن مسيك المرادى:

قال ابن اسحاق: وقَدِمَ فروة بن مسيك المرادى، مفارقاً لملوك كندة مبادعاً لهم إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — . . . . .  
فلما انتهى فروة إلى رسول الله (ص) قال له : يا فروة هل ساءك ما أصاب قومك يوم الرم . فقال: يا رسول الله . من ذا الذى يصيب قومه ما أصاب قومي يوم الرم لا يسوءه ذلك؟ فقال له رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ثم ما إن ذلك لم يزد قومك فى الإسلام إلا خيراً<sup>(١)</sup> واستعمله على مراد ومنحج وزبيد<sup>(٢)</sup> .

### عمرو بن معد يكرب :

ركب عمرو بن معد يكرب حتى قَدِمَ على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فأسلم وصدقته وأمن به<sup>(٣)</sup> .  
وهناك عدة وفادات أوردتها ابن سعد مثل<sup>(٤)</sup>:

قدوم الأشعث بن قيس فى وفد كندة، وقدوم أعشى بنسى مازن (واسمه عبد الله الأعور) فى وفد من الأزد، وقد قَدِمَ أيضاً كتاب ملسوك حمير ورسلمهم بإسلامهم إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وكان فى وفدهم: الحارث بن عبد كلال، ونعيم بن عبد كلال والنعمان وغيرهم .

وممن وفدوا على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بالمدينة: جرير بن عبد الله البجلي، وممن وَفَدَ وائل بن حجر بن ربيعة الحضرمى أحد ملوك اليمن .

(١) البداية والنهاية ٧١، ٧٠/٢ ، السيرة النبوية لابن هشام ٤٢٩/٤ .

(٢) نفسه ٧١/٢ ، السيرة النبوية لابن هشام ٤٣١/٤ .

(٣) نفسه من ٧١/٢ إلى ٨٥/٢ ، السيرة النبوية لابن هشام ٤٤٦/٤ .

وَقِيمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ص) فِي هَذِهِ الْحَدِيثِ قَبْلَ خَيْرٍ: رِفَاعَةُ  
 بَنِ زَيْدٍ الْجَذَامِيِّ ثُمَّ الضَّبِّيِّ، فَاسْلَمَ وَحَسَّ إِسْلَامَهُ، وَمِنْهُمْ: زَيْدُ بْنُ  
 الْحَارِثِ الصَّدَائِي. وَمِنْهُمْ أَيْضًا: الْحَارِثُ بْنُ حَسَّانَ الْبَكْرِيُّ، وَكَذَلِكَ وَقَدْ  
 عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَقِيلٍ مَعَ قَوْمِهِ، كَمَا قَدَّمَ طَارِقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ .  
 قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَبَعَثَ بَنُو سَعْدِ بْنِ بَكْرِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى  
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — رَجُلًا مِنْهُمْ: ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ (١) هَذَا، وَفِي الْبِدَايَةِ  
 وَالنِّهَايَةِ لَابِنِ كَثِيرٍ، وَالسِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ لِابْنِ هِشَامٍ، وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي  
 تَتَاوَلَتْ أَحْدَاثُ تِلْكَ الْحَقْبَةِ مِنْ صَدْرِ الْإِسْلَامِ — الْوَفَرُ الْكَثِيرُ لِمَنْ يَرْغَبُ  
 فِي الْمَزِيدِ مِنَ الْإِحَاطَةِ بِأَخْبَارِ تِلْكَ الْوُفُودِ، مِمَّا لَا يَتَسَعُّ لَهُ هَذَا الْبَحْثُ  
 فَلْيَرْجِعْ إِلَيْهَا مَنْ أَرَادَ .

### إِسْلَامُ الْجِنِّ:

أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْلَهُ: "وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ  
 الْقُرْآنَ . فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا، فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ"  
 الْآيَاتُ (٢) .

وَكَانَتْ الْجِنُّ قَدْ رُتُّوا عَنِ التَّنَصُّتِ عَلَى أَخْبَارِ السَّمَاءِ وَصَرِيرِ  
 الْأَقْلَامِ، فَتَسَاءَلُوا وَخَرَجَتْ وَفُودُهُمْ تَجُوبُ الْكَوْنِ بَحْثًا عَنِ السَّبَبِ .  
 وَانْطَلَقَ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا إِلَى نَحْوِ تَهَامَةٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — بِنَخْلَةٍ وَهُوَ عَامِدٌ إِلَى سَوْقِ عَكَازٍ، وَهُوَ يَصْلِي بِأَصْحَابِهِ  
 صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ تَسَمَّعُوا لَهُ، فَقَالُوا: هَذَا الَّذِي حَالُ بَيْنِكُمْ  
 وَبَيْنَ خَيْرِ السَّمَاءِ ..... " .

(١) السِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ ابْنِ هِشَامٍ ٤/٤٣٢ .  
 (٢) سُورَةُ الْأَحْقَافِ الْآيَاتُ ٢٩ — ٣٢ .

فلما سمعوه قالوا: أنصتوا — قنوا: صه — وكانوا سبعة أحدهم  
وبعة. فأنزل الله تعالى: "وإذ صرفت بين نفرا من الجن ٠٠٠ (وروى  
شعبي عن علقمة قال: قلت لعبد الله بن مسعود: هل صحب رسول الله  
— صلى الله عليه وسلم — ليلة الجن منكم أحد؟ فقال: ما صحبه منا أحد  
لكننا فقدناه ذات ليلة بمكة، فقلنا: اغتيل؟ استطير؟ ما فعل؟

قال: فبينما بشر ليلة بات بها قوم. فلما كان وحه الصبح — أو قال:  
ي السحر — إذا نحن به يجئ من قبل حراء ٠ فقلنا: يا رسول الله —  
ذكروا الذى كانوا فيه — فقال: "إنه أتانى داعى الجن فأتيتهم فقرأت  
عليهم" (١).

• • •

وبعد فهذه الوفود وفدت على سيدنا رسول الله — صلى الله عليه  
وسلم — من الإنس ٠ كانت وفاداتها، فى مكة المشرفة — قبل هجرته، ثم  
لمدينة المكرمة بعد مهاجره إليها، واتخذها مقرا مباركا للدعوة  
الإسلامية ٠

وقد كان حظ العام التاسع من هذه الوفود حظا وفيرا، حتى اشتهر  
أنه عام الوفود، لكثرة ما وفد من أنحاء الجزيرة بعد استقرار الإسلام، ثم  
كانت وفادة الجن فى لقائهم واستماعهم للقرآن الكريم من سيد الخلق  
وإذعانهم وإسلامهم لله رب العالمين ٠

وهناك وفادات أخرى — وفدت على رسول الله — صلى الله عليه  
وسلم — استعرضتها بعض كتب الأئب، نذكر منها الجأ حظ فى كتابه ٠

فعن: غيلان بن جرير، مطرف بن عبد الله بن الشخير، وأبيه  
عبد الله بن الشخير: قال قدمنا على رسول الله — صلى الله عليه وسلم —  
فى وفد، فقلنا: يا رسول الله — أنت سيدنا، وأنت أطولنا علينا طولا

وأنت الجفنة الغراء "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيْهَا النَّاسُ • فُولُوا بِقَوْلِكُمْ • وَلَا يَسْتَفْزِنُكُمْ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ" (١) •

### وقال ابن قتيبة (٢):

وأخو عمرو بن الأَهم عبد الله بن الأَهم، جد خالد بن صفوان بن عبد الله بن الأَهم، وآل الأَهم خطباء، وكان عمرو يكنى أبا ريعسى - وهو جاهلي إسلامي، وكان في الجاهلية يدعى "المكحل" لجماله، ووفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم •

### ويقول صاحب الأغاني:

وممن وفد على النبي صلى الله عليه وسلم: لبيد (بنى عامر) قال ابن عبد ربّه: ولما ظهر الإسلام، وأقبلت وفود العرب على النبي (ص) جاء لبيد في بنى عامر، وأسلم وعاد إلى بلاده، وحسن إسلامه وتنسك وحفظ القرآن كله ..... (٣) •

كذلك وَقَدَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الشاعران: كعب بن زهير وأخوه بجير بن زهير (٤) - وقصة إسلامهما مشهورة • وممن وفدوا على رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ١٩٥ •

(٢) الشعر والشعراء ٦٣٧/٢ ابن قتيبة دار التراث العربي - مصر ط ١٩٧٧ •

(٣) الأغاني ج ٥٨/١٧ وانظر: جواهر الأدب ٣٦٣/٢ أحمد الهاشمي والعقد الفريد ٢٩٣/١ تحقيق / محمد سعيد العريان •

(٤) نفسه ج ١٧ ص ٨٦ •

زيد الخيل بن مهلهل، وكان معه: وزر بن سدوس النبهاني  
بيصة بن الأسود بن عامر بن جوين الحرمي، ومالك بن جبير المغني  
عين بن خليل الطريفي<sup>(١)</sup> .

**ويقول البغدادي:**

ومنهم — أيضا — : قرّة بن هبيرة، وَقَدْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى  
، عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فَأَكْرَمَهُ وَكَسَاهُ وَاسْتَعْمَلَهُ عَلَى صَدَقَاتِ قَوْمِهِ (٢) .

ومنهم: أبو ذؤيب الهذلي . الذي وَقَدْ عَلَى النَّبِيِّ (ص) فِي مَرَضٍ  
تَهُ . فَمَاتَ النَّبِيُّ قَبْلَ قُدُومِهِ بَلِيلَةً، أَدْرَكَهُ وَهُوَ مَسْجِيٌّ وَصَلَّى عَلَيْهِ  
مَهْدَ دَفْنِهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) .

ومنهم: ضرار بن الأزور: مالك بن أوس بن جذيمة بن ربيعة بن  
لك بن ثعلبة . . . أتى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — وَأَنْشَدَهُ شِعْرًا . فَقَالَ  
النَّبِيُّ: "رَبِحَ الْبَيْعَ" (٣) .

وكما كانت هذه الوفود إلى رسول الله — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ —  
من منه رسل، شرفهم بحمل كتبه ورسائله إلى أنحاء متفرقة، داخل  
زيرة العرب وخارجها . وهو ما سنعرض له فيما يلي:

(١) نفسه ٢٤٨/١٧ .

(٢) خزائن الأدب ٦٢/٣ البغدادي .

(٣) نفسه ٣٢٤/٣ .

## ب- السفارة

### رسل النبي ﷺ

بعد أن هبأ الله تعالى للإسلام دار الأمن والأمان، ومهد للدعوة أرض القوة والانطلاق والانتشار، أصبحت يثرب (المدينة المنورة) التي شرفها الله تعالى بأن جعلها مهاجر محمد - صلى الله عليه وسلم - كما شرفها بأن صارت مثوى أعظمه الطهرات إلى يوم القيامة .  
وفي يثرب - المدينة المنورة - بدأت الدعوة تتخذ مساراً جديداً يتمثل في الخروج إلى القبائل المنتشرة في أنحاء الجزيرة العربية، والممالك المجاورة -

والمعروف أن العلاقات السياسية للمسلمين مع من جاورهم من الأمم والقبائل لم تبدأ إلا بعد صلح الحديبية، ورأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يبلغ هؤلاء جميعاً دعوة الإيمان والتصديق بألله الواحد الأحد، ورسالة نبيه محمد عليه الصلاة والسلام، فأرسل رسله بكتبه إليهم ، وكانت تلك الرسائل الملهمة التي وجهها رسولنا العظيم إلى الملوك والعظماء يدعوهم فيها إلى الدخول في الإسلام، وهى الرسائل التي حملها رسل النبي، أولئك السفراء الكرام، الذين بلغوا رسائل النبي في إخلاص وأمانة ودراية وحكمة وإقناع .

من أشهر السفارات في الجاهلية • سفارة هرم بن سنان والحارث بن عوف {سعى ساعياً غيظ بن مرة (١)}

وكانت هذه الرسائل النبوية الشريفة طليعة الدعوة الإسلامية الباهرة، التي سرعان ما ملأت أرجاء الدنيا، وكتبت للإسلام النصر المؤزر والفتح المبين (٢) •

(١) الخزائن ٦/٣ •

(٢) سفراء النبي عليه السلام ص ٣ • • مختار الوكيل •

أخبرنا ابن قتيبة قال: حدثنا الوليد بن مسلم . . أن رسول الله (ص) قال: "لقد هممت أن أبعث إلى الأمم رجالا يدعونهم إلى الإسلام ويرغبونهم في الدين، فأبعث أبي بن كعب وسالما مولى أبي حذيفة ومعاذ ابن جبل، كما فعل عيسى بن مريم عليها السلام" (١) .

وتنقسم هذه الرسائل النبوية الشريفة إلى ثلاثة أقسام من حيث توجيهها، طبقا لما تتطلبه من توجيه، حيث أحاطت بالدعوة ثلاث قوى مختلفة .

تقسم منها: موجه إلى الدولة الرومية وتوابعها .  
وقسم آخر: وجهه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ملك الفرس وغيره من الملوك الذين كانوا تحت سيطرته .  
وقسم ثالث: كتب به الرسول عليه الصلاة والسلام إلى القباائل المنتشرة في بلاد العرب" (٢) .

كما كان هؤلاء السفراء على درجة عالية من الأمانة والشجاعة والإخلاص والذكاء، ويكفيهم شرفا وفخرا أن يختارهم أكرم الرسل وأشرف الخلق — صلى الله عليه وسلم — لما يتميزون به من "العلم الواسع، والذكاء الخارق والسمعة الطيبة، والمظهر اللائق، والرونق الشائق، والمنطق اللطيف، والبديهة الحاضرة، حتى يكون لكلامهم وقع ويبلغوا رسالاتهم على أحسن وجه . . . " (٣) .

وقد اختلف في عدد السفراء الذين بعث بهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم، فذكر أنهم أحد عشر رجلا — هم: "عمرو بن أمية

(١) الإمامة والسياسة ابن قتيبة ١٠/١ .

(٢) الكتابة والكتاب في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم ص ٥٥ د محمد جمعة .

(٣) المرجع السابق ص ٧ .

الضمرى، ودحية بن خليفة الكلبي، وعبدالله بن حذافة السهمي، وحاطب ابن أبى بلتعة اللخمي، وعمرو بن العاص، وسليط بن عمرو العامري وشجاع بن وهب الأسدي، والمهاجرين أبى أمية المخزومي، والعلاء بن الحضرمي، وأبو موسى الأشعري، ومعاذ بن جبل<sup>(١)</sup>.

وهؤلاء السفراء (الرسل) هم المثبتون في أغلب المراجع التي تناولت الكتابة عن السفراء الذين بعثهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم.

"وقد ورد أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعث الحارث ابن عمير الأزدي إلى ملك بصرى بكتاب، فلما نزل مؤتة قتله شرحبيل ابن عمرو الغساني<sup>(٢)</sup>."

ولعل ذكره لم يثبت كالمسابقين لمقتله، وعدم تمكنه من العودة برد الرسالة التي حملها؛ مما ترتب عليه بعث سرية مؤتة المعروفة، ويضيف صاحب (الكتابة والكتاب) أنه حصر عددهم في خمسة وأربعين كاتباً مع عدم ذكر أسمائهم؛ زاعماً أن أحداً لم يسبقه بذكر هذا العدد<sup>(٣)</sup> وعلى الرغم من أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، فقد أنشأ ما عرف - فيما بعد - بديوان الكتابة - حيث جمع نفراً ممن يجيدون الكتابة، وكلفهم بتحرير الرسائل التي كان يحملها سفراؤه. رسله، وقد "أدت طبيعة رسالة الإسلام التي تقوم على الحض على طلب العلم، وتعلم القراءة والكتابة، وتحت على ذلك حثاً قوياً في عديد من آيات القرآن الكريم، مع حاجة الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى الكتاب، ليكتبوا له ما تحتاجه تلك الدولة الناشئة التي أرسى قواعدها شاد بناءها الرسول عليه الصلاة والسلام - أدى كل ذلك إلى العناية

(١) نهاية الأرب ١٥٦/١٨.

(٢) نهاية الأرب ١٥٦/١٨.

(٣) الكتابة والكتاب ص ٥.



بالكتابة والاهتمام بشأنها ، ورغبة المسلمين في تعلمها...<sup>(١)</sup> ولذا عمل الرسول — صلى الله عليه وسلم — على أن يكون للدعوة كتابها الذين يعدون هذه الرسائل التي يحملها سفراء النبي — صلى الله عليه وسلم — إلى الملوك والعظماء، يدعونهم فيها إلى الإسلام، ويشرحون مبادئه وتعاليمه، التي كان المصطفى يملئها على هؤلاء الكتاب، كما كان هؤلاء الكتاب نماذج حية في الأمانة والاستقامة والتقوى.

وكان استقرار الإسلام في المدينة المنورة، بمثابة الإشارة إلى بدء تكوين الدولة الإسلامية، وما تتطلبه من علاقات داخلية وخارجية تقوم الرسائل فيها بدور مهم وخطر.

وقد قُسمت رسائل النبي — صلى الله عليه وسلم — من حيث الزمن إلى ثلاثة أقسام .

**القسم الأول:** ويتناول تلك التي تبدأ من الهجرة إلى وقعة الخندق . و الرسائل في هذه المرحلة خلو من التاريخ، وكلها تحمل الطابع السياسي، وتهدف إلى محالفة القبائل على ما هي عليه من الكفر والشرك، للاستعانة بهذه الأحلاف على إضعاف قريش وإحكام الحصار حولها.....

**أما القسم الثاني:** فهي التي كتبت ما بين السنة الخامسة وفتح مكة . نرى الرسول — صلى الله عليه وسلم — أقوى مركزاً، وأنفذ كلمة، وأبعد صوتاً، ولا تتضح في كتبه — صلى الله عليه وسلم — ما كان يتضح من قبل، من الاتجاه إلى محالفة المشركين، بل أخذ يشترط على من يرأسه: الإسلام أو الجزية، مثل رسالته — صلى الله عليه وسلم

(١) الكتابة والكتاب في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ص ٢٣ د محمد جمعه دار الأرقم سنة ١٩٩١ مصر .

— إلى المنذر بن ساوى — وقد جاء فيها: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . من محمد رسول الله . إلى المنذر بن ساوى . سلام عليك، فإني أحمد الله إليك، الذى لا إله غيره، وأشهد أن لا إله إلا الله . وأن محمدا عبده ورسوله . أما بعد . فإني أذكرك الله عز وجل . فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه، وإنه من يطع رسلى، ويتبع أوامره، فقد أطاعنى، ومن نصح لهم فقد نصح لى، وإن رسلى قد أثنوا عليك خيرا، وإنى قد شفعتك فى قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه، وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم، وإنك مهما تصلح فلن نَعَزَّكَ من عملك، ومن أقام على يهوديته أو محوسيته فعليه الجزية".

أما القسم الثالث : فتلك التى كانت بعد غزوة تبوك، وقد بلغ فيها الرسول — صلى الله عليه وسلم — أعلى درجات القوة، وأخذ يستثمر المركز الحربى والدينى الذى بلغته الدولة الإسلامية الناشئة، فصار لا يكتفى بقبول الإسلام أو الجزية، بل ذهب إلى أبعد من ذلك، ففرض الزكاة — وفق أمر الله عز وجل — على القبائل الداخلة فى الإسلام . . . . . (١)

وقد أوصل ابن عساكر فى كتابه (تاريخ دمشق) كُتَابِ الرِّسَالِ إلى ثلاثة وعشرين كتابا، وترجم لهم فى نهجه الحافل فأوصلهم إلى خمسة وعشرين، وفيهم: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان ابن عفان، وعلى بن أبى طالب، وعامر بن فهيرة، وعبد الله بن الأرقم وأبى بن كعب، وثابت بن قيس بن شماس، وخالد بن سعيد بن العاص

(١) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الرشيدة ص ١٢٨ د/ محمد حميد الله دار الإرشاد — بيروت ط ٣ سنة ١٩٦٩م وانظر: الكتابة والكتاب فى عهد الرسول (ص) ص ٣٤، ٣٣ .

وأخوه حيان، وحنظلة بن أبي عامر الأسدي، وزيد بن ثابت، ومعاوية بن أبي سفيان، وشرحبيل بن حسنة، وعبد الله بن أبي سلول، والزبير بن العوام، المغيرة بن شعبة، وخالد بن الوليد، وعمر بن العاص، وعبد الله بن رواحة، وعبد الله بن سعيد بن أبي السرح، وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص، والعلاء بن الحضرمي، وحويطب بن عبد العزى العامري<sup>(١)</sup>.

كما أوصل بعض المؤرخين عدّهم إلى أربعين، وارتفع به بعضهم الآخر إلى ثلاثة وأربعين .

واهتمام الرسول — صلى الله عليه وسلم — ببعث رسله بكتبه إلى الملوك والعظماء يعكس لنا مدى تحضر هذا الدين الحنيف، واستعماله الكلمة الطيبة وسيلة إلى الدعوة، وشرح أركان الإسلام، وفتح باب له لمن خالط قلوبهم الإيمان، فيسارعون إلى الانضواء تحت لوائه، فهو سبيل حضارة ورقى، وقد سلكته الأمم المتحضرة من قبل، فكانت "كتابة الرسائل، وإيفاد الرسل، أمراً معروفاً منذ أقدم العصور لدى مختلف الدول والشعوب، ولقد عرف اليونان والرومان هذا الضرب من الاتصالات الدولية، وكذلك عرفته الحضارة الصينية القديمة، وعرفه من قبل قدماء المصريين . ثم أخذ يتطور ويتأهل تدريجاً في العصور المتأخرة حتى أصبح من أهم ضروب الاتصالات الدبلوماسية المعروفة في العصر الحديث" .<sup>(٢)</sup>

وفي المحرم من سنة سبع من مهاجرة الشريف، أرسل — صلى الله عليه وسلم — "سنة من هؤلاء الرسل، إلى ستة ملوك، وذلك أنه — صلى الله عليه وسلم — لما رجع من الحديبية في ذي الحجة سنة خمس

(١) سفراء النبي عليه السلام ٨، ٩ .  
(٢) نفسه ص ٦ .

هَـ الرسل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام. وكتب إليهم كتباً، فقبل له: رسول الله. إن الملوك لا يفرعون كتباً إلا محتوماً، فاتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم — يومئذ خاتماً من فضة، فصبه منه، نقشه ثلاثة أسطر: (محمد) سطر، (رسول) سطر، (الله) سطر، وختم به كتب، فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد، وذلك في المحرم سنة سبع أصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القود انذى بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم — إليهم" (١).

ونستعرض أسماء هؤلاء السفراء. ومن أرسلوا إليهم:

#### ١- السفير: دحية الكلبي:

من أعظم سفراء النبي صلى الله عليه وسلم — وأشهرهم، حمل رسالة النبي — عليه الصلاة والسلام — إلى قيصر ملك الروم (٢) واسمه هرقل، وهم بالاسلام وكاد ولم يفعل (٣) وكان دحية شاباً صادق الإيمان من الرعي الأول الذي تخرج في المدرسة المحمدية المثالية العليا، وكان جميل الصورة، عظيم الذكاء، وقيل في وصف جماله: إن جبريل عليه السلام كان يقد على النبي عليه الصلاة والسلام في مثل صورته... ويقال إن دحية كان أجمل أهل زمانه (٤) وقد كان لجمال دحية أثر عظيم في نفس قيصر وحاشيته عندما قدم عليهم حاملاً رسالة النبي الكريم

(١) نهاية الأرب ١٥٧، ١٥٦/١٨.

(٢) زاد المعاد ١١٤.

(٣) سفراء النبي ١٨/١٧ وانظر: زاد المعاد ١١٣، البداية والنهاية لابن كثير — ص ١٥ ص ٥١ سفراء النبي ٥١، ٣١ والسيرة النبوية لابن هشام ٤٤٩/٤.

(٤) زاد المعاد ١١٤.



جاريته ٠٠٠ (١) وبعث إلى النبي — صلى الله عليه وسلم — بجاريتين لهما مكان عظيم في القطب، كما أهدى إليه كموة وبغلة يركبها ٠٠٠ ولم يُسلم المقوقس .

وقد اكتشف المستشرق الفرنسي (بارتيميلي) — في كنيسة قرب أخميم بصعيد مصر — الأصل المكتوب لهذه الرسالة، وهو موجود الآن بمتحف (توب فابي) باستنبول .

#### ٤- عمرو بن أمية الضمري:

بعثه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إلى النجاشي، وكتب معه كتابين، يدعوهم في أحدهما إلى الإسلام، ويتلو عليه القرآن، فأخذ النجاشي كتاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فوضعه على عينيه، ونزل عن سريره فجلس على الأرض، ثم أسلم (٢) . وقد ظفر بهذا الكتاب المستشرق الإنجليزي دنلوب بأصله المكتوب، ونشر صورته الشهرية في مجلة (الجمعية الملكية الأسيوتية (JRAS) الإنجليزية في سنة ١٩٤٠م شهر يناير، وعمرو بن أمية هو أول سفراء النبي (ص) (٣) .

#### ٥- شجاع بن وهب الأسدي:

بعث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — شجاع بن وهب الأسدي، إلى الحارث بن أبي شمر الغساني . ملك البلقاء من أرض الشام، يدعوهم إلى الإسلام، وكتب معه كتاباً (٤) .

(١) نهاية الأرب ١٦٤/١٨ ، سفراء النبي عليه السلام ص ٣٧ وزاد المعاد ١١٥ ، ٢٤٣، والسيرة النبوية لابن هشام ٤٤٩/٤ -

(٢) نفسه ١٥٧/١٨ ، وانظر سفراء النبي عليه السلام ص ٣٤، ٣٣ وزاد المعاد ١١٣ والسيرة النبوية لابن هشام ٤٤٩/٤ .

(٣) الكتابة والكتاب في عهد الرسول (ص) ص ٣٧ .

(٤) نهاية الأرب ١٦٥/١٨ ، وانظر: سفراء النبي ص ٤٤ وزاد المعاد ١/٦ والسيرة النبوية ٤٤٩/٤ .

وقال ابن هشام: ان شجاع بن وهب بعث إلى جبلة بن الأيهم الغساني .

#### ٦- العلاء بن الحضرمي:

بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تيسفير كزيم هو العلاء ابن الحضرمي - إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين، يدعو به إلى الإسلام وقد "بعثه عند منصرفه من الجعرانة . . . . وكتب إليه كتابا . . . . وبعث معه أبا هريرة. فقرأ العلاء كتابه على الناس وأخذ صدقاتهم . . . ." (١) . ونرى الرسول (ص) هنا أقوى مركزاً، وأنفذ كلمة، وأبعد صوتاً . . . يشترط الإسلام أو الجزية و" كتابه - صلى الله عليه وسلم - إلى المنذر بن ساوى، نشر المستشرق الألماني (فلايشر) صورته في مجلة (جمعية المستشرقين الألمان ( ZOMG ) (٢) .

#### ٧- عمرو بن العاص:

بعثه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ذي القعدة سنة ثمان من مهاجره، إلى جعفر وعبد ابني الجندى، وهما من الأزدي، والملك منهما جيفر يدعوهما إلى الإسلام، وكتب معه إليهما كتابا . . . ." (٣) . وبعد نقاش أسلماً، وظل عمرو مقيماً معهما حتى وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام .

#### ٨- سليط بن عمرو العامري:

بعثه النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى هوزة بن على، صاحب اليمامة، وأرسل معه رسالة إليه، فلما قدم عليه سليط بكتاب رسول الله -

(١) نفسه ١٦٧، ١٦٦/١٨ والسيرة النبوية لابن هشام ٤/٤٤٩ والكتانة والكتاب في عهد النبي (ص) ٣٣ .

(٢) الكتانة والكتاب في عهد الرسول (ص) ص ٣٧ .  
(٣) نهاية الأرب ١٦٧/١٨ ، وزاد المعاد ١١٦ والسيرة النبوية لابن هشام ٤/٤٤٩ .

لى الله عليه وسلم — مختوماً، أنزله منزلاً كريماً، وقرأ عليه الكتاب  
رد على رسالة النبی — صلى الله عليه وسلم . وأجاز سلیط مبعوث  
بى الکرم بجائزة، وکساه أثواباً من نسج هجر، ولكنه طلب من النبی  
صلى الله عليه وسلم — أن يجعل له بعض الأمر حتى یتبعه، فلما علم  
بى — صلى الله عليه وسلم — رفض ودعا علیه (١) .

### ٩- المهاجرین أبى أمیه المخزومی:

بعث صلى الله عليه وسلم — المهاجر بن أبى أمیه المخزومی إلى  
حارث الحمیری وهو الحارث بن عبد کلال ملك الیمن (٢) وبه قتل  
ضاً بن هشام: بعث المهاجرین أمیه المخزومی إلى الحارث بن عبید  
کلال الحمیری ملك الیمن (٣) .

### ١٠- شجاع بن وهب الأسدی:

بعث النبی — صلى الله عليه وسلم — شجاع بن وهب الأسدی  
لى الحارث بن أبى شمر الغسانی. وكان بغوطة دمشق (٤) وزوده برسالة  
کتوبة، ولم یسلم الحارث، ودعا علیه النبی صلى الله عليه وسلم، فباد  
یباد ملکه .

### ١١- معاذ بن جبل، وأبو موسى الأشعری، وعلى بن أبی

#### طالب إلى الیمن .

وبعث علیه الصلاة والسلام أباً موسى الأشعری، ومعاذ بن جبل  
إلى الیمن، وذلك عند انصرافه علیه الصلاة والسلام من تبوک، وقيل: سنة

(١) نفسه ١٦٦/١٨، سفراء النبی ٤٢ والسيرة النبوية لابن هشام ٤٤٩/٤ .

(٢) نفسه ١٦٨/١٨، زاد المعاد ١١٧ .

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٤٥٠/٤ .

(٤) سفراء النبی ٤٤ والسيرة النبوية لابن هشام ٤٤٩/٤ .



عثر من ربيع الأول ثم أوفد إلى اليمن كذلك على بن أبي طالب كرم الله وجهه<sup>(١)</sup> .

## ١٢- جرير بن عبد الله البجلي:

وقد ذكر محمد بن سعد بن منيع في طبقاته الكبرى، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم — بعث جرير بن عبد الله البجلي إلى ذي الكلاع ابن ذكور بن حبيب بن مالك بن حسان بن تبع، وإلى ذي عمرو يدعوهما إلى الإسلام فأسلما<sup>(٢)</sup> .

وكان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قد بعث أسراءه وعمله على الصدقات . إلى كل ما أوطأ الإسلام من البلدان، فبعث المهاجر بن أبي أمية بن المغيرة إلى صنعاء، فخرج عليه الأسود العنسي وهو بها .

وبعث زياد بن لبيد أخا بني بياضة الأنصاري إلى حضرموت وعلى صدقاتها .

وبعث عدي بن حاتم على طيئ وصدقاتها، وعلى بني أسد .  
وبعث مالك بن نويرة — قال ابن هشام: السريوي — على صدقات بني حنظلة، وفرق صدقة بني سعد على رجلين منهم، فبعث:  
— الزبرقان بن بدر، على ناحية منها .  
— وقيس بن عاصم ، على ناحية .  
— وكان قد بعث العلاء بن الحضرمي على البحرين .

(١) راد المعاد ١١٧، ٢٤٦، وصحيح البخاري ٨١/٣ ط دار الفتح الإسلامي —  
إسكندرية وسفراء النبي عليه السلام ٥٣، نهاية الأرب ١٦٨/١٨، ١٦٩ .  
(٢) نهاية الأرب ١٦٨/١٨ وسفراء النبي ٥٣ وراد المعاد ١١٧ .

-وبعث على بن أبي طالب - رضوان الله عليه - إلى نجران  
ليجمع صدقتهم ويقدم عليه بجزيتهم" (١) .

• • •

هذا - استعراض للوفادات التي وفدت على سيدنا رسول الله -  
صلى الله عليه وسلم - في المراحل الثلاث، التي تكلمت عنها آنفاً، ويقع  
معظمها في العام التاسع - المسمى بعام الوفود .

ثم للسفارات التي تفضل عليه السلام بإيفاد أعصانها - يحملون  
رسئله ويبلغون الموفدين إليهم، ويتلقون ردهم عليها، ويقع معظمها في  
العام السابع للهجرة، أي أن السفراء كانوا أسبق بأداء مهامهم من الوفود  
التي بدأ مجيئها إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما بعد .

وهناك وفادات أخرى - في عهد الخلفاء الراشدين - رضوان الله  
عليهم - ثم في عصر بني أمية، ثم العصر العباسي .  
وسأتناول منها أهم الوفادات، وما دار فيها من نصوص أدبية هي  
موضوع الدراسة في هذا البحث - إن شاء الله تعالى .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٤/٤٤٤ وبهاية الار - ١٦٩/١٨ .

# الفصل الأول

## نماذج من نصوص

### أدب الوفود

من المعروف أن كل وفد من الوفود التي سبق تناولها بالعرض — وكذا السفارات — كان لكل منها لون من التعبير فيما دار بين هذه الوفود ومَن توجهوا إليهم، وما تضمنته هذه الرسائل التي حملوها عن عبارات وأساليب .

وقد أُشرت — فيما سبق — إلى تخصيص هذا المبحث لتناول هذه النصوص، بالعرض والشرح والتحليل .

ونظرًا لخدمة كمية هذه النصوص، رأيت أن أختار منها نماذج تكون تصويرًا لما تحمله هذه النصوص في كل عصر من العصور المختلفة:

أ- عصر ما قبل الإسلام .

ب- عصر صدر الإسلام (النبوة والخلافة) .

ج- عصر الدولة الأموية .

د- عصر الدولة العباسية .

## ١: عصر ما قبل الإسلام

من أبرز الوفود التي تصوّر تلك المرحلة، وفادة النعمان بن المنذر، ووفادة رسله إلى كسرى أنى شروان، ثم وفادة الصقعب بن عمرو النهدي، وعامر بن جوين على النعمان بن المنذر، ثم وفادة قریش على سيف بن ذى یزن بعد قتله الحبشة .

١- وفادة النعمان بن المنذر على كسرى أنى شروان: (١) فقد

روى ابن القطامي عن الكلبي قال: (٢)

قَدِمَ النعمان بن المنذر على كسرى - وعنده وفود الروم والهند والصين، فذكروا من ملوكهم وبلادهم، ففتخر النعمان بالعرب، وفضلهم على جميع الأمم، لا يستثنى فارس ولا غيرها .

فقال كسرى: (وأخذته عِزَّةُ المُك) : يا نعمان، لقد فكرتُ في أمر العرب وغيرهم من الأمم، ونظرت في حالة من يقدم على من وفود الأمم، فوجدت للروم حظا في اجتماع الفتيان، وعظيم سلطانها، وكثرة مدائنها، ووثيق بنيانها، وأن لها ديناً يبين حلتها وحرامها، ويرد سفيهاها ويُقيم جاهها .

ورأيتُ الهند نحواً من ذلك في حكمتها وطبها، مع كثرة أنهار بلادها وثمارها، وعجيب صناعتها، وطيب أشجارها، ودقيق حسابها، وكثرة عددها .

---

(١) جمهرة خطب العرب في العصر الجاهلي . احمد زكي صفوت ٥/١ ط عيسى الحلبي / مصر/ ١٩٦٢ ط ٢ .

(٢) العقد الفرید م ٢ ع ١٠ ص ٦ وما بعدها ح ١ م عن ربه تحقيق د/احمد يسرى . ط / دار الإمام على (المعاني) مصر س ١٩٩٢ .  
العقد الفرید ١/ ٢٢٨ وما بعدها تحقيق/ محمد سعد العرييان ط/ دار الفكر، وجواهر الأدب ١/ ١٨٨ وما بعدها احمد الهانمي ط. بيروت .

وكذلك الصين في اجتماعها، وكثرة صناعات أيديها في آلة الحرب. وصناعة الحديد، وفروسيتهَا وهمتها، وأن لها مَلَكًا يجمعها. والترك والخزر على ما بهم من سوء الحال في المعاش، وقلّة الريف والثمار والحصون، وما هو رأس عمارة الدنيا من المساكن والملابس، لهم ملوك تضم قواصِيهم، وتدبّر أمرهم.

ولم أر للعرب شيئاً من خصال الحير في أمر دين ولا دنيا، ولا حزم ولا قوة، ومع أن مما يدل على مهانتها وذلتها، وصغر همتها محلّتهم التي هم بها مع الوحوش النافرة، والطير الحائرة، يقتلون أولادهم من الفاقة، ويكُلُّ بعضهم بعضاً من الحاجة. قد خرجوا من مطاعم الدنيا وملابسها. ومشاربها ولهوها، ولذاتها، فافصل طعام ظفر به ناعمهم لحوم الإبل، التي يعافها كثير من السباع لتقلها، وسوء طعمها، وخوف دائها وإن قرى أحدهم ضيفاً عدها مكرومة، وإن أُطِعمَ أكلها عدها غنيمة، تنطق بذلك أشعارهم، وتفتخر بذلك رجالهم، ما خلا هذه التتوخية<sup>(١)</sup> التي أسس جدى اجتماعها، وشد مملكتها، ومنعها من عدوها، فجرى لها ذلك إلى يومنا هذا، وإن لها مع ذلك أثاراً وليوساً<sup>(٢)</sup>، وقُرى وحصونا، وأمورا تشبه بعض أمور الناس — يعني اليمَن — ثم لا أراكم تستكينون على ما بكم من الذلة والقلّة والفاقة والبؤس، حتى تفتخروا، وتريدون أن تنزلوا فوق مراتب الناس.

#### قال النعمان:

أصلح الله الملك. حق لأمة المَلِكُ منها أن يسمو فضلها، ويعظم خطبها، وتعلو درجتها. إلا أنْ عندي جواباً في كل ما نطق به المَلِك، في غير رد عليه، ولا تكذيب له، فإن أمنتني من غضبه نطقته به.

(١) تتوخ: حى من العرب أو من البصر، أو قبيلة، مشتق من تتخ، بمعنى ثبت وأقام، لأنهم اجتمعوا وتحالفوا ففتحوا.  
(٢) الليوس: الدرع.

قال كسرى: قُرْ فَأَنْتَ امِنْ .

قال النعمان: أما أُمْتُكَ أيتها الملك فلبستُ تُتَازَعُ في الفضل لموضعها الذي هي به من عقولها واحلامها وبسطة محلها، وبحبوحة عزها، وما أَكْرَمَها الله به من ولاية أبنائك، وولايته، وأما الأُمم التي ذكرت، فأى أمة تقرنها بالعرب إلا فضلتها .

قال كسرى: بماذا؟

قال النعمان:

بعزها وَمَنْعَتها، وحسن وجوهها وبأسها وسخاؤها، وحكمة سنتها، وشدة عقولها وَأَنْفَتها ووفائها .

فأما عِزُّها وَمَنْعَتها، فإنها لم تزل محاورة لأبنائك الذين دَوَّخُوا البلاد، ووطَّدوا الملك، وقادوا الجند، لم يطمع فيهم طامع، ولم ينلهم نائل حصونهم ظهور خيلهم، ومهادهم الأرض، وسقوفهم السماء، وجُنَّتْهم السيوف، وعدتُّهم الصبر، إذ عِزُّها من الأُمم إنما عزها الحجارة والطين وجزائر البحور .

وأما حُسْنُ وجوهها وألوانها: فقد يُعْرَفُ فضلهم في ذلك على غيرهم من الهند المنحرفة، والصين المنحفة، والترك المشوهة، والروم المقشرة .

وأما أنسابها وأحسابها: فليست أمة من الأُمم إلا وقد جَهِلَتْ آباءها وأصولها وكثيرا من أولها، حتى إن أحدهم ليُسَلَّ عن وراء أبيه دُنْيَا (١) فلا ينسبه ولا يعرفه، وليس أحد من العرب إلا يسمى أباه أباً فأباً حاطوا بذلك أحسابهم، وحَفِظُوا به أنسابهم، فلا يدخل رجل في غير قومه ولا ينتسب إلى غير نسبه، ولا يدعى إلى غير أبيه .

(١) دُنْيَا (بضم الدال وكسرها مع التثوين، وكسرهما بلا تثوين) : أى لَحْماً لاصقاً بالنسب .

وأما سُخَاوُهَا: فإن أدناهم رجلاً الذي تكون البكرة والذباب عليهما بلاغه<sup>(١)</sup> في حمولة وُسْبَعُهُ وَرَبْعُهُ، ففُتْرُهُ الضَّارِقُ<sup>(٢)</sup> الذي يكتفى بالقلدة<sup>(٣)</sup>، ويجترى بالشربة، فيعقرها له، ويرصى أن يخرج عن ديناه كلها، فيما يُكَيِّبُهُ حسن الأحداثِ وطيب الذكر.

وأما حِكْمَةُ أَلْسِنَتِهِمْ: فإن الله تعالى أَعْضَاهُمْ فِي أَشْعَارِهِمْ وَرَوْنَقِ كَلَامِهِمْ وَحُسْنِهِ وَوُزْنِهِ وَفَوَافِيهِ، مع معرفتهم بالأمشياء، وضربهم لأمثال وإبلاغهم في الصفات ما ليس لشيء من ألسنة الأجناس. ثم خيلهم أفضل الخيل، وتساوهم أعفُ النساء، وليأشهم أفصل اللباس، ومعادنهم الذهب والنفضة، وحجارة جبالهم الجرع<sup>(٤)</sup>، ومذمم التي لا يُبْلَغُ عَلَى مَثَلِهَا سَعْرٌ، وَلَا يُقَطَّعُ بِمِثْلِهَا نَدَقَرٌ.

وأما دِينُهَا وَشَرِيعَتُهَا: فإنهم متمسكون به، حتى يبلغ أحدهم من نسكه بدينه أن لهم شهراً حُرَّماً، وبلداً محرَّماً، وبيتاً محجوجاً، ينسكون فيه مناسكهم، ويذبحون فيه ذبائحهم، فيلقى نرجل قاتل أبيه أو أخيه، وهو قاتل على أخذ ثأره، وإدراك رغبته منه، فيحجزه كرمه، ويمنعه دينه عن تناوله بأذى.

وأما وَفَاؤُهَا: فإن أحدهم يلحظ اللحظة، ويومئ الإيماء فهي ولت<sup>(٥)</sup> وعقدة، لا يحلها إلا خروج نفسه، وإن أحدهم ليرقع عودا من الأرض، فيكون رهنا بدينه، فلا يغلق رهنه<sup>(٦)</sup>، ولا تخفر ذمته<sup>(٧)</sup>، وإن أحدهم ليبلغه أن رجلاً استجار به، وعسى أن يكون نائيباً عن داره

(١) الباب: النافذة المسنة {عكس النكرة}، بلاغه: معناه وكفايته.

(٢) الطارق: الزائر لبلد.

(٣) القلدة: القطعة.

(٤) الجرع: (بالفتح والكسر) خرز معاني فيه سو - واصر.

(٥) ولت: الولت العهد.

(٦) غلق الرهن: لم يغدر راضيه على تحليصه من - المرئيين في الموعد المشروط.

فصار ملكاً للمرتين، وقد أبطله الإسلام.

(٧) لا تخفر ذمته: لا ينقض عهده ولا يغدر.

فيصاب فلا يرضى حتى يُقْنَى نِكَ القليلة التي أصابته، أو تَقْنَى قبيلته لما خسر من جواره، وإبه ليلجا إليهم المجرم المحدث من غير معرفة ولا قرابة، فتكون أنفسهم دون نفسه، وأموالهم دون ماله.

وأما قولك أيها الملك: يَبْذُونَ أَوْلَادَهُمْ، فإنما يفعله مَنْ يفعله منهم بالإناث أنفة من العار، وغيره من الأزواج.

أما قولك: إِنْ أَفْضَلَ طَعَامِهِمْ لَحُومَ الْإِبِلِ، على ما وصفت منها فما تركوا ما دونها إلا احتقاراً له، فعمدوا إلى أجْلِها وأفضْلِها، فكانت مراكبهم وطعامهم، مع أنها أكثر البهائم شحوماً، وأطيبها لحوماً، وأرقها ألباناً، وأقلها غائلة، وأحلاها تحضغة، وإبه لا شيء من اللحمان يعالج ما يعالج به لحمها إلا استئان فضلها عليه.

وأما تَحَارُّبُهُمْ وَأَكَلُ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وتركهم الانقياد لرجل يسوسهم ويجمعهم، فإنما يفعل ذلك مَنْ يفعله من الأمم، إذا أنست من نفسها ضعفًا وتخوفت نهوض عدوها إليها بالزحف، وإبه إنما يكون في المملكة العظيمة أهل بيت واحد، يُعْرِفُ فضلهم على سائر غيرهم، فيلقون إليهم أمورهم، وينقادون لهم بأزمتهم: وأما العرب فإن ذلك كثير فيهم، حتى لقد حاولوا أن يكونوا ملوكاً أجمعين، مع أنفقتهم من أداء الخراج والوظف<sup>(١)</sup> بالعنف.

وأما اليمن التي وصفها الملك: فإنما أتى جد الملك الذي<sup>(٢)</sup> أنشأه عند غلبة الحبش له على مُلْك مَنَسَق، وأمر مجتمع، فأنشأه مسلوباً طريقاً مستصرخاً، وقد تقاصر عن إيوائه، وصغر في عينه ما شيد من بنائيه

(١) الِوظَف: طرد الطريدة والجذ في أثرها.

(٢) الذي فاعل أنى. والمقصود به سف بن ذى يبر الذي استجد بجد كسرى على الحبش.



ولولا ما وُتِرَ<sup>(١)</sup> به من يليه من العرب لمال إلى مجال، ولو جَدَّ مَنْ يُجِيد  
الطِّعَان، وَيُفَضِّلُ لِلْأَحْرَارِ من غلبة العبيد الأشرار .

قال: فَعَجِبَ كسرى لما أجابه النعمان به، وقال: إنك لأهل  
لموضعك من الرياسة في أهل إقليمك، ولما هو أفضل .  
ثم كساه من كسوته، وسرَّحه إلى موضعه من الجيرة .

\* \* \* \*

### حول النص:

هذه الوفادة من أشهر الوفادات في عصر ما قبل الإسلام بين  
العرب وغيرهم، فقد كانت بين النعمان بن المنذر — الملك العربى —  
وكسرى الفرس أنى شروان، وقد يُعْتَرَضُ بأن كسرى لسانه فارسى  
فكيف يحاور عربيا؟ والرد يسير، ولا يتعدى أحد أمرين:  
إما أن يكون كسرى يعرف العربية، وهو احتمال قد يكون  
ضعيفا .

وإما أن يكون له مترجم، ينقل ما يدور من العربية إلى الفارسية  
وبالعكس، وهو ما أرجّحه، وإن كان بعض المؤلفين ذكر أن كسرى كان  
يعرف أكثر من لغة منها العربية .

\* فى بداية اللقاء، نرى كسرى محاطا بكوكبة من وفود الأمم  
الأخرى غير العربية، فرأى النعمان أن من حقه أن يعتز بعروبته وأُمته .  
وأنها أفضل الأمم جمعاء .

وهنا نجد كسرى تأخذه نبرة العصبية، وعزة الملك، فينال من أمة  
العرب، ويُنْقَصُ قدرها، ويُفَضِّلُ عليها الأمم الأخرى، مدعيا أن لِأُمَّة

---

(١) وتريه: تعلق به .

الروم حظاً في اجتماع ألفتها، و غنم سلطانيها و حضرتها كثرة منسبها و تدينها، وما لهذا الدين من اثر أخلاقي و اجتماعي .

وأن للهند ما للروم من تحضر و رقي و تماسك، إلى جانب كثرة خيراتها من أنهار و ثمار و صناعات و حكمة و طب . كما أن للصين كذلك من مظاهر الاجتماع و الصناعات و بخاصة آلة الحرب و فروعيتها، أما الترك و الخزر فلهم ملوك يضمون قواصيم و يدبرون أمورهم، على ما هم فيه من سوء حال المعاش، و هو بذلك ينال من العرب، و يصمم بالفوضى و عدم تحصيل شئ من أمور الحذر، و يرى فيهم المهانة و الخذل و ارتكاب الرذائل كواد البذخ، و إغارة بعضهم على بعض، و يذم طعامهم من لحم الإبل، و أن الكرم الذي يتحدثون عنه يعده الواحد منهم مكرمة أو غنيمة، يستثنى من ذلك اليمن التي أسسها جده .

و هي بلا شك — روح عنصرية عصبية، غلبت على كسرى و جعلته يقدم على هذا الاتهام لأمة العرب، مسبباً لضيفه حرجاً، و هو عمل يتنافى و أخلاق الملوك و لكنها الغطرسة التي سيطرت على كسرى فارس فقال ما قال .

ومما لا شك فيه — أن ذلك الموقف أثار حفيظة النعمان، فقام يرد عن العرب، و أخذ يفند كل ما قاله كسرى، فطلب منه الأمان فأمنه، فبدأ بأن أقر لأمة المَلِك بفضلها، و بما هي عليه من راحة العقول و بسطة المحل، و بحبوبة العز، و تداول المُلك في أجداد و آباء كسرى، و لكن أى فضل للأُمم الأخرى التي ذكرها؟ إنها أمة ذابغة، لا سيادة لها ولا عز و أمة العرب تفصل أيّاً منها بعزّها و مَنَعَتِها و حُسْنِ و جُودِها و يَأْسِها و سخاؤها، و حكمة ألسنتها، و شِدَّة عقولها و أنفَتِها و وقائِها و تَدَيُّنِها و شريعتهَا، أما ما ذكره من العيوب، فهي ليست عيوباً، و أخذ يشرح له أسرار ذلك حتّى عَجِبَ منه كسرى، و لم يغب الأمر عند ذلك بل إن

النعمان عندما عاد إلى دياره استفر مجموعته من فُصحاء العرب وحكّامتهم، وشرح لهم ما دار بينه وبين كسرى. وما كان منه من تهجين أمر العرب وتنقصهم، وطلب منهم الشخوص إليه. والتحدث بين يديه بما يُعَلِّي قدر العرب، ويرد إليهم ما وُجّه إليهم من إهانة كسرى، فكان أن تجهزوا، ولبسوا أفضل الثياب، وتزوّدوا بما يمكنهم من الرحلة وأداء المهمة.

وهذا ما نجده في النص التالي:

## ٢- وقادة رُسل النعمان على كسرى (١):

لما قَدِم النعمان الحيرة، وفي نفسه ما فيها مما سمع من كسرى من تنقص العرب، وتهجين أمرهم. بعث إلى أكتم بن صيفي. وحاجب بن زرارة التميميين. وإلى الحارث بن عباد وقبس بن مسعود البكريين، وإلى خالد بن جعفر، وعلفمة بن معد يكرب الزبيدي، والحارث بن ظالم المري. فلما قدموا عليه في الخورنق (٢) قال لهم: قد عرفتم هذه الأعاجم وقرب جوار العرب منها، وقد سمعتم من كسرى مقالات تخوفت أن يكون لها غور، أو يكون إنما أظهرها لأمر أراد أن يتخذ به العرب خولا (٣) كبعض طماطمته (٤) في تأديتهم الخراج إليه، كما يفعل بملوك الأمم الذين حوله.

فاقتص عليهم مقالات كسرى، وما ردّ عليه؛ فقالوا: أيها الملك وفقك الله. ما أحسن ما رددت، وأبلغ ما حجّبتَه به، فمرنا بأمرِك، وادعنا إلى ما شئت.

(١) العقد الفريد م ٢ ع ١٠ ص ١٠ وما بعدها - ت/احمد بسري.  
ج ١ ص ١٣١ وما بعدها - ت/محمد سعيد العريان.

(٢) الخورنق: قصر كان للنعمان بالحيرة.

(٣) الخول: العبيد.

(٤) الطماطمة: الذين في لسانهم عجمة يريد رعبته من العجم.

فَقِيلَ: إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ، وَإِنَّمَا مَلِكْتُ، عَزَزْتُ بِمَكَانِكُمْ، وَمَا يَخْوَفُ مِنْ تَأْخِيْبِكُمْ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ سُدِّدِ اللَّهِ بِهِ أَمْرَكُمْ، وَأَصْلَحَ شَأْنَكُمْ، وَأَدَامَ عَرْكَكُمْ، وَالرَّأْيُ أَنْ تَسِيرُوا بِجَمَاعَتِكُمْ أَيُّهَا الرُّهْطُ، وَتَنْتَلِقُوا إِلَى كِسْرَى، فَإِذَا دَخَلْتُمْ نَطَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ مَا حَضَرَهُ، لِيَعْلَمَ أَنَّ الْعَرَبَ عَلَى غَيْرِ مَا ظَنُّوا حَدِثَتْهُ نَفْسُهُ، وَلَا يَنْطِقُ رَجُلٌ مِنْكُمْ بِمَا يُغْضِبُهُ، فَإِنَّهُ مَلِكٌ عَظِيمُ السُّلْطَانِ، كَثِيرُ الْأَعْوَانِ، مُتَرَفٌ، مُعْجَبٌ بِنَفْسِهِ، وَلَا تَخْزَلُوا<sup>(١)</sup> لَهُ أَنْخَزَالَ الْخَاضِعِ الذَّلِيلِ، وَلَيْكِنْ أَمْرٌ بَيْنَ ذَلِكَ، تَظْهَرُ بِهِ وَثَقَةُ حُلُومِكُمْ، وَفَضْلُ مَزَلِكُمْ، وَعِظْمَةُ اخْضَرِكُمْ، وَلَيْكِنْ أَوَّلُ مَنْ يَبْنِئُ مِنْكُمْ بِالْكَلامِ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفَى لَسَنَى مَحَلِّهِ، ثُمَّ نَشَعُوا عَلَى الْأَمْرِ مِنْ مَنَازِلِكُمْ الَّتِي وَضَعْتُمْ بِهَا، وَإِنَّمَا دَعَانِي إِلَى نِعْمَةٍ بِبَيْنِكُمْ عِلْمِي بِمِيلِ كُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ عَلَى التَّقَدُّمِ قَبْلَ صَاحِبِهِ، فَلَا يَكُونَنَّ ذَلِكَ مِنْكُمْ، فَيَجِدُ فِي أَدَابِكُمْ مَطْعَنًا، فَإِنَّهُ مَلِكٌ مُتَرَفٌ، وَقَادِرٌ مُسْلُطٌ.

ثُمَّ دَعَا لَهُمْ بِمَا فِي خَرَائِنِهِ مِنْ طَرَائِفِ حُلُلِ الْمُلُوكِ، كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ حُلَّةً، وَعَمَمَةً عِمَامَةً، وَخَتَمَةً<sup>(٢)</sup>، وَأَمَرَ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ بِنَجِيْبَةٍ مَهْرِيَّةٍ<sup>(٣)</sup> وَفَرَسٍ نَجِيْبَةٍ، وَكَتَبَ مَعَهُمْ كِتَابًا:

"أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْمَلِكَ أَلْقَى إِلَيَّ مِنْ أَمْرِ الْعَرَبِ مَا قَدْ عَلِمَ، وَأُجِيبَتْهُ بِمَا قَدْ فَهِمَ بِمَا أَحْبَبْتُ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ عَلَى عِلْمٍ، وَلَا يَتَلَجَّجُ فِي نَفْسِهِ<sup>(٤)</sup> أَنْ أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ، الَّتِي احْتَجَزَتْ دُونَهُ بِحِكْمَتِهَا، وَحَمَتْ مَا يَلِيهَا بِفَضْلِ قُوَّتِهَا تَبْلُغَهَا فِي شَيْءٍ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يَتَعَزَّزُ بِهَا ذُووُ الْحَزْمِ وَالْقُوَّةِ وَالتَّدْبِيرِ وَالْمَكِيدَةِ، وَقَدْ أَوْفَدْتُ أَيُّهَا الْمَلِكُ رَهْطًا مِنَ الْعَرَبِ، لَهُمْ فَضْلٌ فِي أَحْسَابِهِمْ

(١) لَا تَخْزَلُوا: لَا تَنْتَذِلُوا وَتَسْتَضِعِفُوا أَنْفُسَكُمْ.

(٢) خَتَمَتُهُ: الْبِسْمَةُ الْخَاتَمُ.

(٣) الْمَهْرِيَّةُ: مَوْثِقُ النِّجَابِ: الْفَاضِلُ. وَنَحَائِبُ الْأَمْلِ حَنَارُهَا الْمَهْرِيَّةُ: بِجَانِبِ تَسْبِيقِ

الْخَيْلِ نَسَبَةً إِلَى قَبِيلَةِ مَهْرَةَ.

(٤) يَتَلَجَّجُ فِي نَفْسِهِ: يَتَرَدَّدُ فِيهَا.

وانسابهم وعقولهم وادابهم. فليسمع الملك. ولغمض عن جفاء ان ظهر من منطفهم. وليكرمنى باكر امهم، وتعجيل سر احهم. وقد نسببتهم فى اسفل كتابى هذا إلى عشائره\*.

فخرج القوم فى أهبتهم حتى وقفوا بباب كسرى بالمدائن، فدفعوا إليه كتاب النعمان فقرأه، وأمر بإنزالهم إلى أن يجلس لهم مجلسا يسمع منهم. فلما أن كان بعد ذلك بأيام، أمر مراربتة<sup>(١)</sup> ووجوه أهل مملكته فحضرُوا وجلسوا على كراسى عن يمينه وشماله، ثم دعا بهم على الولاء والمراتب التى وضعهم النعمان بها فى كتابه، وأقام الترجمان ليؤدى إليه كلامهم، ثم أذن لهم فى الكلام.

#### ١- فقام أكتهم بن صيفى، فقال:

ان أفضل الأشياء أعاليها. وأعلى الرجال ملوكها، وأفضل الملوك أعمها نفعا، وخير الأزمنة أخصبها، وأفضل الخطباء صدقها. الصدق منجاة، والكذب مهواة، والشر لاجاة<sup>(٢)</sup>، والحزم مركب صعب، والعجز مركب وطى<sup>(٣)</sup> أفة الرأى الهوى، والعجز مفتاح الفقر، وخير الأمور الصبر، حسن الظن ورطة<sup>(٤)</sup>، وسوء الظن عصمة. إصلاح فساد الرعية خير من إصلاح فساد الراعى، من قسدت بطانته كان كالغاصر بالماء. شر البلاد بلاد لا أمير بها، شر الملوك من خافه البرى. المرء يعجز لا المحالة<sup>(٥)</sup>. أفضل الأولاد البركة<sup>(٦)</sup>. خير الأعوان من لم

(١) المرازبة: الرؤساء من الفرس.

(٢) لاجاة: تمادى الخصمين فى النزاع والخصومة.

(٣) وطى: لين سهل.

(٤) الورطة: كل أمر تعسر النجاة منه.

(٥) المحالة: الحيلة.

(٦) البررة: جمع بار. من بر والديه. توسع فى الاحسان اليهما ووصلهما.

اء (١) بالنصيحة . أحق الجنود بالنصر مَنْ حَسُنَتْ سريره (٢) . يكفيك  
ن الزاد ما بَلَغَ المحل . حسبك من شرِ جماعة . الصمت حكم (٣)  
قَلِيل فاعله . البلاغة الإيجاز . من شئتَ غر . ومن تراخى تألف .

فتعجب كسرى من أكتُم، ثم قال: ويحت يا أكتُم! ما أحكَمَك وأوثَقَ  
لأمك، لولا وضعك كلامك في غير موضعه .  
قال أكتُم: الصدق ينبي عنك لا الوعد .  
قال كسرى: لو لم يكن للعرب غيرك تكفى .  
قال أكتُم: رب قول أنعد من صول (٤) .

٢- ثم قام حاجب بن زرارة التميمي . فقل:  
وَرَى زَنْدُكَ (٥) ، وَعَلَتْ يَدُكَ ، وَهَيْبَ سَنْطَنُكَ .  
إن العرب أمةٌ قد غلظت أكبادُها، واستحصدت مِرَّتَها (٦) ، ومنعت  
دِرَّتَها (٧) ، وهى لك واميقة (٨) ما تألفتها، مسترسلة ما لا يَنْتَها، سامقة مما  
سامحتها، وهى العلقمُ مرارة، والصاب (٩) غضضة، والعسل حلاوة  
والماء الزلال (١٠) سلاسة .

(١) المراءاة: اظهار عكس الحفيفة .  
(٢) السريرة: ما نكتكم ويسر .  
(٣) الحكم: الحكمة .  
(٤) الفتول: محاولة القهر .  
(٥) ورى الزند: خرجت ناره . والزند العود الذى يدع به النار . يقال لمن أعان  
وانجد .  
(٦) المرة: اشتدت قوتها .  
(٧) الدرة: اللبن أو كثرته .  
(٨) واميقة: محبة .  
(٩) الصاب: شجر مر له عصارة شديدة المرارة صرة .  
(١٠) الزلال: العذب الصافي البارد .

نحن وفودها إليك، وألّينتها لديك، ذمتنا (١) محفوظة، وأحسابنا (٢) ممنوعة، وعشائرنا فينا سامعة مطيعة، إن نؤب (٣) لك حامدين خيرا، فلك بذلك عموم محمدتنا، وإن نذم لم تختص بالذم دونها .

قال كسري: يا حاجب . ما أشبه حجر التلال بألوان صخرها .

قال حاجب: بل زئير الأسد بصّولتها .

قال كسري: وذلك .

٣- ثم قام الحارث بن عباد البكري، فقال: دامت لك المملكة باستكمال جزيل حظها، وعلو سنانها، من طال رشّاه كثير متّحه (٤) ومن ذهب ما له قلّ متّحه . تتأقل الأقاويل يُعرّف به اللّجب، وهذا مقام سيوجف (٥) بما ينطق فيه الركب، وتُعرف به كنه حالنا العجم والعرب نحن جيرانك الأدنون، وأعوانك المعينون، خيولنا جمّة، وجيوشنا فخمّة إن استجّدتنا فغير رُبض (٦) . وإن استطرقتنا فغير جُهض (٧) وإن طلبتنا فغير غُمض (٨)، لا ننثى لذعر، ولا نتكر لدهر، رما حنا طيوال وأعمارنا قصار .

قال كسري: أنفُسٌ عزيزة، وأمة والله ضعيفة .

قال الحارث: أيها الملك، وأنّى يكون لضعيف عِزة، أو لصغير

مرّة؟

- 
- (١) الذمة: العهد والأمان .  
 (٢) الحسب: الشرف والمأثر .  
 (٣) نؤب: زجع .  
 (٤) الرشاد: الحبل والمنتج: إخراج الماء من البئر .  
 (٥) الإيجاف: سرعة السير .  
 (٦) ربض: جمع ربوض — من ربضت الفهم وغيرها: أقامت مكانها ولزمته: أى غير كسالى ولا متخاذلين .  
 (٧) غير جهض: إذا استعنت بنا لم نجب رجاءك ساقطين .  
 (٨) غير غمض: غير نيام عن نصرك .

قال كسرى: لو قصر عمرك، لم تستول على لسانك نفسك.

قال الحارث: أيها الملك، إن الفارس إذا حمل نفسه على الكتيبة مغرراً<sup>(١)</sup> بنفسه على الموت فهي منية استقبلها، وحياة استديرها والعرب تعلم أني أبعتُ الحربَ قداماً، وأحبسها وهي تصرف بهم<sup>(٢)</sup> حتى إذا جاشت نارها<sup>(٣)</sup> وسعرت لظأها، وكشفت عن ساقها، جعلتُ مقادها رمحي، وبرقها سيفي، ورعدها زنبيري، ولم أقصر عن خوض خضاضتها<sup>(٤)</sup>، حتى أنغمس في غمرات لججها<sup>(٥)</sup> وأكون فلكا بفرساني إلى بحبوحة كبشها<sup>(٦)</sup> فأستمطرها دماً، وأترك حماتها جزر السباع<sup>(٧)</sup> وكل نسر قشعم<sup>(٨)</sup>.

ثم قال كسرى لمن حضره من العرب: أكنذك هو؟

قالوا: فعاله أنطق من لسانه.

قال كسرى: ما رأيت كالاليوم وقدأ احتشد، ولا شهوداً أوفد.

٤- ثم قام عمرو بن شديد السلمي، فقال: أيها الملك، نعيم بالك ودام في السرور حالك، إن عاقبة الكلام تدبرة، وأشكال الأمور معتبرة وفي كثير ثقله<sup>(٩)</sup>، وفي قليل بلغة<sup>(١٠)</sup> وفي الملوك سورة العز. وهذا موطن له ما بعده، شرف فيه من شرف، وخمل فيه من خمل، لم نأت

(١) مغرراً بنفسه: معرضاً لها.

(٢) تصرف بهم: تقلبت.

(٣) جاشت نارها: اشتدت وامتد لهبها.

(٤) خضاضتها: المكان الكثير الماء والشجر.

(٥) اللجج: جمع لجة: معظم الحرب.

(٦) البحبوحة: الوسط والخيار والكبس: سيد القوم.

(٧) جزر السباع: اللحم الذي تأكله.

(٨) القشعم: الضخم المسن.

(٩) الثقل: الفتور في الجسم من كثرة الأكل. شبه به رذيل الكلام وما لا خير فيه.

(١٠) البلغة: ما يكفي لسد الحاجة.



نصيمك، ولم تَفِدْ لِحطك، ولم تنعِضْ لِرِفْدك (١) ان في أموالنا مرتفداً  
وعلى عزنا معتمداً، ان أوربا تاراً اتقينا (٢) وان أود (٣) دهر بناء اعتدنا  
إلا أنا مع هذا لجوارك حافظون، ولمن رامك مكافحون، حتى يحمدا  
الصدر (٤) ويستطاب الخير.

قال كسرى: ما يقوم قصد منطقك بإفراطك، ولا مدحك بذكك.  
قال عمرو: كفى بقليل قصدي هادياً، وبأيسر إفراطي محبواً، ولم  
يلم من عزفت نفسه (٥) عما يعلم، ورضى من الفصد بما بلغ.  
قال كسرى: ما كل ما يعرف المرء ينطق به. اجلس.

٥- ثم قام حذك بن جعفر الكلابي. فقال: احصّر الله المليك إسعاداً  
وأرشداه إرشاداً، إن لكل منطق فرصة، ولكل جبة (٦) غصة، وعي  
المنطق (٧) أشد من عي السكوت، وعنار الفوق أنكى من عنار الوعث (٨)  
وما فرصة المنطق عندنا إلا بما نهوى، وغصة المنطق بما لا نهوى غير  
مستساعة، وتركى ما أعلم من نفسى، وبعلم من سمعنى أننى له مطبق  
أحبب إلى من تكلفى ما أتخوف ويُتخوف منى.

- 
- (١) الرفد: العطاء.  
(٢) أورى: أوقد، أثقب: أشعل.  
(٣) أود: أعوج.  
(٤) الصدر: الرجوع.  
(٥) عزفت: مالت، امنعت.  
(٦) جبة: اجابة.  
(٧) عي المنطق: العجز فيه.  
(٨) أيكى: أشد نكابة وأفهر. الوعث: المكان السهل تغيب فيه الأقدام وهو أيضاً:  
الطريق الحش العسير، رجل دعت اللسان. عاجز عن الكلام.

وقد أوفدنا إليك مَلَكَنَا النعمان، وهو لك من خير الأعوان، ونِعْمَ حَامِئٌ لمعروف والإحسان. اتعُذْنَا بِالصَّاعَةِ لَكَ بِاخِيعَةِ (١)، ورقابُنَا بالنصيحة خاضعة، وأيدبنا لك بالوفاء رهبة. قَالَ لَهُ كَسْرِي: نَطَقْتَ بِعَقْلٍ، وَسَمَوْتَ بِفَضْلٍ، وَعَلَوْتَ بِبَيْلٍ.

٦- ثم قام علقمة بن علاثة العامري. فقال:

أنهجت<sup>(٢)</sup> لك سبيل الرشاد، وخضعت<sup>(٣)</sup> لك رقابُ العباد. إن للأقاويل مناهج، وللأراء موالج<sup>(٤)</sup> وللعويص مخارج، وخيرُ القول صدقُه وأفضلُ الطلب أنجحُه. إنا وإن كنّا المحبة احضرتنا، والوفادة قربتنا فليس مَن حضرك مَنّا بأفضلَ مَنّ عَرَبَ (٥) عنك، بل لو قِستَ كل رجل منهم. وعلمتَ منهم ما علمنا، لوجدتَ له في آيائه دنيا أندادًا وأكفاء، كلهم إلى الفضل منسوب، وبالشرف والسودد موصوف، وبالأرى الفضل والأدب النافذ معروف، بحمى حماه، ويروى نداماه<sup>(٦)</sup> ويذود أعداده، لا تَحْمَدُ نَزْرَهُ، ولا يَحْتَرِرُ مِنْهُ جَارُهُ.

أيها الملك: مَن يبُلُ العربَ يعرف فضلهم. فاصطنِعِ العربَ؛ فإنها الجبال الرواسي عزاء، والبحور الزواجر طميا، والنجوم الزواهر شرفا والحصى عددا، فإن تعرفَ لهم فضلهم يُعَزِّوْكَ، وإن تستصرخهم لا يخذلوك.

قَالَ كَسْرِي: (وخشى أن يأتى منه كلام يحمله على السخط عليه):

حسبك أبلغت وأحسنّت.

(١) باخعة: خاضعة ومقرة.

(٢) أنهجت: وضحت.

(٣) موالج: مداخل.

(٤) عرب: غاب.

(٥) نداماه: نداموه.

٧- ثم قام قيس بن مسعود الشيباني، فقال:

أطاب الله بك المرشد، وجنبك المصائب. ووقاك مكروه  
الشصائب (١) ما أحقنا إذ اتيناك بإسماعك ما لا يحق صدرك. ولا يزرع  
لنا حفدا في قلبك، لم نقدم أيها الملك لمساماة (٢)، ولم ننتسب لمعاداة  
ولكن لتعلم - أنت ورعيتك ومن حضرك من وفود الأمم - أنا في  
المنطق غير محجمين، وفي البأس غير مفصرين، إن جورينا فغير  
مسبوقين، وإن سؤمينا فغير مغلوبين.

قال كسرى: غير أنكم إذا عاهدتم غير وافين - وهو يعرض به  
في تركه الوفاء بضمانة السواد (٣).  
قال قيس: أيها الملك. ما كنت في ذلك إلا كوايف عذير به، أو  
كخافر أخفر (٤) بذمته.

قال كسرى: ما يكون لضعيف صمن، ولا لذليل خفرة (٥).  
قال قيس: أيها الملك: ما أنا فيما خفر من ذمتي أحق بإلزامي  
العار فيما قُتل من رعيتك، وانتَهك من حرمتك.  
قال كسرى: ذلك لأن من انتمن الخاتة (٦)، واستجد الأثمة، ناله  
من الخطأ ما نالني، وليس كل الناس سواء. كيف رأيت حاجب بن زرارة  
لم يحكم قواه فيبرم (٧)، ويعد فينجز؟

قال: وما أحقه بذلك وما رأيت إلا لي.  
قال كسرى: القوم بزل (٨) فأفضلها أشدها.

- 
- (١) الشصائب: الشدائد.  
(٢) مساماة: من ساماء، إذا علاه وباراه.  
(٣) يريد سواد العراق.  
(٤) الخافر: المجبر والحامي. أخفر بذمته نفضر عهده وغدر به.  
(٥) الخفارة: (بفتح الخاء وكسر ها): الدمة والعهد والأمان.  
(٦) الخاتنة: الخونة.  
(٧) يبرم/ من برم بالشئ: احكمه، ونقال: برم الأمر والعقد.  
(٨) بزل: جمع بازل. وهو البعير طلع نابه.

٨- ثم قام عامر بن الطفيل العامري. فقال: كثر فنون المنطق وليس القول أعمى من حندس<sup>(١)</sup> الظلماء. وإنما الفخر في الفعال، والعز في النجدة، والسود مطاوعة القدرة. وما أعلمك بفدرينا، وأبصرَك بفضيلنا، وبالحرى<sup>(٢)</sup> إن أدالت الأيام<sup>(٣)</sup> وثابت الأحلام<sup>(٤)</sup> تحدث لنا أموراً لها أعلام<sup>(٥)</sup>.

قال كسرى: وما تلك الأعلام؟  
قال: مجتمع الأحياء من ربيعة ومضر. على أمر يذكر.  
قال كسرى: وما الأمر الذي يُذكر؟  
قال: ملى علم بأكثر مما خبّرني به مخر.  
قال كسرى: متى تكاهنت يا بن الطفيل؟  
قال: لستُ بكاهن، ولكني بالرمح طاعن.  
قال كسرى: فإن أتاك أت من جهة عينيك العوراء ما أنت صانع؟  
قال: ما هيبتى فى قفاى بدون هيبتى فى وجهى، وما أذهب عينى عيث<sup>(٦)</sup> ولكن مطاوعة العيث.

٩- ثم قام عمرو بن معد يكرب الزبيدي. فقال:  
 إنما المرء بأصغريه: قلبه ولسانه، فيبلاغ المنطق الصواب  
 وملاك النجعة<sup>(٧)</sup> الارتداد، وغفو الرأى خير من استكراه الفكرة، وتوقف

- 
- (١) حندس الظلماء: ظلمتها.  
 (٢) الحرى: الخلق الجدير.  
 (٣) أدالت الأيام: جعلت فضلنا مشهوراً متداولاً.  
 (٤) ثابت الأحلام: رجعت العقول.  
 (٥) أعلام: مشهورة.  
 (٦) العيث: الفساد.  
 (٧) النجعة: طلب الكلا.

الخبرة من اعتساف الحيرة، فاجتنب<sup>(١)</sup> طاعتنا بلفظك، واكتظم<sup>(٢)</sup> بادرتنا بحلمك، وإلّا لنا كنتك<sup>(٣)</sup>، يسلس<sup>(٤)</sup> لك قيادنا، فإنا أناس<sup>(٥)</sup> لم يوقس<sup>(٦)</sup> صفاتنا<sup>(٧)</sup> قراع مناقير من أراد لنا قضمًا<sup>(٨)</sup>، ولكن منعنا حمانا<sup>(٩)</sup> من كل من أراد لنا هضمًا<sup>(١٠)</sup>.

١٠- ثم قام الحارث بن ظالم المري . فقال:

إن من آفة المنطق الكذب، ومن لؤم الأخلاق المَلَق<sup>(١)</sup>، ومن خلل الرأي خفة الملك المسلط، فإن أعلمناك أن مواجِهتنا لك عن انتلاف، وانقيادنا لك عن تصاف، فما أنت لقبول ذلك منا بخليق، ولا للاعتماد عليه بحقيق، ولكن الوفاء بالعهود وإحكام<sup>(٢)</sup> العقود والأمر بيننا وبينك معتدل، وما لم يأت من قبلك ميل أو ذلل .

قال كسرى: من أنت؟

قال: الحارث بن ظالم .

قال: إن في أسماء أبائك لدليلا على قلة وفائك، وأن تكون أولى

بالغدر، وأقرب من الوزر<sup>(١)</sup> .

(١) اجتنب: اجتنب .

(٢) اكتظم: اصطبر واحتلم .

(٣) كنتك: جانبك .

(٤) يسلس: يخدش .

(٥) الصفاة: الحجر العريض الأملس (لا يناله احد بسوء) .

(٦) القضم: كسر الشيء بأطراف الأسنان .

(٧) الحمى: ما يجب على اللسان حمايته .

(٨) هضمًا: ظلما وعضبا .

(٩) الملق: التودد بكلام لطيف، والتضرع فوق ما ينبغي .

(١٠) الولث: العهد بين القوم يقع من غير قصد، ويكون غير مؤكد .

(١) الوزر: الذنب .

قال الحارث: إن في الحق مغضبة، والسرو<sup>(١)</sup> والتغافل، ولن يستوجب أحد الحلم إلا مع القنرة، فلتشبه أفعالك مجلسك .

قال كسرى: هذا فتى تقوم .

ثم قال كسرى: قد فهمت ما نطقت به خطباؤكم، وتفنن فيه متكلموكم، ولولا أنى أعلم أن الأدب لم يتقف أودكم، ولم يحكم أمركم وأنه ليس لكم ملك - يجمعكم فتتطقون عند منطق الرعية الخاضعة الباطنة، فنطقتم بما استولى على ألسنتكم، وغلب على طباعكم لم أجز لكم كثيرا مما تكلمتم به . وإنى أكره أن أجبه<sup>(٢)</sup> وفوضى، أو أحنق صدورهم والذي أحب هو إصلاح مديركم، وتآلف شواذكم، والإعذار إلى الله فيما بينى وبينكم، وقد قيلت ما كرر في منطقكم من صواب، وصفحت عما كان فيه من خلل، فانصرفوا إلى ملككم فأحسنوا مؤازرتك، والتمزوا طاعته، واردعوا سفهائكم، وأقيموا أودهم، وأحسنوا أدبهم، فإن في ذلك صلاح العامة .



هذه الوفادة تمثل الوفدة والسفارة معا، لأن أبطالها كوكبة من فصحاء العرب وعظمائهم، استقرهم النعمان بن المنذر، الملك العربى ليزودوا عن أمة العرب، ويردوا عنها ما حرى على لسان كسرى من مثالب واتهامات .

وتتجلى غيرة النعمان على أمته، أنه لم يكتف بما رد به على كسرى، وتقنيده لاثاماته، وردّه دعاواه، فأرسل إلى هؤلاء العظماء وشرح لهم ما دار، وبين لهم أنه ينتظر منهم أن يكونوا سفراءه لدى

(١) السرو: المروءة والشرف .  
(٢) أجبه: واجهه .

كسرى؛ ليزيدوه إيضاحاً بعظمة العرب، ويجلوا ما ران على قلبه من تنقص وتهجين لأمر العرب، وزودهم بنصائحه وتوجيهاته، وألبسهم ما ينبغي أن يكون عليه السفير من وجهة، وحسن سمت، وأركبهم أفضل ما لديه من نجائب، فلما وصلوا إلى المدائن استأذنوا على كسرى، مزودين برسالة من النعمان، يطلب فيها من كسرى أن يسمع لهؤلاء السفراء فأجلسهم كسرى مجلساً يسمع منهم، وأمر بإكرامهم، وأن يحضر عظماء دولته، ليستمعوا معه إلى هذا الوفد. وقد بدا السفراء الحديث حسب ترتيب النعمان لهم، طبقاً لشروط خاصة، كالسنّ والفصاحة ثم الشرف في قومه.



فبدأ أكثم بن صيفي، فأوضح أن أفضل الموجودات أعلاها وأسناها، فالملوك هم أعلى الرجال، وأفضلهم، أكثرهم نفعا لشعوبهم، كما أن الأزمنة لها من الأفضلية ما لغيرها من الموجودات، فأفضلها أخصبها، كما أن أفضل الخطباء أصدقهم، ثم دلل على ذلك بأن الصدق سبيل النجاة، كما أن الكذب يردى، وبين أن الشر يفرق بين الناس ويورى نار الكراهية والبغضاء، وقابل بين الحزم والعجز، وأن آفة الرأي اتباع الهوى، وأن العجز يؤدي إلى الفقر، كما أن الصبر أفضل السبل إلى أحسن الأمور وأفضلها.

وبعد أن ساق هذه المجموعة من الحكم — مما يدل على اتساع خبرته، وكثرة تجاربه، أظهر لكسرى أن شر الملوك الجبار الباغي الذي يخشاه الأبرياء من أفراد شعبه، وضمن حكمه حسن اختيار البطانة، لأن ذلك ينجي البلاد من كثير شر، وعميق خطر، وكأنه يريد أن يقول لكسرى، إن ما ذهبت إليه من جنابة على العرب، إنما جاعك من سوء

استماع إلى جهلاء بطانئك، أو أشرار حاشيتك، ولذلك فيكفيه من الشر سماعه .

وقد تعجب كسرى من كلام أكتم، واعترف له بالحكمة والخسيرة والصدق، وأخبره بأنه خير رجال العرب . فكان رد أكتم: رب قول أنفذ من حرب وصوله .

ثم كان دور حاجب بن زرارة، فبدأ بالدعاء لكسرى بالقوة والسيطرة والهيبة؛ استمالة له، وترغيبا فيما سيقول .

ثم بدأ مؤكدا قوة العرب وشدة غلظتهم . وسيادتهم على أرضهم ومنعها من أعدائهم، مع أنها أمة محبة لكسرى . ما دام حديبا عليها حريصا على مؤالفتها، فهي له مضيفة عنسامحه، وهي كالعلقم مرارة على من عاداها، وكالعسل حلوة . والماء سلاسة لمن سالماها . ثم بين له أنهم وفد العرب إليه، وسفراؤهم بين يديه، وهم من أشراف قومهم وكرام أحسابهم، وفصحاء ألسنتهم . ليكونوا بين يديه، معبرين، ولدى قومهم عند عودتهم حامدين شاكرين .

وقد رد كسرى روعة بيان حاجب إلى ما ورثه عن فصاحة قومه قائلا له عبارته بأن حجر التلال فيه صلابة صخورها، فرد حاجب بقوله: إن كلامه له أثره كدلالة زئير الأسود بشدة هجومها، وقوة صراعها، فقال له كسرى: وكذلك .



ثم قام الحارث بن عباد البكري، فبدأ بالدعاء لكسرى بدوام ملكه وعلو شأنه — كما فعل حاجب — وهو من أدب السفراء بين يدي الملوك ثم أخذ يرسل حكمه بين يدي كسرى، مبينا أن الكرام دائما عرضة لذوى الحاجات، ولذا فهم كثيرون ببابه، مستمرون في طلبه، ومن افتقر أو بخل انصرفوا عنه .



وذكر أن لقاءهم هذا سيسجله التاريخ، وتتناقله الركبان، وأن العرب جيرانه وأعدائه الأشد قربا ودنوا منه، وهم ذوو بأس واستعداد وشهامة واستجابة، فهم مجيرون أشداء، وأبطال ذوو بأس ومنعة .

ولكن كسرى يتعجرف، وتأخذه العزة بالإثم، فيلصق بالعرب ما ليس فيهم، ناعنا إياهم بالضعف، ولكن الحارث ينبه كسرى إلى أن عزة أنفسهم تتجافى مع الضعف، وأن فروسياتهم دليل شجاعتهم، وأنهم باعوا أرواحهم رخيصة في سبيل عزتهم. وأنهم مساعرو حرب، ثم فخر بنفسه وأبان شجاعته وإقدامه وخوضه الحرب برياطة جأش، بقيادة شجعان حتى يحيل دماء أعدائه إلى مطر يفرق الأرض، وقد فرست بلحم أعدائه طعاما لوحوش الحيوان والطير، فلما راع كسرى ما يقول الحارث، سأل من حوله عن مدى صدق هذا الرجل فيما وصف به نفسه، فلما أجابوه بالإثبات، وأن فعله أبلغ من قوله، أظهر كسرى عجبه من روعة هذا الوفد، الذى لم يشهد له مثلا .

\* \* \* \*

فلما كان دور عمرو بن الشريد، قام فبدأ بالدعاء لكسرى بنعمة الببال السعيد ودوام السرور . ثم أخذ يسوق إليه حكمه البالغة، وعظاته الرائعة، موضحا له أن العقل يقتضى أن يتدبر الإنسان عاقبة ما يسوقه اللسان، وأن مما يعزبه الملوك قوتهم، وأن موقفهم هذا سيعقب تاريخا ومجدا، يرفع قوما، ويخفض آخرين، ثم أظهر له أنهم ما جاءوا إليه إلا لعزه ومجده، ولم يأتوا طالبيين عطاء، أو منتظرين رفا، وأنهم فى عزة ومنعة وغناء، وأنهم شجعان، فيهم الجرأة والإقدام، حافظون لجوار كسرى، مدافعون ضد أعدائه .

فأعجب كسرى بمنطقه، وأظهر له سروره بما قال، وأجلسه .

وأنتى دورُ خالد بن جعفر الكلابي فقدّم بين يدي كسرى الكثير من الدعوات الصالحات، ثم ساق — كسابقه — بعض الحكم المتمثلة فى خطورة المنطق، وأهمية الكلمة، وأن الفصاحة تتجلى صاحبها عند الشدائد. بينما يضيعه العي.

ثم أخبره أن هذا الوفد من لئن النعمان الملك العربى إلى كسرى وأن النعمان خير عون لكسرى. وهو ملك غرض إخلاصا واعترافا بالمعروف والإحسان، كما أن العرب مطيعون لكسرى، مقرون بما خصوا به من الوفاء.

رضى كسرى بما نطق به خالد، وأنه صدى لعقل صائب، يرفع من شأن صاحبه، ويعلو به.

وجاء دور علقمة بن علاثة العامري، فأخذ يزجى دعواته بين يدي كسرى بالتوفيق والسيادة، ثم بين أن للكلام تشققا، وللتعبير سبلا ولكن أفضل القول أصدق، وأن أفضل الطلب ما صادف قبولا وسدادا، ثم أصاب المحزّ فى قوله حين أخبر أن المحبة هى التى أقدمتهم عليه، وأن الوفادة هذه التى شرفوا بها بين يديه — قد قربت بينه وبينهم، وأن من غاب عن مجلسه نظراؤهم فى الشرف والسؤدد، ورثوه عن آبائهم وأجدادهم، فهم فيه أصلاء، فضلاء.

ثم يذكر لكسرى أن من يختبر العرب يعرف فضلهم، فليته يتخذ منهم الأعوان والأنصار، فهم كالجيال صلابة بالبحار مياها، والنجوم سماوا وارتقاء، والحصى كثرة وعددا.

وهنا — أوشك كسرى أن يستثيط غيظا — من افتخار علقمة بالعرب، واختصاصهم بكل معانى الشرف والعز، فطلب منه أن يكف فقد بلغ مأربه.

ثم قام قيس بن مسعود، وبدأ — كسابقه — بالدعاء لكسرى، ثم فسر له سبب قدومهم إليه، ووفودهم عليه، وما يتصفون به من بأس وقوة وفصاحة، ولكن كسرى — كعادته — يتهم العرب بالفدر والخيانة معرضاً بما وقع سلفاً من قيس في سواد العراق • فدافع قيس عن نفسه واقنع كسرى، فرضى •

ثم وقف عامر بن الطفيل، فأظهر تعدد فنون القول، ومهما تعددت فنونه فإنه لا يظهر ويوضح الأمر إلا الفعل، فالفخر بالعقل، والعز بالنجدة، والشرف الحقيقي في مطاوعة القدرة، ووصع بين يدي كسرى أن للأمور أعلاماً تتمثل في مجتمع الأحياء من أشراف القبائل والمواقف المهمة •

ويسأل كسرى ابن الطفيل: متى تكاهنت؟ فيجيبه بأنه ليس بكاهن وإنما هو محارب، بالرمح طاعن • وكان ابن الطفيل ذا عين واحدة سليمة، والأخرى تالفة، فسأله كسرى: وإن أتاك طاعن من جهة عينك العوراء؟ محاولاً الإساءة إلى ابن الطفيل بلمسه علته التي يتوقع منها ضعفه، فيرد عليه ابن الطفيل مظهرًا ارتفاعه فوق ألامه وضعفه وانتصاره على علته، وأنه مهاب من خلفه أكثر من أمامه، وأنه إنما فقد عينه في مجال شرف ومجد، فهي وسام يشهد له بالعظمة والحكمة •



ثم قام عمرو بن معد يكرب، فشرح بين يدي كسرى بـم تكون أهمية الإنسان، وأن شجاعة المرء تكمن في فصاحته، ومقدرته البيانية إلى جانب شجاعته وإقدامه، وأن على المرء أن يتعرف مواطن الخير فيرتادها، وطلب من كسرى — بناء على ذلك — أن يصطنع العرب ويحسن القول لهم، وأن يحلم بهم، ويلين جانبهم لهم، يسلس له بذلك قيادهم، لأن فيهم أنفة ومنعة، ولا يقبلون ذلاً ولا ضيماً •

وأخيراً، ينهض الحارث بن ظالم المري، فيبين أن الكذب أسوأ ما يُنطق به، وأن النفاق أَلَمُ الخُلُق، وأن الملك العظيم المسيطر ينبغي أن يكون على كبير قدر من الحكمة وبعد النظر، وسلامة الرأي والألمعية ويوضح له أن مواجهتهم له لا يمكن أن تكون عن انتلاف، وانقيادهم له ينبغي أن يكون عن تصاف، فليس حديراً به قول ذلك، وإنما الشأن كله يقوم على الوفاء بالعهود، والتزام ما يكون بين الناس من عقود، قوامها العرف، فلما سمع منه كسرى ذلك سألته عن كنهه، فعرفه بنفسه وقال: أنا الحارث بن ظالم، وتأخذ كسرى عنجهيته، فيحبه الحارث بأن في أسماء آبائه وأجداده ما يومىء بعدم الوفاء، وقربهم من الغدر والوزر .

ولكن الحارث يردّ عليه بقوة، معلناً أن بعض النفوس يغضبها التزام الحق والوفاء، وينبغي أن يكون الإنسان قويا ملتزماً بمبادئه لا يهمه في الحق لومة لائم .

وقد أعجب كسرى بالحارث ووصفه بأنه فتى القوم لما فيه من الحيوية والشدة .



وبعد أن انتهى هؤلاء العظماء العشرة، أعلن كسرى أنه فهم مضمون الهدف الذي رمى إليه النعمان، وأن ما جاء به هؤلاء الفصحاء العشرة قد أوصل إليه المعنى الذي أرادوا إعلام كسرى به، وأنه قد نزل على رأيهم — على الرغم من عدم التفافهم حول ملك منهم يتقولون أمامه بما تقولوه أمام كسرى — معلناً أنه لا يجب أن يواجه وفوده بما يملأ صدورهم عليه غيظاً وحنقاً، وأنه قيل ما جاء من قولهم صواباً، وعفا عما كان فيه من خلل، ثم ردهم إلى النعمان معززين، وأوصاهم

بالانتفاف حوله، وتقوية أمرهم، ورعاية ما من شأنه أن يرفع شأن شعوبهم.

### ٣- وفادة قريش على سيف بن ذي يزن: (بعد

قتله الحبشة): (١)

عن نعيم بن حماد قال: أخبرنا عبد الله بن المبارك، عن سفيان الثوري، قال: قال ابن عباس: لما ظفر سيف بن ذي يزن بالحبشة، وذلك بعد مولد النبي - صلى الله عليه وسلم - أتته وفود العرب وأشرافها وشعراؤها، تهنئه وتمنحه، وتذكر ما كان من بلائه وطلبه بشأراً قوميه. فأتاه وفد قريش، فيهم: عبد المطلب بن هاشم، وأميه بن عبد شمس، وأسد ابن عبد العزى، وعبد الله بن جدعان، فقدموا عليه، وهو في قصر له يقال له غمدان، وله يقول أبو الصلت، والد أميه بن أبي الصلت:

لِيَطْلُبَ النَّارَ أَمْثَالَ ابْنِ ذِي يَزْنَ      لَجَّجْ فِي الْبَحْرِ لِلْأَعْدَاءِ أَحْوَالَ (٢)  
أَتَى هِرْقَلَ وَقَدْ شَلَّتْ نِعَامَتُهُ      فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ الْقَوْلَ الَّذِي قَالَ (٣)  
ثُمَّ انْتَهَى نَحْوَ كِسْرَى بَعْدَ تَأْسِيعَةٍ      مِنْ السَّنِينَ لَقَدْ أَبْعَدَتْ إِيفَالَا  
حَتَّى أَتَى بَنِي الْأَحْزَارِ يَقْدُمُهُمْ      إِنَّكَ عَمْرَى لَقَدْ أَسْرَعْتَ إِرْقَالَ (٤)

(١) العقد الفريد / ابن عبد ربه . تحقيق/ محمد سعيد العريان ٢٤١/١ وما بعدها .  
العقد الفريد / ابن عبد ربه . تحقيق/ أحمد بسري م ٢ ع ١٠ ص ٢٣ وما بعدها .  
والأغاني ج ١٧ ص ٣١١ وما بعدها . الأصفهاني ط . الهيئة العامة .

(٢) ليجج: خاض اللجة .

(٣) شالت ثعامته: تفرقت كلماتهم وذهب عزيمتهم ودرست طريقته .

(٤) بنو الأحزار: الفرس الذين قدموا مع سيف بن ذي يزن . الإرقال: الإسراع .

سَنَ مِثْلُ كِسْرَى وَبَهْرَامَ الْجُنُودَ لَهُ      وَمِثْلُ وَهْرَزَ يَوْمَ الْجَيْشِ إِذْ جَلَا  
لَهُمْ دَرَهُمْ مِنْ عَضْبَةٍ خَرَجُوا      مَا إِنْ رَأَيْنَا لَهُمْ فِي النَّاسِ أَمْثَالًا  
صَيْدًا جَحَاجِحَةً، بِيضًا خَضَارِمَةً      أَسَدًا تَرَبَّبَ فِي الْقَابَاتِ أَشْبَالًا (١)  
أَرْسَلْتُ أَسَدًا عَلَى سُودِ الْكِلَابِ فَقَدْ      غَادَرْتُ أَوْجُهُهُمْ فِي الْأَرْضِ أَفْلَالًا (٢)  
إِشْرَبَ هِنِينًا عَلَيْكَ التَّاجُ مُرْتَفِقًا      فِي رَأْسِ غَمْدَانِ دَارًا مِنْكَ مِخْلَالًا (٣)  
ثُمَّ أَطْلَ بِالْمِسْكِ إِذْ سَأَلْتُ نِعَامَتَهُمْ      وَأَتَّبَعْتُ الْيَوْمَ فِي بَرْدِكَ إِسْبَالًا (٤)  
يَتْلُكَ الْمَكَارِمَ لَا قَعْبَانَ مِنْ لَبَنِ      شَيْبَا يَمَاءٍ قَعَادًا بَعْدَ أَبْوَالًا (٥)

فطلبوا الإذن عليه، فأذن لهم، فدخلوا، فوجدوه متضمخا بالعنبر  
يلمع وبيض المسك مفرق رأسه، وعليه بردان أخضران، قد انتثر  
بأحدهما وارتدى بالآخر، وسيفه بين يديه، والملوك عن يمينه وشماله  
وأبناء الملوك والمقاول (٥).

فدنا عبد المطلب، فاستأذنه في الكلام، فقال له: قل.  
فقال: إن الله تعالى - أيها الملك - أحلك محلاً رفيعاً، صعباً  
منيعاً، بأذخاً (٦) شامخاً، وأنيبتك منبأ طابت أرومته (٧) وعزّت  
جرثومته (٨)، ونبل أصله، ويسق فرعه، في أكرم معدن، وأطيب موطن

(١) صيدا: ملوكا شجعانا. حجاجه وخضارمة: سادة، تربب: من الترتيب وهو الترتيب.

(٢) أفلال: منهزمون.

(٣) مرتفق: ثابت دائم. غمدان: قصر في صنعاء باليمن.

(٤) النعامة: باطن القدم. الإسيال: إرسال الثوب.

(٥) قعبان: منى قعب. إناء يحلب فيه: شيبا: مزحا.

(٦) المقاول: جمع مقول. وهو دون الملك الأعلى.

(٧) بأذخا: رفيعا.

(٨) الأرومة: أصل الشجرة. والمراد: كريم الأصل.

(٩) الجرثومة: الأصل.

فَأَنْتِ — أبيت اللعن — رَأْسُ الْعَرَبِ، وربيعها الذى به تخصب، وملكها الذى له تتقاد، وعمودها<sup>(١)</sup> الذى عليه العماد، ومقلها<sup>(٢)</sup> الذى إليه يلجأ العباد. سَلَفَكَ خَيْرَ سَلَفٍ، وَأَنْتِ لَنَا بَعْدَهُمْ خَيْرٌ خَلْفٍ، وَلَنْ يَهْلِكَ مِنْ أَنْتِ خَلْفُهُ، وَلَنْ يَخْمَلَ مِنْ أَنْتِ سَلْفُهُ.

نحن — أيها الملك — أَهْلُ حَرَمِ اللَّهِ وَذِمَّتِهِ، وَسَدَنَةِ<sup>(٣)</sup> بَيْتِهِ أَشْخَصًا<sup>(٤)</sup> إِلَيْكَ الذى أَنْهَجَكَ<sup>(٥)</sup> لكشف الكرب الذى فدحنا<sup>(٦)</sup>، فنحن وَقَدْ التَهْنِئَةُ، لَا وَفُودِ الْمَرْزَنَةِ<sup>(٧)</sup>.

قَالَ: مَنْ أَنْتِ؟

قَالَ: أَنَا عَبْدُ الْمَطْلَبِ بْنِ هَاشِمٍ.

قَالَ: ابْنِ أَخْتَتَا؟

قَالَ: نَعَمْ.

فَأَدْنَاهُ وَقَرَّبَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ وَعَلَى الْقَوْمِ، وَقَالَ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا وَنَاقَةً وَرَحْلًا، وَمُسْتَاخًا سَهْلًا، وَمَلِكًا رِبْحَلًا<sup>(٨)</sup>، يُعْطَى عَطَاءُ جَزَلًا (فذهبت مثلًا).

وكان أول ما تكلم به: قد سمع الملك مقالتيكم، وعرف قرابتكم وقبل وسيلتكم، فأهل الشرف والنباهة أنتم، ولكم القريبى ما أقمتم والحباء<sup>(٩)</sup> إذا ظعنتم<sup>(١٠)</sup>.

(١) العمود: السيد الذى تعتمد عليه فى الأمور.

(٢) المقل: الملجأ والحصن.

(٣) السدنة: جمع سادن: خادم الكعبة.

(٤) أشخصنا: بعث بنا.

(٥) أنهجك: من أنهج الطريق. وضح واستبان.

(٦) فدحنا: أنقلنا.

(٧) المرزنة: المصيبة.

(٨) الربجل: العظيم.

(٩) الحباء: ما يحبو به الرجل صاحبه. ويكرمه به. ويعطيه اباه.

(١٠) ظعنتم: سرتم وارتحلتم.

قال: ثم استنهضوا إلى دار الضيافة والوفود، وأجريت عليهم لأنزال<sup>(١)</sup> فأقاموا ببيته شهرا، لا يصلون إليه، ولا يأذن لهم فى الانصراف، ثم انتبه إليهم انتباهة، فدعا بعيد المطلب من بينهم، فخلا به أبنى مجلسه.

وقال: يا عبد المطلب، إنى مفوض إليك من سر علمى أمرا لو غيرك كان لم أبح له به، ولكنى رأيته موضع. فأطلعته عليه، فليكن مصونا حتى يأذن الله فيه، فإن الله بالغ أمره: إنى أجِدُ فى العلم المخزون، والكتاب المكنون، الذى اتخزنه لنفسنا، واحتجبتاه دون غيرنا، خيرا عظيما، وخطرا حسيما، فيه ترف الحياة، وفضيلة الوفاة<sup>(٢)</sup> للناس كافة، ولرهطك عامة، ولنفسك خاصة.

قال عبد المطلب: مثلك أيها الملك من ترّ وسرّ وبشّر. ما هو؟  
فذلك أهل الوبر<sup>(٣)</sup>، زمرا بعد زمر<sup>(٤)</sup>.

قال ابن ذى القرن: إذا ولد مولود بتهامة. بين كتفيه شامة<sup>(٥)</sup>، كانت له الإمامة، إلى يوم القيامة.

قال عبد المطلب: أبيت اللعن، لقد أبت خير ما أب به أحد، فلو لا إجلال الملك، لسألته أن يزيدنى فى البشارة ما أزداد به سرورا.

قال ابن ذى القرن: هذا حينه الذى يولد فيه أوقد ولد، يموت أبوه وأمه، ويكفله جدّه وعمّه، قد ولدناه<sup>(٦)</sup> مرارا، والله باعته جهارا، وجاعل<sup>٣</sup> له منا أنصارا، يعزّ بهم أوليائه، وينزل بهم أعداءه ويفتح كرائم الأرض

(١) الأنزال: جمع نزل: وهو ما يهيا للضيف للاكل والنوم.

(٢) الوفاة: الموت.

(٣) أهل الوبر: أهل البادية.

(٤) زمر: جمع الزمرة: الفوج والجماعة.

(٥) الشامة: علامة فى البدن يخالف لونها لون سائرده.

(٦) ولدناه: يريد أنه انتقل بين ظهور الاناء من ظهر إلى ظهر.



ويضرب بهم الناس عن عرض<sup>(١)</sup> يخذم الأديان ويدحر الشيطان، ويكسر الأوثان، ويعبد الرحمن، قوله حكم وفصل، وأمره حزم وعدل، يأمر بالمعروف ويفعله، وينهى عن المنكر ويبطله.

فقال عبد المطلب: طال عمرك. ودام ملكك، وعلا جتك، وعزز فخرك، فهل الملك يسرنى بأن يوضح فيه بعض الإيضاح؟  
فقال ابن ذي يزن: والبيت ذى الطنب<sup>(٢)</sup> والعلامات والنصب إنك يا عبد المطلب، لجده من غير كذب.  
فخر عبد المطلب ساجدا.

قال ابن ذي يزن: ارفع رأسك، تلتج صدرك، وعلا أمرك، فهل أحسست شيئا مما ذكرت لك؟

قال عبد المطلب: أيها الملك، كان لي ابن كنت له محبا، وعليه حدبا مشققا، فزوجته كريمة من كرائم قومه، يقال لها أمنة بنت وهب بن عبد مناف، فجاعت بغلام. بين كتفيه شامة، فيه كل ما ذكرت من علامة مات أبوه وأمه، وكفلته أنا وعمه.

قال ابن ذي يزن: إن الذى قلت لك كما قلت، فاحفظ ابنك. واحذر عليه اليهود، فإنهم له أعداء، ولن يجعل الله لهم سبيلا، أطو ما ذكرت لك دون هؤلاء الرهط الذين معك، فإنى لست آمن أن تدخلهم النفاسة، من أن تكون لكم الرئاسة، فيبيغون لكم الفوائل<sup>(٣)</sup> وينصبون لكم الحبالل<sup>(٤)</sup> وهم فاعلون وأبناءؤهم. ولولا أنى أعلم أن الموت مجتاحى قبل مبعثه، لسرت بخيلى ورجلى حتى أصير بيثرب دار مهاجرة، فإنى أجد فى الكتاب الناطق، والعلم السابق، أن يثرب دار هجرته، وبيت نصرته، ولولا أنى

(١) عرض: قوة.

(٢) الطنب: جبل يشد به الخباء والسرايق ونحوهما.

(٣) الفوائل: جمع الغائلة: الفساد والشر.

(٤) الحبالل: المصائد، وحبالل الموت: أسبابه.

أَتَوْقَى عَلَيْهِ الْآفَاتِ، وَأَحْذَرُ عَلَيْهِ الْعَاهَاتِ، لَأَعْلَنْتُ عَلَى حَدَائِثِهِ سِنِّهُ أَمْرَهُ  
وَأَوْطَأْتُ أَقْدَامَ الْعَرَبِ عَقْبَهُ، وَلَكِنِّي صَارَفْتُ ذَلِكَ إِلَيْهِ عَنْ غَيْرِ تَقْصِيرِ  
مَنِي بَيْنَ مَعَكَ .

ثُمَّ أَمَرَ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ بَعْشَرَ أَعْبَدَ، وَعَشْرَ إِمَاءٍ سَوْدَ، وَخَمْسَةَ  
أَرْطَالٍ فِضَّةَ، وَحِلَّتَيْنِ مِنْ حُلِّ الْيَمَنِ، وَكَرْشَ (١) مَمْلُوءَةً عَنَبِيرًا، وَأَمَرَ  
لِعَبْدِ الْمَطْلَبِ بَعْشَرَ أَضْعَافِ ذَلِكَ .

وَقَالَ: إِذَا حَالَ الْحَوْلُ، فَتَبَيَّنْتَنِي بِمَا يَكُونُ مِنْ أَمْرِهِ .  
فَمَا حَالَ الْحَوْلَ حَتَّى مَنَعَ ابْنُ دِي بَزْنَ . فَكَانَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ بِنَ  
هَاشِمٍ يَقُولُ:

يَا مَعْشَرَ قَرِيشٍ: لَا يَغِيظُنِي رَجُلٌ مَكَّمْ بِجَزِيلِ عَطَاءِ الْمَلِكِ، فَإِنَّهُ  
إِلَى نِفَادٍ، وَلَكِنْ يَغِيظُنِي بِمَا يَبْقَى لِي ذِكْرُهُ وَفَخْرُهُ لِعَقْبِي — فَإِذَا قَالُوا لَهُ:  
وَمَا ذَاكَ؟

قَالَ: سَيُظْهِرُ بَعْدَ حِينٍ .

\* \* \* \* \*

هَذَا وَفَدٌ مِنْ رِجَالِ قَرِيشٍ، وَقَدْ عَلَى مَلِكٍ عَرَبِيٍّ هُوَ سَيْفُ بَنِ  
ذِي يَزْنَ، بَعْدَ انْتِصَارِهِ وَظَفَرِهِ عَلَى الْحَبَشَةِ، يَضُمُّ عَبْدُ الْمَطْلَبِ بِنَ هَاشِمٍ  
جَدَّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — الَّذِي كَانَتْ الدُّنْيَا قَدْ اسْتَضَاعَتْ  
بِمَوْلَاهُ الشَّرِيفِ . كَمَا كَانَ فِي الْوَفْدِ أُمِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ شَمْسٍ وَأَسَدُ بَنُ عَبْدِ  
الْعَزَى، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَدْعَانَ، وَهُمْ مِنْ عِظَمَاءِ قَرِيشٍ وَأَشْرَافِهَا .  
أَتَوْا هَذَا الْمَلِكَ الْعَرَبِيَّ الْمُنْتَصِرَ، لِهَدَفٍ عَظِيمٍ، هُوَ تَهْنِئَةُ الْمَلِكِ  
الْمُنْتَصِرِ وَمَدْحُهُ، فَقَدْ أَزَالَ عَنِ الْعَرَبِ مَا حَاوَلَ الْأَحْبَاشُ بِهِ أَنْ يَذْلُوهُمْ  
وَيَنْزِلُوا بِهِمُ الْعَارَ .

(١) الْكَرْشُ: وَعَاءُ الطَّيِّبِ .

وقد بدأ أبو الصلت، فألقى بين يديه شعرا، أشاد فيه بالملك المنتصر، وأنه الجدير بهذا العمل العظيم فقد خاض معمرة الحرب بجيش عظيم، وتصدى لقيصر وكسرى، وحقق للعرب نصرا، ولنفسه مجدا، هاجم هؤلاء الأبطال الصناديد المدججين بالسلاح، وهم كالأسد شجاعة وإقداما، ولكنه جبههم بأسد من العرب، هزمتهم، وطردتهم. ولذا فحق للملك المنتصر أن يهنأ بنصره، ويسعد بأمنه، ويقضى أوقاته سعيدا مرحا.

وبين يدي الملك الذى أذن للوفد بالنشرف بلقائه. وهو فى أروع صورة، وأبهى هيئة عليه التاج يزين مفرقه، والبرد الخضر، والعنبر العطر، والسيوف البتر، والملوك والأمراء حوله، دنا منه عبد المطلب واستأذن فأذن له. فبدأ بتعظيم الملك وتوقيره، وأن الله قد كرمه، ورفع مكانته، وطيب منبته، ولذا استحق أن يكون رأس العرب وملكهم، الذى به يفخرون، وبقيادته يعتزون، ولأرائه يسمعون ويخضعون، ثم بين له أنهم أتوه من لدن حرم الله، مدفوعين بما أثلج صدورهم، وأسعد قلوبهم بجليل فعله، ورائع عمله، أتوه مهنتين بما تحقق على يديه من نصر، أعز الله به العرب، وحرر بلادهم، وكشف عنهم الغمة، وأزال الكربة.

وسأل الملك عبد المطلب، الذى له انتسب، فأدناه وقربه.

ثم التفت الملك إلى القوم، وتحدث معهم بأنه قد سمع مقالتهم وعرف قرابتهم، ورفع مقدمهم، وعظمهم وشكرهم، ثم أضافهم وأكرمهم.

ثم التفت مخاطبا عبد المطلب، مختصا إياه بالحديث، مخبرا إياه بسر توصل إليه من بطون الكتب، وهو البشارة بمولد سيد الأنام، وبما يحمل من علامة جسمية، وما سيكون عليه من إمامة، تكون له إلى يوم القيامة.

وقد زاد سيف بن ذى يزن بيانه، بأن هذا الوليد قد آن أوانه، يولد  
تيما، ويكفله جده وعمه، ثم ينصره الله فتيا، ويحيط به أنصاره، يعز بهم  
وليائه، ويرتفع دينه على كل الأديان، ويحطم ويقضى على الأوثان  
وخذ الرحمن، ويأمر بالحق ويقضى على الطغيان، ويدحر الشيطان.  
ثم يتوسم الملك فى عبد المطلب أنه جدُّ اليتيم الكريم، فيجيبه  
عبد المطلب مصدقا، ويخبره بأنه الذى رحل. وقد أودع كريمة من  
كريمات العرب (أمنة بنت وهب) هذا الجنين المشرف، الذى جاء إلى  
الدنيا تيما، فكفله جده.

ثم يوصى الملكُ ضيقه، بالحرص على حفيده، وأن يحذر عليه  
اليهود، لأنهم أعداؤه، ولكنهم مخذولون، ولن يكون لهم عليه سبيل.  
ويطلب منه أن يستر هذا الحديث عن الوفد المرافقين، حذرا من تطلعهم  
وحرصهم على الرياسة دونه، ويخبره أنه لولا أن الموت فى طريقه إليه  
لنصب نفسه ورجاله فى حراسة وحماية حفيد عبد المطلب.

ثم كان إكرام الملك العربى للوفد — كما جرت العادة — فمنحهم  
العبيد والإماء والفضة والكساء، والعنبر — وبالف فى إكرام عبد المطلب  
فمنحه عشرة أضعاف ما أعطى أفراد الوفد.

وقد مات ابن ذى يزن فى غضون العام، فظل عبد المطلب يشيد

بذكراه.

## ٤- وفادة الصَّقْعَبِ النَّهْدِي عَلَى النِّعْمَانِ بْنِ

### المنذر: (١)

قال ابن دريد في أماليه: أخبرنا السكن بن سعيد الجرموزي عن محمد بن عباد، عن الكلبي، قال:

وفد الصَّقْعَبِ بْنِ عمرو النهدي في عشرة من بنى نهد، على النعمان بن المنذر، وكان الصَّقْعَبُ رجلاً قصيراً دميماً تقتحمه العير شريفاً، بعيد الصوت، وكان قد بلغ النعمان حديثه، فلما أخذ النعمان بهم قال للأذن: ائذن للصَّقْعَبِ، فنظر الأذن إلى أعظمهم وأجلهم، فقال: أنت الصَّقْعَبُ؟ قال: لا

فقال للذي يليه في العظم والهيئة: أنت هو؟ فقال: لا. فاستحيا فقال: أياكم الصَّقْعَبُ؟ فقال الصَّقْعَبُ: هُنَذَا! فأدخله إلى النعمان، فلما رآه قال: تَسْمَعُ بِالْمَعْدِي خيراً من أن تَرَاهُ؟ فقال له الصَّقْعَبُ: أبيتَ اللعن. إن الرجال ليسوا بالمسوك (٢) يُسْتَقَى فيها. إنما الرجلُ بأصغريته بلسانه وقلبه. إن قاتلَ قاتلَ بَجَنان —. وإن نطقَ نطقَ ببيان.

فقال له النعمان: فَلِمَ أبوك! فكيفَ بصرك بالأمر؟

فقال: أنقض منها المَفْتُولَ، وأبرم منها المَسْحُولَ (٣)، وأحبلها حتى تَحُولَ، ثم أنظر إلى ما يؤول، وليس لها بصاحب من لم ينظر في العواقب.

قال: قد أحلت وأحسنَت. فأخبرني عن العَجَزِ الظاهر، والفقير الحاضر.

(١) أمالي ابن دريد ٢٤٤، ٢٥٥. والمزهر للسيوطي ١/ ٤٩٦.

(٢) المسوك: الجلد.

(٣) المسحول: الحبل على قوة واحدة.

قال: أما العَجَزُ الظاهر، فالشَابُّ الضعيف الحيلة، التَّبَوُّعُ لِلحَلِيلَةِ  
يَحَوُّمُ حَوْلَهَا، وَيَسْمَعُ قَوْلَهَا، إِنْ غَضِبَتْ تَرْضَاهَا، وَإِنْ رَضِيَتْ  
أَهَا، فذاك الذى لا كان، ولا ولد النساء مثله. وأما الفقر الحاضر، فالذى  
تَتَّبَعُ نَفْسُهُ، وَإِنْ كَانَ لَهُ قَنْطَارٌ مِنْ ذَهَبٍ.

قال: فأخبرنى عن السَّوَةِ السَّوَاءِ، والدَّاءِ العَبَاءِ (١).

قال: أما السَّوَةِ السَّوَاءِ، فالمرأة السَّيِّئَةُ انى تعجب من غير  
جنب، وتغضب من غير غضب، فصاحبها لا يَنَعِدُ بِأَلْفِهِ، ولا يحسن  
لَهُ. إِنْ كَانَ ذَا مَالٍ لَمْ يَنْفَعِهِ، وَإِنْ كَانَ فَقْرًا عَبَّرَ بِهِ، فَأَرَاهُ اللهُ مِنْهَا  
لَهَا، وَلَا مَتَعَ بِهَا أَهْلَهَا.

وأما الدَّاءُ العَبَاءُ، فالجارُ جار البيت، إِنْ شَهَكَ سَافَكَ، وَإِنْ غِيَتْ  
نَه سَبَكَ (٢) وَإِنْ قَاوَلَتْهُ بِهَتَكَ، وَإِنْ سَكَتَ عَنْهُ ضَمَكَ.

فقال له النعمان: أنت أنت. فأحسن صِنتَهُ وَصِلَةَ أَصْحَابِهِ.



وَقَدْ الصَّقْعَبُ عَلَى الْمَلِكِ الْعَرَبِيِّ. النعمان بن المنذر فى عشرة  
ن قومه، وكان النعمان قد سَمِعَ بِهِ، فَلَمَّا طَلَبَ إِدْخَالَهُ، وَرَأَاهُ، اسْتَوْرَى  
بَيْنَتَهُ، وَرَأَاهُ عَلَى غَيْرِ مَا كَانَ يَظُنُّ - قَالَ لَهُ: تَسْمَعُ بِالْمَعِيدِ خَيْرٌ مِنْ  
ن تَرَاهُ، أَى أَنْ صِيْنَتَكَ غَيْرَ هِيْنَتِكَ، وَقَدْ قُتِنْتُ بِمَا سَمِعْتُ عَنْكَ.

فرد الصَّقْعَبُ، قائلاً: ليس الرجال بهيناتهم. إنما هم بأقوالهم  
شجاعتهم، فعجب منه النعمان، وسأله عن حكمته وحسن تصرفه فى  
لأُمُور.

فرد عليه، مبينا سبيله فى تناول المشاكل وحلها، والإتيان فيها  
الفصل والقطع. وهنا سأله النعمان عن العجز الظاهر، والفقر الحاضر.

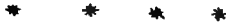
(١) العباء: الذى لا يبرأ منه.

(٢) سبَكَ: شتمك ودفع عليك.

فأجابه عن الأول بأنه الشاب الصغير الحيلة، الخاضع للمرأة  
يسمع قولها، الخاضع لرغباتها وأهوائها، وهذا لا فائدة منه ترجى، وليته  
ما وُذِّع ولا تَرَبَّى .

وأما الفقر الحاضر، فهو الإنسان النهوم الذى لا يكتفى، ولو امتلك  
قبطار ذهب، ثم سأله النعمان عن السوءة السوءاء. والداء العياء، أى  
الذى لا براء منه، فأجابه عن الأولى بأنها المرأة السليطة التى لا تعقل  
أمراً، فتسبب لصاحبها الخبال، وعدم الاستقرار. غنياً كان أم فقيراً .  
وأما الداء العياء، فالجار السوء. الذى لا يحترم جاره، ودائم  
العدوان عليه باللسان، فى الحضور غفمة. وفى غياب نميمة، وفى  
السكوت ظلماً .

فأعجب به النعمان، وأحسن صلته وصلة صحابه .



#### ٥ - وفود عامر بن جوين الطائى على المنذر بن النعمان

ابن المنذر (١):

أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد. قال: أخبرنى عمى عن  
أبيه عن ابن الكلبي عن أبيه قال:

وقد عامر بن جوين الطائى على المنذر بن النعمان الأكبر، جدد  
النعمان بن المنذر، وذلك بعد انقضاء ملك كندة. ورجوع الملك إلى لخم  
وكان عامر قد أجاز امرأ القيس بن ححر، أيام كن مقيماً بالجبلين، وقال  
كلمته التى يقول فيها:

---

(١) نوادر الأملى ١٩٧، ١٩٨ .

هُنَالِكَ لَا أُعْطَى مَلِيكًا ظَلَامَةً وَلَا سُوقَةً حَتَّى يَنْوُبَ ابْنُ مُنْدَلَةَ

وكان المنذر ضغنا عليه، فلما دخل عليه قال له: يا عام، لساء  
رى أثويته ربك، وثويك حين حاولت إصبياء طلته ومخالفته إلى عشيره  
أ والله لو كنت كريما لأثويته مكرما موقراً، ولجانبته مسلماً.

فقال له: أبيت اللعن. لقد علمت أبناء أدد ابني لأعزها جارا

كرمها جواراً، وأمنعها داراً، ولقد أقام وافرأ، وزال شاكراً.

فقال له المنذر: يا عام، وإنك لتخال هضيبيات أجأ ذات الوبار

فنيبات سلمى ذات الأغفار . مانعائك من المجر الجرار، ذى العدد  
كثار، والحصن والمهار، والرماح الحرار، وكل ماضى الغزار، بيد كل  
سعر كريم النجار .

قال له عامر: أبيت اللعن . إن بين تلك الهضيبيات والرعان

الشعاب والمصدان، لغتيانا أبطالا، وكهو لا أزوالا، يضربون القوانيس  
يستزلون الفوارس، بالرماح المداعس، لم يتتبعوا الرعاء، ولم ترشحهم  
إماء .

فقال الملك: يا عام . لو قد تجاوبت الخيل فى تلك الشعاب صهيلا .

كانت الأصوات قعقة وصليلاً، وفغر الموت، وأعجز الفوت، فتفارشت  
رماح، وحمى السلاح، لتساقى قومك كأساً لا صحو بعدها .

فقال: مهلا أبيت اللعن . إن شراينا وبيل، وحدنا أليل، ومعجمنا

سليب، ولقاعنا مهيب .

فقال له: يا عام . إنه لقليل بقاء الصخرة الصماء، على وقع

لملاطيس .



فقال: أبيت اللعن . إن صفاتنا عبر المراديس .

فقال: لأوقظن قومك من سنة الغفلة، ثم لأعقبنهم بعدها رقصدة لا يهيب راقدها، ولا يستيقظُ هاجدُها .

فقال له عامر: إن البغي أباد عمراء، وصرع حُجراً، وكان أعز منك سلطاناً، وأعظم شأنًا، وإن لقيتنا لم تلق أنكاساً ولا أغاساً، فهبش وضائعك وصنائعك، وهلم إذا بدالك، فحن الألى قسطوا على الأملاك قبلك .

ثم أتى راحلته فركبها وأنشأ يقول هذه الأبيات:

تَعَلَّمْ أَبَيْتَ اللَّعْنَ أَنْ قَنَاتَنَا	تَزِيدُ عَلَى غَمَزِ الثَّقَافِ تَصْنَعًا
أَتَوَعِدُنَا بِالْحَرْبِ . أُمُّكَ هَابِلُ	رَوَيْتَكَ بَرَقًا لَا أَبَالِكَ خَلْبًا
إِذَا خَطَرْتُ دُونِي جَدِيلُهُ بِالْفَتَا	وَحَامَتِ رِجَالُ الْغَوِي دُونِي تَحْدَبًا
أَبَيْتُ الَّتِي تَهْوَى وَأَعْطَيْتُكَ التَّيَّ	تَسُوْقُ إِلَيْكَ الْمَوْتَ أَخْرَجَ أَكْهَبًا
فَإِنْ شِئْنَتْ أَنْ تَزْدَارَنَا فَانْتَ تَعْتَرِفْ	رِجَالًا يَذِيلُونَ الْحَدِيدَ الْمُعْقَرِيَا
وَإِنَّكَ لَوْ أَبْصَرْتَهُمْ فِي مَجَالِهِمْ	رَأَيْتَ لَهُمْ جَمْعًا كَثِيفًا وَكُوكَبًا
وَيَذْكُرُكَ الْعَيْشُ الْهَنَى جِلَادُهُمْ	وَمَلْهَى بِأَكْنَافِ السِّدِيرِ وَمَشْرِبَا
فَأَغْضِ عَلَى غَيْظٍ وَلَا تَرِمِ التَّيَّ	تُحْكَمُ فِيكَ الزَّاغِيَةُ الْمُخْرَبَا

## ب - عصر النبوة

قدوم وفد بنى تميم إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -  
قال ابن إسحاق (١):

تقدمت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفود العرب  
قدم عليه عطارد بن حاجب بن زرة بن عس التميمي، في أشرف بنى  
ميم، منهم: الأقرع بن حابس التميمي، والزبرقان بن بدر التميمي، أحد  
بنى سعد، وعمر بن الأهتم، والحباب بن يزيد (الحتحات) في البداية  
النهاية، وفي وفد بنى تميم نعيم بن يزيد، وقيس بن الحارث، وقيس بن  
عاصم، أخو بنى سعد، في وفد عظيم من بنى تميم.

ومعهم: عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، وكان الأقرع  
ابن حابس، وعيينة بن حصن، شهدا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -  
فتح مكة وحنينا والطائف. فلما قدم وفد بنى تميم كانا معهم، فلما  
دخل الوفد المسجد، نادوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من وراء  
حجراته، أن أخرج إلينا يا محمد. فتأذى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -  
من صياحهم، فخرج إليهم.

فقالوا: يا محمد، جننا نفاخرك، فأذن لشاعرنا وخطيبنا.

قال: قد أذنت لخطيبكم، فليقل، فقام عطارد بن حاجب، فقال:

"الحمد لله الذى له علينا الفضل والمن، وهو أهل، الذى جعلنا  
ملوكا، ووهب لنا أموالا عظاما، فعل فيها المعروف، وجعلنا أعز أهل  
المشرق، وأكثره عددا، وأيسره عدة، فمن مثنا فى الناس؟ ألسنا برعوس

(١) السيرة النبوية ٤/٤١٤ وما بعدها ابن هشام، البداية والنهاية لابن كثير ٤١  
ونهاية الأرب ٣٢/١٨ والعقد الفريد ١/٢٤٩.

الناس، وأولى فضلهم؟ فمن فآخَرْنَا فَلْيَعَدُّ مِثْلَ مَا عَدَدْنَا، وإِنَّا لَوِ نَشَاءُ لَأَكْثَرْنَا الْكَلَامَ، وَلَكِنَّا نَحِبُ مِنَ الْإِكْثَارِ فِيمَا أَعْطَانَا، وإِنَّا نَعْرِفُ بِذَلِكَ" أَقُولُ هَذَا؛ لِأَن تَأْتُوا بِمِثْلِ قَوْلِنَا، وَأَمْرٍ أَفْضَلَ مِنْ أَمْرِنَا. ثم جلس.

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لثابت بن قيس بن الشماس أخى بنى الحارث بن الخزرج: قم، فأجب الرجل فى خطبتيه. فقام ثابت، فقال:

"الحمد لله الذى السموات والأرض خَلَقَهُ، قضى فيهن أمره، ووسع كرسيه علمه، ولم يك شئ قط إلا مِنْ فضله، ثُمَّ كَانَ مِنْ قُدْرَتِهِ أَنْ جَعَلَنَا مَلُوكًا، وَاصْطَفَى مِنْ خَيْرِ خَلْقِهِ رَسُولًا، أَكْرَمَهُ نَسَبًا، وَأَصْدَقَهُ حَدِيثًا وَأَفْضَلَهُ حِسَابًا، فَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ، وَأَتَمَّنَهُ عَلَى خَلْقِهِ، فَكَانَ خَيْرَ اللَّهِ مَنْ الْعَالَمِينَ، ثُمَّ دَعَا النَّاسَ إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ، فَأَمِنَ بِرَسُولِ اللَّهِ الْمُهَاجِرُونَ مِنْ قَوْمِهِ وَذَوَى رَحِمِهِ، أَكْرَمَ النَّاسَ حِسَابًا، وَأَحْسَنَ النَّاسَ وَجُوهًا، وَخَيْرَ النَّاسِ فِعَالًا، ثُمَّ كَانَ أَوَّلُ الْخَلْقِ إِجَابَةً، وَاسْتِجَابَ اللَّهُ حِينَ دَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - نَحْنُ. فَنَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ، وَوُزَرَاءُ رَسُولِهِ نَقَاتِلُ النَّاسَ حَتَّى يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ، فَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ مَنَعَ مَنَّا مَا لَهُ وَدَمَهُ وَمَنْ كَفَرَ جَاهَدْنَاهُ فِي اللَّهِ أَبَدًا، وَكَانَ قَتْلُهُ عَلَيْنَا يَسِيرًا، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ.

فقام الزبير بن بدر، فقال:

نَحْنُ الْكِرَامُ فَلَا حَى يُعَادِلُنَا  
وَكَمْ قَسَرْنَا مِنَ الْأَحْيَاءِ كُلَّهُمْ  
وَنَحْنُ نَطْعِمُ عِنْدَ الْقَحْطِ مَطْعَمًا  
مِنَّا الْمُلُوكُ، وَفِينَا تَتَصَّبُ الْبَيْعُ (١)  
عِنْدَ النَّهَابِ، وَفَضْلُ الْعِرِّ يَنْبَعُ  
مِنَ الشَّوَاءِ، إِذَا لَمْ يُؤْنِسِ الْقَرَعُ (٢)

(١) البَيْع: مواضع الصلوات، والبيعة: كلمة قطبة قر: قهر.  
(٢) القرع: من معانيه: صغار الإبل أو: قطع من السحاب. والأول المراد.

تَرَى النَّاسَ تَلْتِينَا سَرَاتَهُمْ      مِنْ كُلِّ أَرْضٍ هُويَا ثُمَّ نَصْطَنِعُ  
حَرَّ الْكُومِ عَبَطًا فِي أُرُومَتِنَا      لِلنَّازِلِينَ إِذَا مَا أُنْزِلُوا شَبِعُوا  
تَرَانَا إِلَى حَرِّ تَفَاخُرِهِمْ      إِلَّا اسْتَفَادُوا وَكَفَوُوا الرَّأْسَ يُقْتَطَعُ  
نُفَاخِرُنَا فِي ذَاكَ نَعْرِفُهُ      فَيَرْجِعُ الْقَوْمُ وَالْأَخْبَارُ تُسْتَمَعُ  
أَبِينَا وَلَا يَأْبَى لَنَا أَحَدٌ      إِنَّا كَذَلِكَ عِنْدَ الْفَخْرِ نَرْتَفِعُ

وكان (حسان بن ثابت) غائبا، فبعث إليه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال حسان: جاعنى رسولك، فأخبرنى أنه إنما دعانى لأجيب عر بنى تميم، فخرجت إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأنا ل:

فَا رَسُولَ اللَّهِ إِذْ حَلَّ بَيْنَنَا      عَلَى أَنْفٍ رَاضٍ مِنْ مَعَدٍّ وَرَاغِمٍ  
فَادَ لَمَّا حَلَّ بَيْنَ بِيُوتِنَا      بِأَسْيَافِنَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَظَالِمٍ  
نَتَّ حَرِيدَ عِيْرَةٍ وَتَرَاوَهُ      بِجَابِيَةِ الْجَوْلَانِ وَسَطِ الْأَعَاجِمِ (١)  
الْمَجْدُ إِلَّا السُّودْدَ الْعُودَ وَالتَّنْدَى      وَجَاهَ الْمُلُوكِ وَاحْتِمَالِ الْعِظَائِمِ (٢)

قال: فلما انتهيت إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وقام عر القوم فقال ما قال، عرضت فى قوله، وقلت على نحو ما قال .  
: فلما فرغ الزبرقان بن بدر، قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لحسان بن ثابت: "قم يا حسان ، فاجب الرجل فيما قال .

البيت الحريد: الفريد .

السودد والعود: المجد القديم الذى يتكرر على الزمان .

فقام حسان فقال:

إِنَّ الدَّوَانِبَ مِنْ فِيهِمْ وَإِخْوَتِهِمْ  
يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سِرِيرَتُهُ

قَوْمٌ إِذَا حَارِبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ  
سَجِيَّةُ تِلْكَ فِيهِمْ غَيْرُ مُحَدَّثَةٍ  
إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَاقُونَ بَعْدَهُمْ  
لَا يَرْقِعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكْفَهُمْ  
إِنْ سَابَقُوا النَّاسَ يَوْمًا فَارَسَبَهُمْ  
أَعْفَى ذِكْرَتْ فِي الْوَحْيِ عَفْنَهُمْ  
لَا يَبْخُلُونَ عَلَى جَارٍ بِفَضْلِهِمْ  
إِذَا نَصَبْنَا لِحَيٍّ لَمْ نَسِيبْ لَهُمْ  
نَسْمُو إِذَا الْحَرْبُ تَلْتَنَا مَخَالِبَهَا  
لَا يَفْخَرُونَ إِذَا نَالُوا عَدُوَّهُمْ  
كَانَتْهُمْ فِي الْوَعْيِ وَالْمَوْتِ مَكْتَبَعٌ  
خَدَمْتُهُمْ مَا أَتَى عَقْوًا إِذَا غَضِبُوا  
فَإِنَّ فِي حَرْبِهِمْ - فَاتَرَكْ عَدَاوَتَهُمْ -  
أَكْرِمَ بِقَوْمِ رَسُولِ اللَّهِ شِبَعَتَهُمْ  
أَهْدَى لَهُمْ مِدْحَتِي قَلْبٌ يُؤَاوِرُهُ

قَدْ بَيْنُوا سُنَّةَ لِلنَّاسِ تَتَبَعُ (١)  
تَقْوَى إِلَهِهِ وَكُلَّ الْخَيْرِ يُصْطَنَعُ (٢)  
(تَقْوَى إِلَهِهِ وَبِالْأَمْرِ الَّذِي شَرَعُوا)  
أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاءِهِمْ نَفَعُوا  
إِنَّ الْخَلَاقَ - فَاعْلَمْ - شَرَّهَا الْبِدْعُ (٣)  
فَكُلُّ سَبَقٍ لِأَتَنَى سَبَقِهِمْ نَبِعُ  
عِنْدَ الدَّفَاعِ وَلَا يُوْهُونَ مَا رَفَعُوا  
أَوْ وَازَنُوا أَهْلَ مَجْدٍ بِالْنَدَى مَنَعُوا  
لَا يَطْبَعُونَ وَلَا يَرْدِيهِمْ طَمَعُ  
وَلَا يَمَسُّهُمْ مِنْ مَطْمَعٍ طَبَعُ  
كَمَا يَدْبُ إِلَى الْوَحْشِيَّةِ الدَّرْعُ  
إِذَا الرِّعَافُ مِنْ أَظْفَارِهَا خَشَعُوا (٤)  
وَأِنْ أَصِيبُوا فَلَا خَوْزٌ وَلَا هَلْعُ  
أَسَدٌ يَحْلِيهِ فِي أَرْسَاعِهَا قَدْعُ (٥)  
وَلَا يَكُنْ هَمُّكَ الْأَمْرُ الَّذِي مَنَعُوا  
شَرًّا يَخَاضُ عَلَيْهِ السُّمُّ وَالسَّلْعُ  
إِذَا تَفَاوَتِ الْأَهْوَاءُ وَالشَّيْعُ  
فِيمَا أَحَبَّ لِسَانُ حَائِكَ صَنَعُ

(١) الدَّوَانِبُ: جمع ذؤابة، وهي شعر متجمع أعلى الجبهة، والمراد هنا: السلادة الأشراف.

(٢) كذا في الديوان.

(٣) سَجِيَّة: طبيعة.

(٤) الرِّعَافُ: أطراف الناس واتباعهم.

(٥) مَكْتَبَعٌ: مجتمع. أَرْسَاعُ جمع رَسْع، وهو مستدق بين الحافر وموصل الوظيف من اليد والرجل وما أبه ذلك في الدواب. قَدْعُ: اعوجاج.

مَ أَفْضَلُ الْأَحْيَاءِ كُلَّهُمْ إِنَّ جَدَّ النَّاسِ جِدُّ الْقَوْلِ أَوْ سَمِعُوا

\*\*\*\*\*

وقال ابن هشام: حدثني بعض أهل العلم بالشعر من بني تميم: أن  
رقان بن بدر لما قدم على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فـى  
بني تميم، قام فقال:

إِذَا احْتَفَلُوا عِنْدَ احْتِضَارِ الْمَوَاسِمِ      نَاكَ كَيْمَا يَعْلَمُ النَّاسُ فَضْلَنَا  
وَأَنْ لَيْسَ فِي أَرْضِ الْحِجَازِ كَدَارِمٍ (١)      نَزَوْعُ النَّاسِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ  
وَنَضْرِبُ رَأْسَ الْأَصِيدِ الْمُتَفَاقِمِ      مَا نَدْوُدُ الْمُعْظَمِينَ إِذَا انْتَحَوْا  
نُغِيرُ بِنَجْدٍ أَوْ بِأَرْضِ الْأَعَاجِمِ      لَنَا الْمَرْبَاعُ فِي كُلِّ غَارَةٍ

فقام حسان بن ثابت فأجابه، فقال:

وَجَاءَ الْمُلُوكِ وَاحْتِمَالُ الْعِظَالِمِ      الْمَجْدُ إِلَّا السُّودَ الْعُودَ وَالنَّدَى  
عَلَى أَنْفِ رَاضٍ مِنْ مَعْدٍ وَرَاغِمٍ      سَرْنَا وَأَوَيْنَا النَّبِيَّ مُحَمَّدًا  
بِجَابِيَةِ الْجَوْلَانِ وَسَطِ الْأَعَاجِمِ      نَسَى حَرِيدَ أَصْلُهُ وَثَرَاوَهُ  
بِأَسْيَافِنَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَظَالِمٍ      سَرْنَاهُ لَمَّا حَلَّ وَسَطَ دِيَارِنَا  
وَطَبْنَا لَهُ نَفْسًا بِغِيٍّ الْمَغَاتِمِ      عَلْنَا بَنِينَ دُونَهُ وَبَنَاتِنَا  
عَلَى دِينِهِ بِالْمَرْهَفَاتِ الصَّوَارِمِ (٢)      نَحْنُ ضَرْبَنَا النَّاسَ حَتَّى تَتَابَعُوا  
وَلَدْنَا بَنِي الْخَيْرِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ      نَحْنُ وَلَدْنَا مِنْ قُرَيْشٍ عَظِيمَهَا  
بِعُودٍ وَبَالًا عِنْدَ يَكْرِ الْمَكَارِمِ      نَبِي دَارِمٍ لَا تَفْخَرُوا إِنْ فَخَرَكُمْ  
لَنَا خَوْلٌ مَا بَيْنَ ظَنَرٍ وَخَاوِمٍ      بَلَّغْتُمْ عَلَيْنَا تَفْخَرُونَ وَأَنْتُمْ  
وَأَمْوَالِكُمْ أَنْ تَقْسَمُوا فِي الْمَقَاسِمِ      إِنْ كُنْتُمْ جِنْتُمْ لِحَقِّنِ دِمَانِكُمْ

(١) دارم: من بني تميم .

(٢) المرهفات الصوارم: السيوف القاطعة .

فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ نِيذًا وَأَسْلِمُوا وَلَا تَلْبِسُوا زِيًّا كَزِيِّ الْأَعَالِمِ  
فلما فرغ حسان من قوله، قال الأقرع بن حابس: وأبي، إنَّ هذا  
الرجل لمؤتَى له، لَخَطِيبِهِ أَخْطَبٌ مِنْ خَطِيبِنَا، وَأَشَاعِرُهُ أَشَعْرُ مَنْ  
شَاعِرِنَا، وَلَأَصْوَاتُهُمْ أَخْلَى مِنْ أَصَوَاتِنَا — فلما فرغ القوم أسلموا .  
وجوزهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فأحسنَ جوانزهم .

وفى هذا الوفد نزل قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ  
الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ" (١)

• • • • •

هذه وفادة احتشد فيها عظماء تميم وكبرأؤها، لكل منهم مكانته  
ومركزه، وقدرته الخطابية، أتوا رسول الله — صلى الله عليه وسلم —  
مفاخرين، يدعون لأنفسهم من العظمة والمكانة ما ليس لغيرهم من  
العرب، يعلوهم الكبر، وتظلمهم الفطرسية ويملوهم الفخر والتعالى، حتى  
نادوا رسول الله (ص) من وراء الحجرات، ونزل القرآن الكريم معاتباً  
لهم .

انتدبوا من بينهم أخطبهم: عطارذ بن حاجب، ليتكلم بلسانهم  
ويقاخر بما عليه قومه من أسباب السيادة والرياسة، فأظهر أن فيهم  
الملك، وبين أيديهم الثروة التي بها صاروا أعز أهل المشرق، وبهاى  
بكثرة عددهم، ويسر عدتهم، وأنهم بذلك رعوس القوم، وأصحاب الفضل  
وليس لغيرهم، وأنهم يَتَحَدَّثُونَ أن يظهر فى العرب من يتفاخر عليهم .  
ولم يرد المصطفى — صلى الله عليه وسلم — أن يرد عليهم  
بنفسه، وكان يقدر على ذلك فهو أفصح العرب، وأنصعهم بياناً، ولكنّه  
انتدب لهم رجلاً مؤمناً من رجاله، ليتولى الرد عليهم، وإفحامهم؛ ليبين

النبي — صلى الله عليه وسلم — أن المدرسة المحمدية خَرَجَتْ رجالا  
رين على الذود عن حياض الإسلام، ورد الباغين على أعقابهم .  
انتدب لهم ثابت بن قيس بن الشماس — رضى الله عنه — فقام  
مرا مدافعا، فنسب الفضل كله لله تعالى، وأن الأمر بيده، يعز من يشاء  
ل من يشاء .

ثم أخذ في الرد على ما جاء به خطيبهم (عطارد بن حبيب) من  
باب الفخر . فقد مَنَّ الله على المسلمين فجعلهم ملوكا، فأسقط عن  
لارد وجه افتخاره بهذه الصفة . ثم أتى بسبب فخر للمسلمين لا يعادله  
ب، ولا يرقى إليه، فمنهم رسول الله ومصطفاه، أكرم الناس نسبا  
صدقهم حديثا، وأفضلهم حسبا، اختصه الله تعالى برسالته، وأنزل عليه  
أنه، وجعله أمينا على خلقه، دعا إلى دينه، فدخل الناس فيه مهاجرين  
نصارا، من أقاربه، وغير أقاربه، على اختلاف منزلتهم ومشاربهم  
نهم جميعا يتميزون على خلقه بحسن الفعل، وعظمة الخلق، وأن  
أنصار سارعوا إلى إجابته والإيمان به، فهم أنصار رسول الله  
زاروه، يقاتلون الناس حتى يؤمنوا، فمن آمن عصم ماله ودمه، ومن  
ر قوتل حتى يقتل، وما أيسر ذلك على المؤمنين .

ثم ختم مفاخرته بالاستغفار، وألقى تحية الإسلام .

وهي مفاخرة — لا شك — رائعة، أبطلت ما ذهب إليه وفد تميم  
تى قال أحد كبارهم وهو الزبرقان بن بدر: وأبى. إن هذا الرجل لموتى  
، لخطيبه أخطب من خطيبنا . أى إن خطيب محمد بز خطيب بنى  
يم، وأبطل ما جاء به .

ثم قام شاعرهم (الزبرقان بن بدر) فأشد أبياته مفاخرا:  
تَحَنُّ الْكِرَامُ فَلَا حَيَّ يَعَادِلُنَا .....



أتى فيها بمثل ما أتى به خطيبهم، فهم الكرام لا مثيل لهم، ومنهم الملوك، وإليهم يأتي الناس مقدسين متشرفين، وأنهم أهل قوة وبطش وأهل كرم وعطاء في الملمات والشدائد، يقد إليهم الناس فينحرون لهم ويطعمونهم، ويصلونهم وهم بذلك أصحاب اليد العليا، لا يجرو أحد أن يفاخرهم، أو يتعالى، عليهم ثم يتحدى أن يظهر في العرب من يفاخر أو يتعاضل.

ونلاحظ أن مفاخرهم كلها مادية، لا نجد فيها شيئاً من دين أو عقيدة.

وهنا — نجد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يبعث إلى حسان بن ثابت . رضى الله عنه، الذى يلبى مسرعا نداء رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ويأتى مرتجلا أبياته التى يرد بها على الزبرقان بن بدر — فيقول:

إِنَّ الدَّوَابَّ مِنْ فِهْرٍ وَإِخْوَتَهُمْ	قَدْ بَيَّنُّوا سُنَّةَ لِلنَّاسِ تَتَّبَعُ
يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ	تَقْوَى إِلَهٍ وَبِالْأَمْرِ الَّذِي شَرَعُوا
قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ	أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَائِهِمْ نَفَعُوا

..... الخ الأبيات

\* \* \*

ويتجلى انتصار حزب الله على لسان حسان من أول بيت، إذ جعل النبى — صلى الله عليه وسلم — والمسلمين ذوائب الناس . أى أنهم أعلى ما فى الرأس وأشرفه وأطهره، فأبطل بهذا المطلع كل ما جاء به الزبرقان من أسباب الفخر .

ثم يجعل فخر المسلمين قائما على أساس ثابت متين . فهم أهل عقيدة تبين للناس ما يجب اتباعه من حق يتمثل فى الإيمان بالله تعالى ووحدته، وأنهم يتحلون بقوة عادلة لا تضر إلا أعداءهم، أما أعوانهم

إنهم يجدون فيها الحماية والنفع، كما أنهم أول الناس سيقا إلى المكارم<sup>١</sup> يسبقهم إليها أحد، وأن فعلهم نافذ لا ترده قوة، ولا يدفعه دافع. وأما فلاحهم فهي العفة وعدم الطمع، كما أخبر بذلك الوحي، والشجاعة متمثلة في السمو والرقى عند الحرب، فهم أسود شجعان، ثم إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — هو قائدهم وزعيمهم، وأنه يعدل بينهم أنه محبوب فيهم، مطاع منهم، لذا استحقوا مدحي وإشادتي من قلبي: أي يساندني لسانى، لأنهم أفضل خلق الله أجمعين.

ولا شك أن رد حسان كان مفحما وقادحا لكل ما أتى به الزبرقان ثم بما أيد الله به محمدا، حتى قال: وأبى إن هذا الرجل لمؤتى له بطيبة أخطب من خطيبنا، ولشاعره أشعر من شاعرنا، ولأصواتهم لى من أصواتنا... فلما فرغ القوم. أسلموا.

## وفد لقيط بن عامر بن المنتفق

### على النبي — صلى الله عليه وسلم —

وَقَدْ لَقِيطُ بْنُ عَامِرِ بْنِ الْمُنْتَفِقِ، عَلَى النَّبِيِّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ صَاحِبٌ يَقَالُ لَهُ: نَهْيُكَ بْنُ عَاصِمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْمُنْتَفِقِ<sup>(١)</sup>.

قال لقيط: فخرجت أنا وصاحبي حتى قدمنا المدينة، لانسلاخ نيب، فأتينا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فوافيناه حتى انصرف صلاة الغداة، فقام في الناس خطيبا، فقال:

أيها الناس، ألا إني قد خبأت لكم صوتي منذ أربعة أيام، لتسمعوا ن، ألا فهل من امرئ قد بعثه قومه؟

العقد الفريد ابن عبد ربه تحقيق/ محمد سعد العريار ٢٤٩/١ وما بعدها.  
العقد الفريد ابن عبد ربه تحقيق/ أحمد يسري ٢ ع ١٠ ص ٣٤ وما بعدها.  
البداية والنهاية لابن كثير ص ٤٠.

فقالوا: اَعْلَمُ لنا ما يقول رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ألا، ثم لعله أن يلهيه حديث نفسه، أو حديث صاحبه، أو يلهيه ضال، ألا وإنى مسئول هل بلغت ألا اسمعوا، ألا اجلسوا.

فجلس الناس وقمت أنا وصاحبى، حتى إذا فرغ لنا فؤاده وبصره، قلت: يا رسول الله. ما عندك من علم الغيب؟

فضحك لعمُرُ الله. وهَزَّ رأسه، وعَلِمَ أنى أبتغى سقطه (١).

فقال: صَنَّ ريك بمفاتيح خمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله — وأشار بيده. قلت: وما هى؟

قال: عِلْمُ الْمَنِيَّةِ، قد علم مَتَى مَنِيَّةُ أحدكم ولا تعلمونه، وعلم ما فى غد، وما أنت طاعِمٌ عَدَا، ولا تعلمه، وعلم المَنَى حين يكون فى الرحم، قد علمه ولا تعلمونه، وعلم الغَيْثِ، بشرف عليكم آزلين مستنئين (٢) فيظل يضحك قد علم أن عونكم قريب.

قال لقيط: قلت: لن نعدم من رب يضحك خيرا.

وعلم يوم الساعة.

قلت: يا رسول الله إنى سائلك عن حاجتى فلا تعجلنى.

قال: سل عما شئت.

قال: قلت: يا رسول الله، علمنا مما لا يعلم الناس، ومما تعلم، فإنا من قبيل لا يصدقون تصديقنا أحدا، من مذبح التى تكدو إلينا، وخشع التى توالينا، وعشيرتنا التى نحن منها.

قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم :

(١) السقط: الخطأ فى القول والفعل.

(٢) الأزل: الذى صار فى قحط وجذب. المستنئ: الذى أصابته سنة جدياء.

تلبثون ما لبثتم، ثم يتوفى نبيكم، ثم تلبثون حتى تبعث الصبحه  
مُرُّ إلهك ما تدع على ظهرها من شئ إلا مات، والملائكة الذين عند  
ك، فيصبح ربك يطوف فى الأرض، وقد خلت عليه البلاد، فيرسل  
ك السماء بهضب<sup>(١)</sup> من عند العرش، فلعمُر إلهك ما تدع على ظهرها  
مصرع قتيل، ولا مدفن ميت، إلا شقت القبر عنه حتى تخلقه من قبك  
سه، فيستوى جالسا، ثم يقول ربك: مهيم<sup>(٢)</sup> — لما كان فيه — فيقول:  
رب، أمسى! اليوم! ولعهده بالحياة يحسبه حديث عهد بأهله.

فقلت: يا رسول الله، كيف يجمعنا ما قد تفرقنا الرياح والبلوى  
لسباع؟

قال: أنبئك بمثل ذلك فى إله الله<sup>(٣)</sup>، أشرفت على هذه الأرض  
هى مدررة<sup>(٤)</sup> يابسة .

فقلت: لا تحيا هذه أبدأ، ثم أرسل ربك عليها السماء، فلم تلبث إلا  
أما حتى أشرقت عليها وهى شربة<sup>(٥)</sup>، ولعمُر إلهك، لهو أقدر على أن  
يجمعك من الماء، على أن يجمع نبات الأرض، فتخرجون من الأصواء  
- قال ابن إسحاق: الأصواء: أعلام القبور .

ومن مصارعكم، فتتظرون إليه ساعة، وينظر إليكم .

ل: قلت: يا رسول الله كيف؟ نحن ملء الأرض وهو شخص واحد  
ينظر إلينا وننظر إليه؟

(١) الهضب: المطر .

(٢) مهيم: كلمة يمانية، ومعناها : ما الأمر وما الشأن؟

(٣) فى إله الله: أى فى ربوبيته والهيته وقدرته .

(٤) المدررة: القطعة من الطين اللزج المتماسك .

(٥) الشربة: الحوض الصغير يحفر حول الشجرة ويملا ماء لتشربه . جمع شرب .

قال: أنبيك بمثل ذلك في إله: الشمس والقمر آية منه صغيرة ترونهما ويريانكم ساعة واحدة، ولعمر إلهك لهو أقدر على أن يراكم وترونه، من أن تروهما ويرياكم، لا تضارون في رؤيتهما.

قال: قلت يا رسول الله . فماذا يفعل بنا ربنا إذا لقيناه؟

قال: نَعْرَضُونَ عليه بادية له صفحاتكم، لا تخفى منكم خافية، فيأخذ ربك بيده غرفة من الماء فينضح<sup>(١)</sup> بها قُبُلَكُمْ، فلَعَمْرُ إلهك ما تخطى وجه واحد منكم قطرة . فأما المسلم فتدع وجهه مثل الرابطة<sup>(٢)</sup> البيضاء، وأما الكافر فتخطمه<sup>(٣)</sup> بمثل الحمم الأسود . ثم ينصرف نبيكم ويتفرق على أثره الصالحون . قال: فتسلكون جسرا من النار، فيطأ أحدكم الجمر فيقول حس! فيقول ربك: أو إنه؟ فتطلعون على حوض الرسول لا يظمأ والله ناهله، فلعمر إلهك ما يبسط أحد منكم يده إلا وقع عليها قدح يطهره من الطوف<sup>(٤)</sup> والبول والأذى وتحبس الشمس والقمر ولا ترون منهما أحدا .

قال: قلت يا رسول الله فبم تبصر يومئذ؟

قال: بمثل بصرك ساعتك هذه، وذلك مع طلوع الشمس في يوم أشرقته الأرض وواجهته الجبال .

قال: قلت يا رسول الله . فبم نجزي من سيئاتنا وحسناتنا؟

قال: الحسنه بعشر أمثالها، والسيئة بمثلها أو يعفو .

قال: قلت يا رسول الله . فما الجنة وما النار؟

(١) ينضح: يرسن .

(٢) الرابطة: الملاة كلها نسج واحد وقطعة واحدة وكل ثوب لين رقيق .

(٣) تخكمه: تضرب خطمه . أى انفه . الحمم: الفحم والرماد وكل ما احترق من النار .

(٤) الطوف: الحدث من الطعام .

قال: لعمر إلهك إن للنار لسبعة أبواب، ما منها بابان إلا يسير  
كعب بينهما سبعين عاما، وإن للجنة لثمانية أبواب ما منها بابان إلا  
الراكب بينهما سبعين عاما .

قال: قلت يا رسول الله، فعلام نطلع من الجنة؟

قال: على أنها من غسل مصفى، وأنهار من كأس ما بها من صداع  
ندامة، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وماء غير آسن، وفاكهة لعمر  
ما تعلمون، وخير من مثله معه، وأزواج مطهرة .

قال: قلت يا رسول الله، أو لنا فيها أزواج؟ أو منهن صالحات؟

قال: الصالحات للصالحين، تلدن بهن مثل لذاتكم فى الدنيا  
ن بكم، غير أن لا توالد .

قال لقيط: قلت: أقصى ما نحن بالغون ومنتهون إليه، فلم يجبه  
— صلى الله عليه وسلم .

قال: قلت : يا رسول الله . علام أبايعك؟

قال: فبسط إلى يده وقال: على إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة  
(١) . الشرك فلا تشرك بالله إلها غيره .

قال: فقلت وإن لنا ما بين المشرق والمغرب؟

فقبض — صلى الله عليه وسلم — يده، وظن أنى اشترط عليه شيئا  
لمينه .

قال: قلت نحل منها حيث شئنا، ولا يجزئ عن امرئ إلا نفسه؟  
إلى يده .

وقال: ذلك لك . حل حيث شئت، ولا يجزئ عنك إلا نفسك .

قال: فانصرفنا عنه .

• • •

## وفود عدى بن حاتم على النبي (ص) (١)

ولما قِيم وفد عدى بن حاتم على رسول الله (ص) وحادثه، قال:  
يا رسول الله، إن فينا أشعر الناس، وأسخى الناس، وأفرس الناس.  
قال: سَمِّهِمْ.

قال: أما أشعر الناس فامروء القيس بن حجر، وأما أسخى الناس  
فحاتم بن سعد — يعنى أبيه — وأما أفرس الناس فعمرو بن معد يكرب.  
فقال رسول الله (ص): ليس كما قلت يا عدى. أما أشعر الناس  
فالخنساء بنت عمرو، وأما أسخى الناس فمحمد — يعنى نفسه صلى الله  
عليه وسلم — وأما أفرس الناس فعلى بن أبى طالب."  
واتفق أهل العلم بالشعر أنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر  
منها.

وقيل لجرير: من أشعر الناس؟ قال: أنا لولا الخنساء. قيل بم  
فضلتك.

قال : بقولها:

إِنَّ الزَّمَانَ وَمَا يُفْنِي لَهُ عَجَبٌ      أَبْقَى لَنَا ذَنْبًا وَاسْتَوَصِلَ الرَّاسُ  
إِنَّ الْجَدِيدِينَ فِي طَوْلِ اخْتِلَافِهِمَا      لَا يَفْسُدَانِ وَلَكِنْ يَفْسُدُ النَّاسُ

• • •

هاتان وفادتان أخريان على رسول الله — صلى الله عليه وسلم:—  
الأولى: وفادة لقيط بن عامر بن المنتفق ومعه صاحبة: نهيك.  
وهنا تتجلى معجزة من معجزات سيد الخلق — صلى الله عليه —  
وسلم — حيث يتوجه إلى الناس طالبا أن يتحدث من أوفده قومه — ولم  
يكن الرجلان التقيا برسول الله — صلى الله عليه وسلم — ولكنه إخبار الله  
تعالى له، ووحيه إليه.

فقام لقيط يسأل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عن خبر  
ب، ويتجلى ذكاء المصطفى في فهم الغرض من السؤال، ولكنه يجيب  
لما أن الله حجب عنه خمسة أمور علم المنية، وعلم ما في غدا، وما هو  
عنه غدا، وعلم الجنين في رحم أمه، وعلم الغيث .

إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ، وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ،  
أَتَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ (١) .  
ويتسع صدر الرسول — صلى الله عليه وسلم — لأسئلة لقيط  
في يخبره فيها بقومه ومن يحيطون بهم من القبائل، ويطلب مزيدا من  
الرسول، الذي يبين له كيفية الصاعقة وموت الناس جميعا ثم بعثهم  
الله تعالى .

ويعجب لقيط من الحساب وسرعه بين إله واحد وخلق كثيرين  
ن له النبي — صلى الله عليه وسلم — قدرة الله وعظمته وإحاطته  
نه رغم كثرة عددهم .

وتستمر المحاورة بين لقيط والنبي حول كثير من أحوال البعث  
يكون عليه الخلاق يومئذ والجزاء الذي يناله كل امرئ حسبما قسّم  
دنياه، ثم بيان الجنة وما فيها من أوجه النعيم، والزوجات الصالحات .  
ثم بسط النبي — صلى الله عليه وسلم — يده للقيط فبايعه على  
الأم .

وهذه الوفاة — كما رأينا — ليست للمفاخرة، بل للتعرف على  
أمور العقيدة الإسلامية، من صاحب الدعوة صلى الله عليه وسلم .  
وقد جاءت نثرا، فأسلوبها مترسل، يقوم على الحوار، المبني على  
المنطق والإجابة من المعلم الأول للأمة الإسلامية . وهي تعتمد



على الإقناع الموصل للإيمان، وهو يقوم على تصديق ما يخبر به المعصوم صلى الله عليه وسلم — لذا سأل لقيط • كيف يكون الاتباع؟ فيبسط النبي صلى الله عليه وسلم يده، ويبايعه لقيط مسلماً •

والثانية : وفادة عدى بن حاتم على النبي صلى الله عليه وسلم •  
وهي في مضمونها تعنى التفاوض، لأنه ذكر فيها أن فيهم أشعر الناس وأسخى الناس وأفرس الناس •

فحوّل النبي — صلى الله عليه وسلم — المفاخرة، إلى محاوراة وقال له: سمهم. أى: اذكر أسماءهم، فلما سماهم، رد عليه الرسول بمجانبته الصواب فيما يقول، وبَيَّن له أن أشعر الناس الخنساء، وليس امرأ القيس كما قال • وقد اتفق أهل العلم بالشعر بذلك، لما قالته:

إِنَّ الزَّمَانَ وَمَا يُفْنِيهِ لَهُ عَجَبٌ      أَبْقَى لَنَا ذَنْبًا وَاسْتَوْصِلَ الرَّأْسُ  
إِنَّ الْجَدِيدَيْنِ فِي طَوْلِ اخْتِلَافِهِمَا      لَا يَفْسُدَانِ، وَلَكِنْ يَفْسُدُ النَّاسُ

كما أن أسخى الناس هو محمد صلى الله عليه وسلم وليس حاتم الطائي، وأما أفرس الناس فعلى بن أبي طالب وليس عمرو بن معد يكرب •

قدوم كعب بن زهير، إلى النبي - صلى الله عليه وسلم (١):

لما قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من منصرفه عن الطائف، كتب بجير بن زهير بن أبي سلمى إلى أخيه كعب بن زهير يخبره أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قتل رجالا بمكة ممن كانوا يهجونه ويؤذونه، وأن من بقي من شعراء قريش: ابن الزبعرى وهبيرة بن أبي وهب، قد هربوا في كل وجه، فإن كانت لك في نفسك حاجة، فطر إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإنه لا يقتل أحدا جاءه تائباً، وإن أنت لم تفعل فانج إلى نجاتك (٢) من الأرض، وكان كعب ابن زهير قد قال:

أَلَا أبلغا عني بجيرا رسالة	فهل لك فيما قلت ويحك هل لك
نبين لنا إن كنت لست بفاعل	على أى شئ غير ذلك دلوكا
على خلق لم ألف يوما أباه	عليه وما تلقى عليه أباه لكاه
إن أنت لم تفعل فلست بأسف	ولا قاتل إما عثرت: لما لكاه
سقاك بها المأمون كاساً روية	فاتهلك المأمون منها وعثا
ويروى سقاك أبو بكر بكاس روية	.....

قال: وبعث بها إلى بجير، فلما أنت بجير، كره أن يكتمها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأنشده إياها، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما سمع "سقاك بها المأمون" صدق وإنه لكذوب، أنا مأمون، ولما سمع "على خلق لم تلف أما ولا أباه" قال: أجل. لم

---

( السيرة النبوية ٣٧٣/٤ وما بعدها ابن هشام، والأغاني ج١٧ ص٨٦ ط الهيئة العامة والشعر والشعراء ١٦٠/١ ابن قتيبة تحقيق/ أحمد محمد شاكر ط ٣١ دار المعارف ١٩٧٧م.  
( إلى نجاتك: أى إلى محل ينجيك منه.

يلف عليه أباه ولا أمه. وزاد الزرقاني: أن النبي (ص) قال: "من لقى منكم كعب بن زهير فليقتله" كذا ذكر صاحب الأغاني: أن رسول الله (ص) لما بلغته هذه الأبيات "أهتر دمه" (١).

ثم إن بجيرا قال لكعب:

من مبلغ كعبا، فهل لك فى التى      تلوم عليها باطلا وهى أحزم  
إلى الله (لا العزى ولا اللات) وحده      فتتجو إذا كان التجاء وتسلم  
لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت      من الناس إلا طاهر القلب مسلم  
فدين زهير وهو لا شئ دينه      ودين أبى سلمى على محرم

قال ابن إسحاق:

فلما بلغ كعب الكتاب ضاقت به الأرض، وأشفق على نفسه وأرجف به (٢) من كان فى حاضره (٣) من عدوه، فقالوا: هو مقتول. فلما لم يجد من شىء بدا، قال قصيدته التى يمدح فيها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وذكر فيها خوفه وإرجاف الوشاة به من عدوه، ثم خرج حتى قدم المدينة . . . (حتى قدم إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم) ثم أشار له الرجل الذى كان برفقته إلى رسول الله، وطلب منه أن يتقدم إليه فيستأمنه، فقام حتى جلس إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فوضع يده فى يده — وكان الرسول لا يعرفه — فقال: يا رسول الله. إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً، فهل أنت قابل منه إن أنا جنتك به؟

قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم —: نعم.

قال: أنا يا رسول الله كعب بن زهير

(١) الأغاني ٨٦/١٧ .

(٢) أرجف به: خاض فى أمره.

(٣) حاضره: حيه.



يَمْشُونَ مَشْيَ الْجَمَالِ الزَّهْرِ يَعْصِمُهُمْ  
ضَرْبٌ إِذَا عَرَدَ السَّوْدُ التَّنَائِيلُ  
لَا يَقَعُ الطَّنَعُ إِلَّا فِي سِي نُحُورِهِمْ وَمَا لَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ

وفود النابغة الجعدي على رسول الله (ص):

قال ابن قتيبة: (١)

هو عبد الله بن قيس من جعدة بن كعب بن ربيعة، وإخوة جعدة:  
عقيل وقشير والحريش، وكان يكنى: أبا ليلي، وهو جاهلي.

وأنتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنشده:

أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ إِذْ جَاءَ بِالْهُدَى وَيَتْلُو كِتَابًا كَالْمَجْرَةِ نَيْرًا  
بَلَغَا السَّمَاءَ مَجْدَنَا وَجُدُونَا وَإِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا (٢)

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "إلى أين يا أبا ليلي؟"

فقال: إلى الجنة.

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "إن شاء الله".

وأنشده:

وَلَا خَيْرَ فِي جِلْمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ بِوَادِرٍ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا  
وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَلِيمٌ إِذَا مَا أُوْرِدَ الْأَمْرُ أَصْدَرَا

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "لا يفضض الله فاك".

قال: فبقى عمره لم تنقضى له سن.

(١) الشعر والشعراء ابن قتيبة ٢٩٥/١ .

(٢) القصيدة ٧٦ بيتاً، وهي في جمهرة أشعار العرب ١٤٠ - ١٤٨، تاريخ الطبري ٥٠/١٣ .

تعاليمه، تصور وفادة كعب بن زهير على النبي - صلى الله عليه وسلم - نوعاً فريداً من الوفادات، حيث نرى سبق بجير إلى الإسلام، ورغبته الصادقة في دخول أخيه كعب في الدين الإسلامي، حتى يصفح عنه الرسول - صلى الله عليه وسلم - فينجو من إهدار دمه.

وقد حرص بجير على أن يبعث إلى أخيه كعب، يخبره بغضب رسول الله على من يهجوّه، ويطلب منه الإسراع إلى المجيء للقاء النبي - صلى الله عليه وسلم - وإعلان دخوله في الإسلام، وفي الوقت نفسه نشد بجير بعض أبياته بين يدي الرسول حتى يرقق قلبه، وأرسل بهذه لأبيات إلى أخيه، وأنشد أبياتاً أخرى يستحث أخاه فيها على ترك الشرك الأوثان، مقررًا أن الدين الحق هو الإسلام.

وقد أحسن كعب بموقفه الشديد، وخشى على نفسه من القتل الضياع، وسوء سيرته بين الناس حياءً، وأتاه الشعر طيِّعاً، وقد لانت ريكته، ورق قلبه للإسلام، وتطلع إلى الانغماس في أنوار الذات محمدية، فأنشأ لاميته الخالدة (بانت سعاد ٠٠٠)، وأقبل متلهفاً للقاء نبي، وشرف بلقائه، دون أن يعرفه بنفسه، وأعلن بين يديه الكريمتين لاهمه، ثم أعلن عن ذاته. وقد عفا عنه أرحم خلق الله، وحماء من أن مرض لأذى أو ضر.

وقد كان للشعر في هذه الوفاة دور ظاهر جلي، ولم يجر فيها ير حوار، بينما كان المجال الأكبر والأكثر فيها لقيثارة أنغام البيان باعت معاني الشعر أجمل تصوير لما أضاء قلبه شاعرنا الذي صار د شعراء الرسول، مدافعا عن الإسلام ونبيه.

وكما قام الشعر بدوره المؤثر فى وفادة كعب بن زهير على  
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نجده يؤدى رسالته البيانية الجليسة  
بين يدى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حيث وفد النابغة الجعدي  
على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنشد قوله: أتيت رسول الله  
إذ جاء بالهدى . . .

فلما قال: بلغنا السماء مجدنا وجدودنا . . . وإنا لنرجو فوق ذلك  
مظهرا

يسأله رسول الله: إلى أين يا أبا ليلى؟  
فيجيب: إلى الجنة. فيبشره الرسول الكريم قائلا: إن شاء الله.  
ويدعو له النبى بالخير، وألا يفضض الله فاه.

### ج - الوفادة بعد عصر النبوة

رأينا أن الوفود ظهرت قبل الإسلام، وكان أبرزها موجهها إلى كاسرة وقياصرة العالم من غير العرب، وهى وفود يغلب عليها المفاخرة المنافرة من جانب الوفود العربية التى مثلها وأتاب فيها رجال على قدر بير من الشجاعة والثقة بالنفس وشدة الذكاء وقوة العارضة، وروعة بيان وحسن الأداء، مع سمو الفكرة، وعظمة القدرة على التصوير بيانى الرائع.

كما توجهت وفود أخرى إلى النعمان بن المنذر، تمدحه تستمنحه، وتطلب رفده وعطاءه، وترجو نواله، فكانوا يجدون عنده سن المنزلة، وتحقيق الأمل والأمنية.

ثم أضاء الوجود نور الإسلام، وازدانت الحياة بأيات القرآن كريم، تجلو للناس حقائق دينهم، وتبهر لهم طريق حياتهم، مسترشدين بعوة النبی محمد - صلى الله عليه وسلم - وما فيها من سماعحة خير.

وتوافد العرب على سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كانت نزوة هذه الوفود فى العام التاسع الهجرى - كما سبق تناوله - وبعد رحيله - صلى الله عليه وسلم - توالى الوفود، ولكن سورة أقل، ولأغراض مختلفة وسأتناول هذه الوفود على مراحل ثلاثة.

ى:

١- عصر الخلفاء الراشدين

٢- عصر الأمويين

٣- عصر العباسيين



## أولاً- عصر الخلفاء الراشدين:

أ- عصر الخليفة الأول . أبى بكر الصديق - رضى الله عنه:

١- وفادة أهل اليمامة على أبى بكر:

(١) حكى ابن عبد ربه (١) قال:

"وفد أهل اليمامة على أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - بعد إيقاع خالد بن الوليد بهم وقتله مسيلمة الكذاب . فقال لهم أبو بكر: ما كان يقول صاحبكم؟

قالوا: أعفنا يا خليفة رسول الله .

قال: لا بد أن تقولوا .

قالوا: كان يقول: يا ضفدع كم تتقن . لا الشراب تمنعين، ولا الماء تكدرين، لنا نصف الأرض، ولقريش نصفها، ولكن قريشا قوم لا يعدلون .

فقال لهم أبو بكر: ويحكم! ما خرج هذا من إلّ ولا برّ، فأين ذهب

بكم؟! قال أبو عبيدة: الإلّ: الله تعالى . والبرّ: الرجل الصالح {

ب- فى عصر عمر بن الخطاب (رضى الله عنه):

١- وفود جبلة بن الأيهم (٢)

حكى ابن عبد ربه، عن العجلي، قال: (٢)

(١) العقد الفريد تحقيق/ العريان ٢٦٧/١ ، تحقيق/ أحمد يسرى المجلد ٢ العدد ١١ ص ٥٦ .

(٢) هو جبلة بن الأيهم الغساني (-: ٢٠هـ) من آل جفنة: أخر ملوك الغساسنة فى بادية الشام، عاش عصراً فى الجاهلية وقبائل المسلمين فى دومة الجندل (سنة ١٢هـ) وحضر وقعة اليرموك (١٥هـ) وهو على مقعدة عرب الشام مسن لخم وجذام وغيرهما فى جيش الروم الذين انهزموا ومعهم جبلة - ثم أسلم وهاجر إلى المدينة . ويقال إنه ارتد ولجأ إلى بلاد الروم حيث مات بها .

(٣) العقد الفريد ابن عبد ربه تحقيق/ العريان ٢٥٩/١ ، تحقيق/ أحمد يسرى المجلد ٢ عدد ١١ ص ٤٨

حدثني أبو الحسن علي بن أحمد بن عمرو بن الأجدع الكوفي بهيت (١)، قال: حدثني إبراهيم بن علي مولى بني هاشم، قال: حدثنا ثقات شيوخنا: أن جبلة بن الأيهم بن أبي شمر الغساني، لما أراد أن يسلم كتب إلى عمر بن الخطاب، من الشام يعلمه بذلك، ويستأذنه في القدوم عليه، فسر بذلك عمر والمسلمون، فكتب إليه أن أقدم. ولك ما لنا وعليك ما علينا. فخرج جبلة في خمسمائة فارس من عك وجفنة، فلما دنا من المدينة ألبسهم ثياب العرش المنسوج بالذهب والفضة، ولبس يومئذ جبلة ناهج وفيه قرط مارية وهي جدته، فلم يبق يومئذ بالمدينة أحد إلا خرج ينظر إليه، حتى النساء والصبيان، وفرح المسلمون بقدومه وإسلامه، حتى حضر الموسم من عامه ذلك مع عمر بن الخطاب، فبينما هو طوف بالبيت، إذ وطئ على إزاره رجل من بني فزارة فحلّه، فالتفت إليه جبلة مغضبا، فلطمه فهشم أنفه، فاستعدى عليه الفزاري عمر بن الخطاب. فبعث إليه، فقال: ما دعاك يا جبلة أن لطمت أخاك هذا فزاري فهشمت أنفه؟

فقال: إنه وطئ إزارى فحلّه، ولولا حرمة هذا البيت، لأخذت ذى فيه عيناه.

فقال له عمر: أما أنت فقد أقررت. إما أن ترضيه، وإلا أقتله (٢).  
ك.

قال (جبلة): أتقيده منى، وأنا ملك وهو سوقة؟

قال عمر: يا جبلة، إنه قد جمعك وإياه الإسلام، فما تفضله بشئ بالعافية.

(١) بهيت: بلدة على الفرات من وادي بغداد، فوق الأنبار، وهي أيضا من قرى حوران من أعمال دمشق.  
(٢) أقتله من: أمكنته.

قال جبلة: والله لقد رجوت أن أكون في الإسلام أعز منى في الجاهلية.

قال عمر: دع عنك ذلك.

قال جبلة: إذن انتصر.

قال عمر: إن تنصرت ضريتُ عنك.

قال: واجتمع قوم جبلة وبنو فزارة، فكانت تكون فتنة.

فقال جبلة: أخرنى إلى غد يا أمير المؤمنين.

قال عمر: ذلك لك.

فلما كان جُح الليل خرج جبلة وأصحابه، فلم ينن<sup>(١)</sup> حتى دخل القسطنطينية على هرقل، فتنصّر وأقام عنده، وأعظم هرقل قدومَ جبلة، وسرّ بذلك، وأقطعته الأموال والأرضين والرباع. وعاش جبلة في أرض الروم (القسطنطينية) إلى أن مات.



٢- وفود الأحنف بن قيس <sup>(٢)</sup> على عمر بن الخطاب

حكى ابن عبد ربه، عن المدائني: قال:

قدم الأحنف بن قيس التميمي<sup>(٢)</sup> على عمر بن الخطاب — رضى الله عنه، في أهل البصرة، وأهل الكوفة، فتكلموا عنده في أنفسهم، وما

(١) لم ينن: لم يتمهل.

(٢) العقد الفريد ابن عبد ربه تحقيق/ المريان ٢٦٤/١، تحقيق/ أحمد يسرى مجلد ٢ العدد ١١ ص ٥٣

هو الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين التميمي (٣ق هـ — ٧٢هـ): سيد تميم، وأحد العظماء الدهاء الفصحاء الشجعان الفاتحين، يضرب المثل به في الحلم، ولد بالبصرة، وأدرك النبي (ص) ولم يره، ووفد على عمر حين الت إليه الخلافة في المدينة. شهد الفتوح في خراسان، واعتزل الفتنة يوم الجمل، ثم شهد صفين. وله أخبار كثيرة.

(٣) الحولاء: غلاف مملوء ماء كأنه ولو عظيم. السلى: غشاء رقيق يحيط بسالجين ويخرج معه من بطن أمه ويكنى بحولاء السلى، وحادقة البعير: عن الخصب وكثرة الخير.

ينوب كل واحد منهم، وتكلم الأحنف، فقال: يا أمير المؤمنين، إن مفاتيح الخير بيد الله، وقد أتتك وفود أهل العراق، وإن إخواننا من أهل الكوفة والشام ومصر، نزلوا منازل الأمم الخالية، والملوك الجبابرة، ومنازل عسرى وقيصر، وبنى الأصفر (الروم)، فهم من المياة العذبة، والجنان لمخضبة في مثل حواء السلى وحدقة البعير<sup>(١)</sup> تأتيهم ثمارهم غضة لم تغير، وإنا نزلنا أرضا نشاشة، طرف في فلاة، وطرف في ملح أجاج، جانب منها منابت القصب، وجانب سبخة نشاشة لا يجف ترابها، ولا نبت مرعاها، تأتيها منافعها في مثل مري النعام، يخرج الرجل لضعيف منا يستعذب الماء (يستقى الماء العذب) من فرسخين، وتخرج امرأة بمثل ذلك، ترنق<sup>(٢)</sup> ولدها ترنيق العنز، تخاف عليه العدو والسبع، إلا ترفع خسيستنا، وتتعش ركيستنا، وتجبُر فاقتنا، وتزيد في عيالنا عيالا، في رجالنا رجالا، وتصفر درهمنا<sup>(٣)</sup> وتكبر قفيزنا، وتامر لنا بحفر نهر يستعذب به الماء هلكتنا.

قال عمر: هذا والله السيد! هذا والله السيد!

قال الأحنف: فما زلت أسمعها بعدها.

فأراد زيد بن جبلة أن يضع منه، فقال: يا أمير المؤمنين، إنه ليس ناك، وأمة باهلية.

قال عمر: هو خير منك إن كان صادقا. يريد: إن كانت له نية.

فقال الأحنف:

أنا ابن الباهلية أرضعتني  
أغض على القذى أجفان عيني  
بشدي لا أجد ولا وخيم  
إذا شر السفيه إلى الحليم

( حدقة البعير: عن الخصب وكثرة الخير .

( ترنق: تطيل النظر .

( درهمنا: تجعل فضتنا ذهبا، القفيز: المكيال .

قال: فرجع الوفد، واحتبس الأحنف عنده حولا أو شهرا، ثم قال:  
إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حزننا كلَّ منافق صنع اللسان،  
وإنى خفتك فاحتبستك، فلم يبلغنى عنك إلا خير، رأيت لك جولا<sup>(١)</sup>  
ومعقولا، فارجع إلى منزلك، واتق الله ربك".

\*\*\*\*\*

٣- ومن الوفاة في عهد عمر رضي الله عنه، وفادة الأحنف في  
مرة أخرى مع عمرو بن الأهتم. فقد حكى ابن عبد ربه عن العتبي عن  
أبيه قال<sup>(٢)</sup>:

"وفد الأحنف و عمرو بن الأهتم على عمر بن الخطاب - رضي  
الله عنه - فأراد أن يقرعَ بينهما في الرياسة، فلما اجتمعت بنو تميم، قال  
الأحنف:

ثوى قدح عن قومه طالما ثوى فلما أتاهم قال قوموا تتاجزوا<sup>(٣)</sup>  
فقال عمرو بن الأهتم: إنا كنا وأنتم في دار جاهلية، فكان الفضل  
فيها لمن جهل، فسفكنا دماءكم، وسببنا نساءكم، وإنا اليوم في دار  
الإسلام، والفضل فيها لمن علم، فغفر الله لنا ولك.

قال: فغلب يومئذ عمرو بن الأهتم على الأحنف، ووقعت القرعة  
لأل الأهتم.

فقال عمرو بن الأهتم:

لما دعيت للرياسة منقر لدى مجلس أضحى به النجم باديا  
شدت لها أزرى وقد لنت قبلها لأمثالها ممّا أشدّ إزاريا

(١) أي: تفعل ما يبذل حالنا إلى الصلاح؛ الرئيس: قلب أول الشيء إلى آخره.

(٢) العقد الفريد ت/الريان ٢٦٥/١، ت/أحمد يسرى ٢ ع ١١ ص ٥٥

(٣) تتاجز القوم: تسافكوا دماءهم.

٤- وفود الأحنف بن قيس على عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)<sup>(١)</sup>

روى عيسى بن دأب، قال: أول ما عرف الأحنف بن قيس وقُسمَ  
نه وقد على عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وكان أحدث القوم  
سناً، وأقبحهم منظراً، فتكلم كل رجل من الوفد بحاجته في خاصته  
الأحنف ساكت.

فقال له عمر: قل لي يا فتى.

فقال (الأحنف): يا أمير المؤمنين، إن العرب نزلت بمساكن طيبة  
ذات ثمار وأنهار عذاب، وأكنة<sup>(٢)</sup> ظليلة، ومواضع فسيحة، وإننا نزلنا  
بسبخة<sup>(٣)</sup> نشاشة<sup>(٤)</sup>، ماؤها ملح، وأفنيته ضيقة. وإنما يأتينا الماء في  
مثل حلق النعامة، فلا تتركنا يا أمير المؤمنين بحفر نهر يغزر ماؤه حتى  
تأتى الأمة فتغرف بجرثها وإنائها أوشك أن نهلك.

قال (عمر): ثم ماذا؟

قال (الأحنف): تزيد في صاعنا ومدنا، ونثبت من تلاحق في  
العطاء من ذريتنا.

قال (عمر): ثم ماذا؟

قال (الأحنف): تخفف عن ضعيفنا، وتتصف قويننا، وتتعاهد  
ثغورنا، وتجهز بعثنا.

قال (عمر): ثم ماذا؟

قال (الأحنف): إلى هاهنا انتهت المطالب، ووقف الكلام.

(١) زهر الأدب - الحصري ٦٤٢/٢، ٦٤٣، والبيان والتبيين ١/٢٣٧.

(٢) أكنة: الكن. وفاء كل شيء وسره. ج: أكنان وأكنة.

(٣) سبخة: أرض ذات نر وملح.

(٤) نشاشة: لا يجف ترأها، ولا ينبت مرعاها.

قال (عمر): أنت رئيس وفدك، وخطيب مصرك، قم عن موضعك الذى أنت فيه . فأدناه حتى أقعده إلى جانبه، ثم سأله عن نسبه، فانتسب له .

فقال (عمر): أنت سيد تميم، فبقيت له السيادة إلى أن مات .

\*\*\*\*\*

## ٥-وفادة هلال بن وكيع، والأحنف بن قيس

### وزيد بن جبلة على عمر (رحمه الله) (١)

حكى بشار بن عبد الحميد، عن أبى ريحانة قال:

وفد هلال بن وكيع، والأحنف بن قيس، وزيد بن جبلة على عمر رحمه الله. فقال هلال بن وكيع: يا أمير المؤمنين . إنا لبأب من خلفنا من قومنا، وغرة من وراعنا من أهل مصرنا، وإنك إن تصرفنا بالزيادة فى أعطياتنا، والفراتى لعيالنا، يزد ذلك التشريف منا تأملاً، وتكن لسوى الأحساب أباً وصولاً، فإنا إن كنن مع ما نمت به من فضائلك، وتدل به من أسبابك، كالجد الذى لا يحل ولا يرحد، نرجع بأنف مصلومة، وجدود غائرة، فمحننا وأهالينا بسجل من سجالك المترعة .

وقام زيد بن جبلة فقال:

يا أمير المؤمنين . سؤد الشريف، وأكرم الحسيب، وازرع عندنا من أياديك ما نسد به الخصاص، ونطرد به الفاقة، فإنا بقف (٢) من الأرض، يابس الأكناف، مقشعر الذروة، لا شجر فيه ولا زرع، وإنا من العرب اليوم إذ أتيناك بمرأى ومسمع .

(١) البيان والتبيين - الجاحظ - ١٤٣/٢، ١٤٤ .

(٢) القف: ما غلظ من الأرض وارتفع .

وقام الأحنف بن قيس فقال:

يا أمير المؤمنين . إن مفاتيح الخير بيد الله، والحرص قائد  
لحرمان . فائق الله فيما لا يغنى عنك يوم القيامة قيلا ولا قالًا، واجعل  
بنك وبين رعيته من العدل والإنصاف سببا يكفيك وفادة الوفود  
استماعة الممتاح، فإن كل امرئ إنما يجمع في وعائه، إلا الأقل ممن  
عسى أن تقتحمه الأعين، وتخونهم الألسنة، فلا يوفد إليك يا أمير المؤمنين .



## ٦- وفود عمرو بن معد يكرب على عمر بن الخطاب - رضى

الله عنه<sup>(١)</sup>:

لما فتحت القادسية على يدى سعد بن أبى وقاص، أبلى فيها عمرو ابن معد يكرب بلاء حسناً، فأوفده سعد على عمر بن الخطاب - رضى الله عنه، وكتب إليه معه بالفتح، وأثنى فى الكتاب على عمرو، فلما قدم على عمر بن الخطاب، سأله عن سعد، فقال: أعرابى فى نمرته<sup>(٢)</sup>، أسد فى تأمورته<sup>(٣)</sup>، نبطى فى جبايته، يقسم بالسوية، ويعدل فى القضية، وينفر فى السرية<sup>(٤)</sup> وينقل إلينا حقنا نقل الذرة.

فقال عمر: لشد ما تقارضتما الثناء.

وكان عمر قد كتب إلى سعد يوم القادسية أن يعطى الناس على قدر ما معهم من القرآن، فقال عمر لعمر بن معد يكرب: ما معك من القرآن؟

قال عمرو: ما معى شئ.

قال: إن أمير المؤمنين كتب إلى أن أعطى الناس على قدر ما معهم من القرآن.

فقال عمرو:

إذا قُتِلْنَا ولا يَبْكِي لَنَا أَحَدٌ      قَالَتْ قَرِيْشٌ أَلَا تَلْكُ الْمَقَادِيرُ  
نَعْطِى السُّوْيَةَ مَنْ طَعَنَ لَهُ نَفْدٌ      وَلا سَرِيَّةَ إِذْ نَعْطِى الدَّنَاتِيرُ  
قال: فكتب سعد بأبيائه إلى عمر، فكتب إليه أن يعطى على مقاماته فى الحرب.

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه ت/الريان ٢٦٦/١ ت/ أحمد يسرى مجلد ٢ عدد ١١ ص ٥٦

(٢) النمر: بردة من صوبى تلبسها الأعراب.

(٣) التأمورة: عريسة الأسد وهى شجر ملتف يكون ماوى الأسد.

(٤) السرية: من خمسة أنفس إلى ثلاثمائة أو أربعمائة.

ويورد ابن قتيبة رواية أخرى فى وفادة عمرو بن معد يكرب — على عمر بن الخطاب — رضى الله عنه، فيقول (١) "وأوفده سعد بن أبى وقاص، بعد فتح القادسية إلى عمر بن الخطاب — رضى الله عنه، فسأله عن سعد، فقال هو لهم كالأب، أعرابى فى نمرة، أسد فى تامورته (ويقال فى: ناموسيته) نبطى فى حبوته، يقسم بالسوية ويعدل فى القضية، وينفر فى السرية، وينقل إلينا حقنا، كما تنقل الذرة •

فقال عمر: (وقد كان كتب إليه سعد يثنى على عمرو) : نشد ما تقارضتما الثناء • وسأله عمر عن الحرب، فقال: مرة المذاق، إذا قلصت عن ساق، من صبر فيها عرف، ومن ضعف فيها تلف، وهى كما قال الشاعر

الحربُ أولُ ما تكون فتية      تسعى بزينتها لكل جهول  
حتى إذا استعرت وشبَّ ضرامها      عادت عجوزاً غير ذات خليل  
شمطاء جُزَّت رأسها وتكسرت      مكروهة للشيم والتقبيل

وسأله عن السلاح، فقال: الرمح أخوك، وربما خانك، والنبل منايا تخطئ وتصيب، والترس هو المجن وعليه تدور الدوائر، والدرع مشغلة للفارس، متعبة للراحل، وإنها لحصن حصين •  
وسأله عن السيف • فقال: ثم قارعك أمك عن الشكل • قال عمر: بل أمك • قال: الحمى أضرعتنى (الحمى أذلتنى) •

(١) الشعر والشعراء ابن قتيبة ت/أحمد محمد شاكر ٣٧٩/١ ٣٨٠٠

### التعليق:

وإذا نظرنا إلى الوفود فى عصرى أبى بكر وعمر — رضى الله عنهما — نجد اختلافا واضحا فى الغرض، وإن كان الأسلوب والمنهج واحداً.

وقد وجدنا أن وفود عصر النبوة، غلب عليها رغبة أعضائها فى التشرف بالمثل بين يدى سيدنا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وإعلان إسلامهم بين يديه الشريفتين. أما فى عصر أبى بكر وعمر — فالغرض جد مختلف.

فوفد اليمامة إلى أبى بكر، يشبه إلى حد كبير — ما نعرفه اليوم باسم (التحقيق مع المشاركين) فى الخروج على نظام الدولة، وإعلانهم الخضوع والانضواء تحت لواء طاعتها، وقد حضر هذا الوفد إلى أبى بكر — رضى الله عنه — بعد هزيمة أهل اليمامة، وإيقاع خالد بن الوليد بهم، وقتله مسيماً الكذاب — رأس الفتنة، فتوجه إليهم الصديق سائلاً عن قول هذا الأفاك لقومه، وكذبه عليهم، ومصمماً على معرفة ذلك القول. فلما أجابوه، رد عليهم متعجباً بأن ما قاله لم يصدر عن إله ولا بشر.

وفى الوفود التى وفدت على عمر، نجد جبلة بن الأيهم يقبل على عمر — رضى الله عنه — ليعلن إسلامه، ولكنه لم يكن على مستوى مبادئ الإسلام، وإدراك نقاء روحه وصفاء تعاليمه، بل خالط قلبه كبر وغطرسة، وقد فر تحت جناح الظلام ليعلن ارتداهفى القسطنطينية، ولم يؤثر فيه ما قام به الخليفة الثانى من شرح وإيضاح لأخوة المسلمين لأنه قد ران على قلبه.

وفى وفود الأحنف بن قيس على عمر — رضى الله عنه — نجده فى المرة الأولى يفد فى جموع من أهل الكوفة والبصرة، مقارنين بين

حالتهم الاقتصادية وحالة إخوانهم من أبناء الأمة الإسلامية، بما يفيد رغبتهم فى رفده وعطائه.

وفى الوفادة الثانية كان معه عمرو بن الأهتم، وفى هذه المرة — أيضا — يختلف غرض الوفادة، حيث كانت بسبب القرعة بينهما فى تولى الرئاسة.

وفى الوفادة الثالثة للأحنف على عمر — رضى الله عنه — يشرح الأحنف لعمر — رضى الله عنه — مقارنا حالة من يعيشون فى رغد من بعض العرب — وحالة قومه ممن أصابهم الجنب والفقر والحاجة، مطالباً الخليفة بالإسراع فى إصلاح أحوال الناس غير مطالب لنفسه بأية مكاسب.

ويتسع صدر الخليفة لمطالب الأحنف، ويطلب منه — مشجعا — الاستمرار فى زيادة مطالب هؤلاء الذين قست عليهم الحياة، وهو ما لا يحبه الخليفة العادل، ولا يرضاه لرعيته. حتى يحقق له كل هذه المطالب.

## الوفاءة فى آخر عصر الخلفاء الراشدين

### ١- قدوم أبى هريرة وأبى الدرداء على معاوية وعلى<sup>(١)</sup>

نكروا أن أبى هريرة وأبى الدرداء قدما على معاوية من حمص وهو بصقّين، فوعظه وقال له: يا معاوية، علام تقايل عليا، وهو أحق بهذا الأمر منك فى الفضل والسابقة؟ لأنه رجل من المهاجرين الأولين السابقين بإحسان، وأنت طليق وأبوك من الأحران. أما والله ما نقول لك أن تكون العراق أحب إلينا من الشام، ولكن البقاء أحب إلينا من الفناء، والصلاح أحب إلينا من الفساد. فقال معاوية: لست أزعم أنى أولى بهذا الأمر من على، ولكنى أقاتله حتى يدفع إلى قتلة عثمان. فقالا: إذا دفعهم إليك ماذا يكون؟ قال: أكون رجلا من المسلمين. فأتيا عليا، فإن دفع إليكما قتلة عثمان جعلتها شورى.

فقدما على عسكر على، فأتاهاما الأشر، فقال: يا هذان، إنه لم ينزلكما الشام حب معاوية، وقد زعمتما أنه يطلب قتلة عثمان، فعمن أخذتما ذلك فقبلتماه؟ أعمن قتله فصدقتموهم على الذنب، كما صدقتموهم على القتل؟ أم عن نصره فلا شهادة لمن جر إلى نفسه، أم عن اعتزلوا، إذ علموا ذنب عثمان، وقد علموا ما الحكم فى قتله؟ أم عن معاوية وقد زعم أن عليا قتله؟ اتقيا الله، فإننا شهدنا وغبّما، ونحن الحكم على من غاب.

فانصرفا ذلك اليوم. فلما أصبحا أتيا عليا، فقالا له:

إن لك فضلا لا يُدفع، وقد سرت مسير فتى إلى سفيه من السفهاء ومعاوية يسالك أن تدفع إليه قتلة عثمان. فإن فعلت ثم قاتلك كنا معك.

(١) الإمامة والسياسة ابن قتيبة ٩٦/١.

قال علي: أتعرفانهم؟ قالا: نعم. قال: فخذاهم  
فاتياً محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر والأشتر، فقالا: أنتم من  
تلة عثمان، وقد أمرنا بأخذكم، فخرج إليهما أكثر من عشرة آلاف رجل  
قالوا: نحن قتلة عثمان.  
فقالا: نرى أمرا شديدا ألبس علينا الرجل.

\*\*\*\*\*

التعليق: تمثل هذه الوفاة لونا فريدا في نوعها، من حيث المرحلة  
التي جرت فيها، والهدف الذي من أجله كانت.  
فقد وقعت أحداثها في مرحلة فاصلة بين عهدين: عهد الخلفاء  
الراشدين، وعهد بدء قيام الدولة الأموية.  
وهي مرحلة ملأى بالأحداث الجسام، التي أدت إلى تطورات  
خطيرة في المجتمع الإسلامي، بما أفرزت من اتجاهات فكرية وفلسفية  
وعقائدية، ومن تحول في نظام الحكم في الدولة الإسلامية من النظام  
الشورى إلى الوراثة الذي يشبه الملكى.

وهي وفادة تعكس لنا ما كان يدور في تلك المرحلة من صراع  
سياسى، وما استند عليه بنو أمية فى إثارتهم للنزاع وهو قضية مقتل  
عثمان بن عفان — رضى الله عنه، وادعائهم أن عليا رضى الله عنه  
يعرف الجناة.

ولذلك نجد — هنا — عضوى هذه الوفاة — وهما صحابيـان  
جليلان — نجدهما يسعيان بين معاوية وعلى، يحاولان إخماد نيران تلك  
الفتنة الطاغية، وحقن دماء المسلمين، فتوجها أولا إلى معاوية وحاولا  
إقناعه بحق على فى الخلافة، وأنهما يرغبان فى أن يستتب الأمن فى  
المجتمع الإسلامى، فطلب معاوية منهما أن يعملا على تسليم من قام بقتل

عثمان — رضى الله عنه — وهنا يكون الأمن والأمان . ولما توجهوا إلى  
معسكر على — رضى الله عنه — انتخب لهما رجلا من رجاله بيّن لهما  
أنه لاحق لهما فيما أُوفِدَا من أجله؛ لأنه لا يقوم على دليل، كما أوضح  
لهما على — كرم الله وجهه — عدم صحة ادعائهما أو ادعاء معاوية،  
ولما حاول الوافدان اتهام بعض الصحابة — وهو اتهام باطل، خرج  
إليهما أكثر من عشرة آلاف رجل، فأدرك الرجلان أن الأمر ألبس عليهما  
من لدن معاوية .

## ثانياً - الوفادة في عصر الدولة الأموية:

### أ- الوفود على معاوية

١- وفود الحسن بن علي (رضي الله عنه) (١):

حكى ابن عبد ربه، عن أبي بكر بن أبي شيبة قال  
"وَقَدْ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَلَى مُعَاوِيَةَ بَعْدَ عَامِ  
الْجَمَاعَةِ (٢)".

فقال له معاوية: والله لأحبونك بجائزة ما أجزت بها أحدا قبلك، ولا  
أُجيز بها أحدا بعدك. فأمر له بمائة ألف. (وذلك حيث تصالح الحسن  
ومعاوية).

وفي بعض الحديث أن النبي - صلى الله عليه وسلم - دخل على  
ابنته فاطمة، فوجد الحسن طفلاً يلعب بين يديها، فقال لها: "إن الله تعالى  
سيُصلح على يدى ابنك هذا بين فئتين عظيمتين من المسلمين".

### ٢- وفود زيد بن مثنى على معاوية - رحمه الله:

حكى صاحب العقد الفريد، عن العتبي، قال (٣):

"قدم زيد بن مثنى على معاوية - من البصرة - وهو أخو يعلى  
ابن مثنى صاحب جمل عائشة، ومتولى تلك الحروب، ورأس أهل  
البصرة، وكان عتبة بن أبى سفيان قد تزوج ابنة يعلى بن مثنى - فلما  
دخل على معاوية شكاه إليه تيناً لزمه".

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه تحقيق/ العريان ٢٦٨/١، ت/ أحمد يسرى مجلد/ ٢  
عدد/ ١١ ص ٥٧.

(٢) هو: العام الذي تصالح فيه معاوية والحسن - رضي الله عنهما -

(٣) العقد الفريد. ابن عبد ربه ت/ العريان ٢٦٨/١، ت/ أحمد يسرى مجلد/ ٢ عدد/ ١١  
ص ٥٨/٥٧.



فقال: يا كعب، اعطه ثلاثين ألفاً. فلما وَلَّى قال: وَلَيْسَ مِنَ الْجَمَلِ ثلاثين ألفاً أخرى. ثم قال له: الحق بصهرك - يعنى عتبة - فقيم عليه مصر.

فقال: إننى سرت إليك شهرين، أخوضُ فيها المتآلف، ألبس أردية الليل مرة، وأخوض فى لجج السراب أخرى، موقراً<sup>(١)</sup> من حسن الظن بك، وهارباً من دهر قطم<sup>(٢)</sup> ودَيْن لزم، بعد غنى جذعنا به أنوف الحاسدين، فلم أجد إلا إليك مهرباً، وعليك مَعُولاً.

فقال عتبة:

مرحباً بك وأهلاً، إن الدهر أعاركم غنى، وخلطكم بنا، ثم استرد ما أمكنه أخذه، وقد أنقى لكم منا ما لا ضيعة معه، وأنا واضع يدي وبك بيد الله. فأعطاه ستين ألفاً، كما أعطاه معاوية رحمه الله.

---

٣- وفود عبد العزيز بن زرارة، على معاوية رحمه الله<sup>(٣)</sup>:

عن العتبي عن أبيه قال:

وقد عبد العزيز بن زرارة، على معاوية، وهو سيد أهل الكوفة فلما أُنْزِلَ له، وقف بين يديه، وقال: يا أمير المؤمنين، لم أزل أهرّ ذوائب الرّحَالِ إليك، إذ لم أجد معولاً إلا عليك، أمتطى الليل بعد النهار، وأَسِمْ المجاهل بالأثار، يقودنى إليك أمل، وتسوقنى بلوى، والمجتهد يُعَذَّر، وإذا بلغتك فَقَطَّنى.

فقال معاوية: احطط عن راحلتك رحلها.

---

(١) موقراً: مزوداً محملاً.

(٢) قطم: سنول.

(٣) العقد الفريد ابن عبد ربه تحقيق/ العريان ٢/ ٢٦٩، تحقيق/ أحمد يسرى مجلد ٢ العدد ١١ ص ٥٨.

وخرج عبد العزيز بن زرارَة مع يزيد بن معاوية إلى الصائفة  
فهلك هناك، فكتب به يزيد بن معاوية إلى معاوية، فقال لزارَة: أتأني  
اليوم نعيُّ سيد شباب العرب .

قال زرارَة: يا أمير المؤمنين، هو ابني أو ابنك؟

قال (معاوية): بل ابنك .

قال (زارَة): للموت ما تد الوالدة .

.....

٤- قدوم عقيل بن أبي طالب على معاوية (١):

ذكروا أن عقيل بن أبي طالب قَدِمَ على أخيه عليّ بالكوفة .

فقال له عليّ: مرحباً بك وأهلاً . ما أقدمَكَ يا أخى؟

قال (عقيل): تأخرُ العطاءُ غناً، وغلاءُ السعرِ ببلدنا، وركبني دَيْنٌ  
عظيم، فجنّت لِتَصِلَنِي .

فقال عليّ: والله ما لى مما ترى شيئاً إلا عَطَانِي، فإذا خرج فهو

لك .

فقال عقيل : وإنما شخوصى من الحجاز إليك مِنْ أَجْلِ عَطَائِكَ؟

وماذا يبلغُ مِنِّي عطاؤك؟ وما يدفعُ حاجتى؟

فقال عليّ: فمه! هل تعلم لى ما لاَ غيرَه؟ أم تريدُ أن يُحرِقَنِي الله

فى نار جهنم فى صلتك بأموال المسلمين؟

فقال عقيل: والله لأُخْرِجَنَّ إلى رجل هو أَوْصَلُ لى مِنك (يريد

معاوية) .

فقال عليّ: راشداً مهدياً .

فخرج عقيل حتى أتى معاوية، فلما قَدِمَ عليه، قال لهُ معاوية:

مرحباً وأهلاً بك يا بن أبى طالب، ما أقدمَكَ عَلَيَّ؟

(١) الإمامة والسياسة ابن قتيبة الدينورى ٧٥/١ ط . مؤسسة الحلبي - القاهرة ٢٠٠٤

فقال: قَدِمْتُ عَلَيْكَ لِذِيْنٍ عَظِيْمٍ رَكِبْنِي، فَخَرَجْتُ إِلَى أَخِي لِيَصَلَّنِي  
فَزَعَمَ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ مِمَّا يَلِي إِلَّا عَطَاؤُهُ، فَلَمْ يَقَعْ ذَلِكَ مِنِّي مَوْقِعًا، وَلَمْ يَسُدَّ  
مِنِّي سَدًّا، فَأَخْبَرْتَهُ أَنِّي سَاخِرُجٌّ إِلَى رَجُلٍ هُوَ أَوْصَلُ مِنْهُ لِي، فَجِئْتُكَ .  
فَأَزْدَادَ مَعَاوِيَةَ فِيهِ رَغْبَةً .

وَقَالَ: يَا أَهْلَ الشَّامِ، هَذَا سَيِّدُ قَرِيْشٍ، وَابْنُ سَيِّدِهَا، عَرَفَ الَّذِي فِيهِ  
أَخُوهُ مِنَ الْغَوَايَةِ وَالضَّلَالَةِ، فَأَثَابَ إِلَى أَهْلِ الدَّعَاءِ، إِلَيَّ أَهْلَ الْحَقِّ  
وَلَكِنِّي أَزْعَمُ أَنْ جَمِيعَ مَا تَحْتَ يَدِي لَهُ، فَمَا أُعْطِيْتُهُ فَقُرْبَةً إِلَى اللَّهِ، وَمَا  
أَسْكُتُ فَلَا جَنَاحَ عَلَيَّ فِيهِ .

فَأَغْضَبَ كَلَامُهُ عَقِيلًا لَمَّا سَمِعَهُ يَنْتَقِصُ أَخَاهُ .

فَقَالَ: صَدَقْتَ . خَرَجْتُ مِنْ عِنْدَ أَخِي عَلَى هَذَا الْقَوْلِ، وَقَدْ عَرَفْتُ  
مَنْ فِي عَسْكَرِهِ . لَمْ أَفْقِدْ وَائِهَ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَلَا وَاللَّهِ مَا  
رَأَيْتُ فِي عَسْكَرِ مَعَاوِيَةَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَقَالَ مَعَاوِيَةُ (عِنْدَ ذَلِكَ) : يَا أَهْلَ الشَّامِ، أَعْظَمَ النَّاسِ مِنْ قَرِيْشٍ  
عَلَيْكُمْ حَقًّا ابْنُ عَمِّ النَّبِيِّ (ص) وَسَيِّدُ قَرِيْشٍ، وَهِيَ هِيَ ذَا تَبَرَّأَ مِمَّا عَمِلَ بِهِ  
أَخُوهُ .

قَالَ: وَأَمْرٌ لَهُ مَعَاوِيَةَ بِثَلَاثِ مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ .

قَالَ لَهُ: هَذِهِ مِائَةُ أَلْفٍ تَقْضِي بِهَا دِيُونُكَ، وَمِئَةُ أَلْفٍ تَصِلُ بِهَا  
رَحْمَتُكَ، وَمِئَةُ أَلْفٍ تَوْسِعُ بِهَا عَلَى نَفْسِكَ .

• • • • •

### • وفود صعصعة بن صوحان على معاوية . (١)

... حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: حَدَّثَنَا الْعُكْلِيُّ عَنْ الْحَرَمَازِيِّ

قَالَ: حَدَّثَنَا الْهَيْثَمُ عَنْ مَجَالِدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: دَخَلَ صَعْصُعَةُ بْنُ صَوْحَانَ  
عَلَى مَعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَوَّلَ مَا دَخَلَ عَلَيْهِ، وَقَدْ كَانَ يَبْلُغُ مَعَاوِيَةَ

عنه فقال معاوية رحمه الله: ممن الرجل؟ فقال: رجل من نزار . قال: وما نزار؟ قال: كان إذا غزا انحوش، وإذا انصرف انكمش، وإذا لقي افترش . قال: فمن أى ولده أنت؟ قال: من ربيعة . قال: وما ربيعة؟ قال: كان يغزو بالخيـل، ويغير بالليل، ويجود بالنيل . قال: فمن أى ولده أنت؟ قال: من أمهر . قال: وما أمهر؟ قال: كان إذا طلب أفضى، وإذا أدرك أَرْضى، وإذا آب أنضى . قال: فمن أى ولده أنت؟ قال: من جنبلة . قال: وما جنبلة؟ قال: كان يطيل النجاد، ويعد الجياد، ويجيد الجلاذ . قال: فمن أى ولده أنت؟ قال: من دعى . قال: وما دعى؟ قال: كان نارا ساطعا وشرا قاطعا، وخيرا نافعا، قال: فمن أى ولده أنت؟ قال: من أقصى . قال: وما أقصى؟ قال: كان ينزل القارات، ويكثر الغارات، ويحمى الجارات . قال: فمن أى ولده أنت؟ قال: من عبد القيس . قال: وما عبد القيس؟ قال: أبطال ذادة، جاحجة سادة، صناديد قادة . قال: فمن أى ولده أنت؟ قال: من أقصى . قال: وما أقصى . قال: كانت رماحهم مشرعة، وقُدُورهم مترعة، وجفانهم مفرغة . قال: فمن أى ولده أنت؟ قال: من لكيز؟ قال: وما لكيز؟ قال: كان يباشر القتال، ويعانق الأبطال، ويبدد الأموال . قال: فمن أى ولده أنت؟ قال: من عجل . قال: وما عجل؟ قال: اللبوث الضراغمة، الملوك القماقمة، القروم القشاعة . قال: فمن أى ولده أنت؟ قال: من كعب . قال: وما كعب؟ قال: كان يسعر الحرب ويجيد الضرب، ويكشف الكرب . قال: فمن أى ولده أنت؟ قال: من مالك . قال: وما مالك؟ قال: هو الهمام اللهم، والقمقام المقمام .

فقال معاوية رحمه الله: ما تركت لهذا الحى من قریش شيئا . قال: بل تركت أكثره وأحبه . قال: وما هو؟ قال: تركت لهم الوبر والمدر

والأبيض والأصفر، والصفاء والمشعر، والقبعة والمفخر، والسرير والمنبر. والملك إلى المحشر.

قال: أما والله، لقد كان يسمعون أن أراك أسيراً أن أراك أميراً. ثم خرج، فبعث إليه فردته ووصله وأكرمه.

\* \* \* \* \*

#### ٦- وفود أبي الطفيل الكنانى على معاوية (١)

وذكروا أنه لم يكن أحد أحب إلى معاوية أن يلقاه من أبي الطفيل الكنانى، وهو عامر بن وائلة، وكان فارس أهل صفين، وشاعرهم، وكان من أخص الناس بعلى كرم الله وجهه، فقدم أبو الطفيل الشام يزور ابن أخ له من رجال معاوية، فأخبر معاوية بقدومه فأرسل إليه، فأتاه وهو شيخ كبير، فلما دخل عليه، قال له معاوية: أنت أبو الطفيل عيامر بن وائلة؟ قال: نعم. قال معاوية: أكنت ممن قتل عثمان أمير المؤمنين؟ قال: لا، ولكن ممن شهده فلم ينصره قال: ولم؟ قال: لم ينصره المهاجرون والأنصار. فقال معاوية: أما والله إن نصرته كانت عليهم وعليك حقا واجبا، وفرضا لازما، فإذا ضيعتموه، فقد فعل الله بكم ما أنتم أهلوه وأصاركم إلى ما رأيتم. فقال أبو الطفيل: فما منعك يا أمير المؤمنين إذ تربصت به ريب المنون أن تنصره ومعك أهل الشام؟ قال معاوية: أو ما ترى طلبى لدمه؟ فضحك أبو الطفيل وقال: بلى، ولكنى وإياك كما قال عبيد بن الأبرص:

لا أعرفنك بعد الموت تَدْبِنِي      وفي حياتي ما زودتني زَادِي

فدخل مروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحكم، فلما جلسوا نظر إليهم معاوية، ثم قال: أتعرفون هذا الشيخ؟ قالوا:

(١) الإمامة والسياسة ابن قتيبة ١/١٦٥، ١٦٦.

لا . فقال معاوية: هذا خليلُ عليّ بن أبي طالب، وفارس صفّين، وشاعرُ أهل العراق . هذا أبو الطفيل .

قال سعيد بن العاص: قد عرفناه يا أمير المؤمنين . فما يمنعك منه؟ وسمّعه القوم، فزجرهم معاوية، وقال: مهلاً . فربّ يوم ارتفع عن الأسباب . قد ضيقتم به ذرعا . قال: أتعرف هؤلاء يا أبا الطفيل؟ قال: ما أنكرهم من سوء، ولا أعرفهم بخير، وأنشد:

فَإِنْ تَكُنْ الْعَدَاوَةُ قَدْ أَكْنَتَ فَشَرُّ عَدَاوَةِ الْمَرْءِ السَّبَابُ

فقتل معاوية: يا أبا الطفيل: ما أبقي لك الدهر من حُبِّ علي؟ قال: حُبُّ أم موسى، وأشكو إلى الله التقصير . فضحك معاوية، قال: ولكن والله هؤلاء الذين حولك لو سئلوا عنى ما قالوا هذا . فقال مروان: أجل والله لا نقول الباطل . قال: ثم جهّزه معاوية وألحقه بالكوفة .

\* \* \* \* \*

#### ٧- وفود النابغة الجعدي على معاوية (١)

قال عمر بن شبة: كان النابغة الجعدي شاعرا مقدما، إلا أنه كان إذا هاجى غلب، وقد هاجى أوس بن مغراء، وليلى الأخيلية، وكعب بن جُعيل، فغلبوه وهو أشعر منهم — مرارا، ليس فيهم من يقرب منه . وكان قد خرج مع عليّ — رضى الله عنه — إلى صفين، فكتب معاوية إلى مروان، فأخذ أهل النابغة وماله، فدخل النابغة على معاوية وعنده مروان وعبيد الله بن مروان، فأنشده:

مَنْ رَاكِبٌ يَأْتِي ابْنَ هِنْدٍ بِحَاجَتِي عَلَى النَّأْيِ وَالْأَبَاءِ تَنْمِي وَتُجَلِّبُ  
وَيُخَيِّرُ عَنَى مَا أَقُولُ ابْنَ عَامِرٍ وَنِعْمَ الْفَتَى يَأْوِي إِلَيْهِ الْمُعْصَبُ  
فَبِأَن تَأْخُذُوا أَهْلِي وَمَالِي بِظَنَّةٍ فَاتَى لِأَحْرَارِ الرِّجَالِ مُحَرَّبُ  
صَبُورٌ عَلَى مَا يَكْرَهُ الْمَرْءُ كُلَّهُ سِوَى الظُّلَمِ، إِنِّي إِذَا ظَلِمْتُ سَأَعْظِبُ

فالتفت معاوية إلى مروان فقال: ما ترى؟ قال: أرى أن لا ترد عليه شيئا. فقال: ما أهون عليك أن يقطع على عريضى، ثم ترويه العرب. أما والله إن كنت ليمن برويه. اردد عليه كل شئ أخذته، ثم أقحمته سنة، فدخل على ابن الزبير فى المسجد يستجديه ومدحه بأبيات فأعطاه من بيت المال قلانس سبعا وفرسا رجلا، وأقر له الركاب بُرًا وتمرا وثيابا.

وكان قد وفد على النبي (ص) وأنشده:

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى ..... القصيدة

\* \* \* \* \*

#### ٨- قدوم أبى محجن على معاوية (١):

وذكروا أن عبد الله بن أبى محجن الثقفى قدم على معاوية. فقال: يا أمير المؤمنين. إني أتيتك من عند الغبى الجبان البخيل ابن أبى طالب. فقال معاوية: لله أنت ! أتدرى ما قلت؟ أما قولك الغبى. فوالله لو أن ألسن الناس جمعت فجعلت لساناً واحداً لكفاها لسان على، وأما قولك إنه جبان، فنكتلك أمك. هل رأيت أحداً قط بارزه إلا قتله؟ وأما قولك إنه بخيل، فوالله لو كان له بيتان أحدهما من يبر، والآخر من زين، لأنفذ تبره قبل زينته.

فقال الثقفى: فعلام نقاتله إذا؟ قال: على دم عثمان، وعلى هذا الخاتم الذى من جعله فى يده جادت طينته، وأطعم عياله، وادخر لأهله. فضحك الثقفى ثم لحق بعلى، فقال: يا أمير المؤمنين، هب لى يدى بجرمى، لا دنيا أصبت ولا آخرة. فضحك. ثم قال: أنت منها على رأس أمرك، وإنما يأخذ الله العباد بأحد أمرك.

## ٩- وفادة سعيد بن العاصي على معاوية<sup>(١)</sup>

قدم سعيد بن العاصي على معاوية، فقال: (معاوية) كيف تركت  
أبا عبد الله؟ فقال (سعيد): منقذا لأمرك، ضابطا لعملك .  
فقال له معاوية: إنما هو كصاحب الخبزة، كفى إنضاجها فأكلها .  
فقال سعيد: كلا، إنه بين قوم يتهادون فيما بينهم كلاما كواقع  
النبيل سهما لك، وسهما عليك .

قال (معاوية): فما باعد بينه وبينك؟  
فقال (سعيد): خفته على شرفي، وخافني على مثله .  
قال (معاوية): فأى شئ كان عندك فى ذلك؟  
فقال (سعيد): أسوءه حاضرا، وأسرره غائبا .  
قال (معاوية) يا أبا عثمان . تركتنا فى هذه الحروب .  
قال (سعيد): نعم، تحملت الثقل، وكفيت الحزم، وكنت قريبا لو  
دعيت لأجبت، ولو أمرت لأطعت .  
فقال معاوية: يا أهل الشام هؤلاء قومي، وهذا كلامهم .

\* \* \* \* \*

## ١٠- وفادة الأحنف بن قيس فى جماعة من أهل العراق<sup>(٢)</sup>

قال أبو عبيدة، وأبو اليقظان، وأبو الحسن: قدم وقد العراق على  
معاوية وفيهم الأحنف، فخرج الأذن، فقال: أمير المؤمنين يعزم عليكم ألا  
يتكلم أحد إلا لنفسه، فلما وصلوا إليه .

(١) البيان والتبيين ٨٣/٢، ٨٤ (الجاحظ) .

(٢) نفسه ٨٧/٢، ٨٨ وفى لسان العرب، مادة: دقف ص ١٣٩٦ ط دار المعارف .



قال الأحنف: لولا عزيمة أمير المؤمنين لأخبرته أن دافه (١) دفت ونازلة نزلت، وناثبة نابت، كلهم حاجة إلى معروف أمير المؤمنين وبره.

قال (معاوية): حسبك يا أبا بحر . قد كفيت الشاهد والغائب .

\* \* \* \* \*

### ١١- وفود أخرى للأحنف بن قيس على معاوية (٢):

حدثنا أبو يعقوب، وراق أبي بكر بن دريد، قال: أخبرنا أحمد بن عمرو . قال: حدثني أبو عمرو بن محمد عن أبي عبيدة، قال:

دخل الأحنف بن قيس على معاوية (ويزيد بين يديه)، وهو ينظر إليه إعجابا به، فقال: (معاوية) يا أبا بحر . ما تقول في وفى الولد . فلم ما أراد فقال: يا أمير المؤمنين: هم عماد ظهورنا، وثمر قلوبنا، وقرة أعيننا، بهم نصول على أعدائنا، وهم الخلف منا لمن بعدنا، فكُن لهم أرضا ذليلة، وسماء ظليلة، إن سألوك فأعطهم، وإن استعتبوك فأعتبهم، لا تمنعهم رفدك، فيملوا قربك، ويكرهوا حياتك، ويستبطنوا وفاتك .

فقال (معاوية): لله درك يا أبا بحر . هم كما وصفت .

\* \* \* \* \*

---

(١) الدافّة والدافّة: القوم يجذبون فيمطرون (السان العرب) و (دفت دافه) أى أتى قوم من أهل البادية قد أقحموا (لسان العرب) .  
(٢) الأماي لابن دريد ٤٧/٢ .

## ١٢- وفد خراسان على معاوية

يقال: إن معاوية قدم عليه وفد من خراسان، وجههم سعيد بن عثمان وطلب سحبان، فلم يوجد عامة النهار، ثم اقتضب (انْتَرَعَ) من ناحية كان فيها اقتضاباً، فدخل عليه، فقال (معاوية): تكلم. فقال (سحبان): انظروا الى عصا نقيم من أودي.

فقال له معاوية: ما تصنع بها؟

فقال (سحبان): ما كان يصنع موسى عليه الصلاة والسلام وهو يخاطب ربه، وعصاه بيده. فجاءوه بعصا لم يرضها، فقال (سحبان): جيئوني بعصاى. فأخذها ثم قام فتكلم من صلاة الظهر إلى أن قانت صلاة العصر، ما تتحنح ولا سعل ولا توقف ولا تحبس، ولا ابتداً فى معنى فخرج منه إلا حيث أتمه، ولم يبق منه شيء، ولا سأل عن جنس من الكلام بخطب فيه، فما زالت تلك حاله، وكل عين فى السماطين شاخصة إلى أن أشار له معاوية بيده أنه اسكت.

فأشار سحبان بيده أن دعنى لا تقطع على كلامى.

فقال له معاوية: الصلاة.

فقال (سحبان): هي أملك، ونحن فى صلاة يتبعها تحميد وتمجيد

وعظة وتنبية وتذكير ووعد ووعد.

فقال له معاوية: أنت أخطب العرب.

فقال سحبان: والعجم والجن والإنس.

### ١٣- وفادة مسكين الدارمي على معاوية

مسكين الدارمي لما قدم على معاوية أشده:  
إِيَّاكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَحَلْتُهَا      تُبِيرُ الْقَطَا لَيْلًا وَهَنَّ هُجُودَ  
عَلَى الطَّائِرِ الْمِيمُونِ وَالْجَدِّ صَاعِدَ      لِكُلِّ أَنْاسٍ طَائِرٌ وَجُدُودَ  
إِذَا الْمَنْبَرُ الْغَرْبِي خَلَّى مَكَاتَهُ      فَإِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدُ

وسأله أن يفرض له، فأبى عليه، وكان لا يفرض إلا لليمن، فخرج  
من عنده وهو يقول:

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنْ مِنْ لَا أَخَالَه .....

ولم يزل معاوية كلك حتى كثرت اليمن، وعزت قحطان، وضعفت  
عدنان، فبلغ معاوية أن رجلاً من اليمن قال: هممت أن لا أحل حبوتي  
حتى أخرج كل نزارى بالشام، فعرض من وقته لأربعة آلاف رجل من  
قيس، فقدم لذلك على معاوية عطارذ بن حاجب، فقال له: ما فعل الفتى  
الدارمي الصبيح الوجه، الفصيح اللسان - يعنى مسكيناً - فقال: صالح  
يا أمير المؤمنين .

قال: أَعْلِمَهُ أَنِّي قَدْ فَرَضْتُ لَهُ، فَلَهُ شَرَفُ هَذَا الْعِطَاءِ وَهُوَ فِي  
بِلَادِهِ، فَإِنْ شَاءَ أَنْ يَقِيمَ بِهَا أَوْ عِنْدَنَا فَلْيَفْعَلْ، فَإِنْ عَطَاءَهُ سَيَاتِيهِ، وَبَشَّرَهُ  
بَأَنِّي قَدْ فَرَضْتُ لِأَرْبَعَةِ آلَافٍ مِنْ قَوْمِهِ . فكان معاوية يغزى اليمن فى  
البحر، وتعيماً فى البر .

## ١٤- وفود معاوية ليزيد على معاوية

### ١- وفود عمرو بن سعيد على معاوية لمعاوية يزيد<sup>(١)</sup>

لما عقد معاوية البيعة ليزيد، قام الناس يخطبون، فقال لعمر بن سعيد: قم يا أبا أمية .

فقام، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإن يزيد بن معاوية أجلّ تؤمونه، وأمل تؤملونه، إن استصفتم إلى حلمه وسعكم، وإن احتجتم إلى رأيه أرشدكم، وإن احتجتم إلى ذات يده أغناكم، جذع قارح، سويق فسق، وموجد فمجد، وقورع فقرع، وهو خلف أمير المؤمنين، ولا خلف عنه .

فقال معاوية: اجلس، فقد أبلغت .

• • • • •

### ٢- وفود الأحنف مع أهل العراق على معاوية<sup>(٢)</sup>

قال صاحب زهر الآداب: ومن جميل المحاورات ما رواه المدائني قال: وفد أهل العراق على معاوية رحمه الله، ومعهم زياد وفيهم الأحنف . فقال زياد: يا أمير المؤمنين، أشخصت إليك أقواماً الرغبة وأقعد عنك آخرين العذر، فقد جعل الله تعالى في سعة فضلك ما يجبر به المتخلف، ويكافأ به الشاخص . فقال معاوية: مرحبا بكم يا معشر العرب أما والله لنن فرقت بينكم الدعوة، لقد جمعتمكم الرحم . إن الله اختاركم من الناس ليختارنا منكم، ثم حفظ عليكم نسبكم، بأن اختار لكم بلادا تجتاز عليها المنازل، حتى صفاكم من الأمم، كما يصفى القضة البيضاء من

(١) زهر الآداب - الحصري ٨٥٧/٢ .

(٢) نفسه ٥١/١ .

خبثها، فصونوا أخلاقكم، ولا تتدنسوا أنسابكم وأعراضكم، فإن الحسن منكم أحسن لقربكم منه، والقبیح أقبح لبعدهم عنه .

فقال الأحنف: والله يا أمير المؤمنين، ما نعدم منكم قاتلاً جزيلاً<sup>(١)</sup> ورأياً أصيلاً، ووعداً جميلاً، وإن أخاك زيادا لم يتبع أثارك فنيا فنسـتـمتع الله بالأمير والمأمور، فإنكم كما قال زهير، فإنه ألقى على المداحين فصول القول:

وَمَا يَكُ مِنْ خَيْرٍ أَتَوْهُ فَاتَمَّا      تَوَارَثَهُ أَبَاءُ آبَائِهِمْ قَبْلُ  
وَهَلْ يَثْبُتُ الْخَطِيءُ<sup>(٢)</sup> إِلَّا وَشِيجَهُ<sup>(٣)</sup>      وَتَغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ

\* \* \* \* \*

### ٣- وفود محمد بن عمرو بن حزم مع بعض أهل المدينة<sup>(٤)</sup>

#### على معاوية لمبايعة يزيد

ذكر ابن عبد ربه قال:

لما كانت سنة خمس وخمسين، كتب معاوية إلى سائر الأمصار أن يفدوا عليه، فوفد من كل مصر قوم، وكان فيمن وفد عليه من المدينة محمد بن عمرو بن حزم، فخلا به معاوية، وقال له: ما ترى فى بيعة يزيد؟

فقال (محمد بن عمرو): يا أمير المؤمنين، ما أصبح اليوم على الأرض أحد هو أحب إلى رشدنا من نفسك سوى نفسى، وإن يزيدا أصبح

(١) جزيلاً: عاقلاً.

(٢) الخطي نسبة إلى الخط: مرفأ السفن بالبحرين. تنسب إليه الرماح لأنها تتابع به لا أنه منبتها.

(٣) الشيج: شجر الرماح.

(٤) العقد الفريد — ابن عبد ربه ١١١/٤، ١١٢ تحقيق العربان.

غنياً في المال، وسطاً في الحسب، وإن الله سائل كل راعٍ عن رعيته  
ناتق الله، وانظر من تولى أمة محمد.

فأخذ معاوية بهر حتى تنفس الصعداء، وذلك في يوم شات.

ثم قال: (معاوية):

يا محمد، إنك امرؤ ناصح، قلت برأيك، ولم يكن عليك إلا فاك  
قال (معاوية): إنه لم يبق إلا ابني وأبناؤهم. فابني أحب إلي من أبنائهم.  
أخرج عنى.

ثم جلس معاوية في أصحابه، وأذن للوفود، فدخلوا عليه وقد تقدم  
إلى أصحابه أن يقولوا في يزيد، فكان أول من تكلم الضحاك بن قيس.

فقال:

يا أمير المؤمنين، إنه لابد للناس من وال بعدك، والأنفس يُغذى  
عليها ويُراح، وإن الله قال: "كل يوم هو في شأن" (١) ولا ندري ما يختلف  
به العصران، ويزيد ابن أمير المؤمنين في حسن معينه، وقصدي سيرته  
من أفضلنا حلماً، وأحكمنا علماً، فوَلَّه عهدك، واجعله لنا بعدك، فإننا قد  
بلونا الجماعة والألفة، فوجدناها أحقن للدماء، وأمن للسبل، وخيراً في  
العاقبة والأجلة.

ثم تكلم عمرو بن سعيد فقال:

أيها الناس. إن يزيد أمل تأملونه، وأجل تأمنونه، طویل الباع  
رحب الذراع، إذا صرتم إلى عدله وسعكم، وإن طلبتم رفده أغناكم، جذع  
قارح، سوبق فسبق، وموجد فمجد، وقورع فقرع، فهو خلف أمير  
المؤمنين، ولا خلف منه.

فقال (معاوية): اجلس أبا أمية فلقد أو سعت واحسنت.

{وقد سبق ذكر وفادة سعيد على معاوية}.

---

(١) سورة الرحمن — الآية ٢٩ .

ثم قام يزيد بن المقنم، فقال:

أمير المؤمنين هذا — وأشار إلى معاوية — فإن هلك فهذا —  
وأشار إلى يزيد — فمن أبى فهذا — وأشار إلى سيفه .  
فقال معاوية: اجلس، فإنك سيد الخطباء .

\* \* \* \* \*

ثم تكلم الأحنف بن قيس . فقال:

يا أمير المؤمنين . أنت أعلم بيزيد في ليلة ونهاره، وسره  
وعلايته ومدخله ومخرجه، فإن كنت تعلمه لله رضا، ولهذه الأمة، فلا  
تساور الناس فيه، وإن كنت تعلم منه غير ذلك، فلا تزوده الدنيا وأنست  
تذهب إلى الآخرة .

قال: فتفرق الناس، ولم يذكرُوا إلا كلام الأحنف .

\* \* \* \* \*

### قدوم وفد العراق على معاوية وسؤاله لدغل عن مسائل (١)

حدثنا أبو بكر قال أخبرنا أبو حاتم قال أخبرنا العتيبي قال: قدم وفد العراق على معاوية رضى الله عنه وفيهم دغل، فقال له معاوية: يا دغل أخبرنى عن ابنى نزار ربيعة ومضر، أيهما كان أعز جاهلية وعالمية؟ فقال: يا أمير المؤمنين . مضر بن نزار كان أعز جاهلية وعالمية . قال معاوية: وأى مضو كان أعز؟ قال: بنوا لنضر بن كنانة . كانوا أكثر العرب أمجاداً، وأرفعهم عماداً، وأعظمهم رماداً . قال: فأى بنى كنانة كان أبدهم عزاً؟ قال: بنو مللك بن كنانة، كانوا يعلون من ساماهم، ويكفون من ناواهم، ويصدقون من عاداهم . قال: فمن بعدهم؟ قال: بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة، كانوا أعز بنيه وأمنعهم، وأجودهم وأنفعهم، قال: ثم من بعدهم؟ قال: بنو بكر بن عبد مناة، كان ياسهم مرهوباً، وعدوهم منكوباً، وثأرهم مطلوباً . قال: فأخبرنى عن مالك بن عبد مناة بن كنانة، وعن مرة وعامر ابنى عبد مناة . قال: كانوا أشرفاً كراماً، وليس للقوم أكفاء ولا نظراء . قال: فأخبرنى عن هذيل . قال: كانوا قاتلى الناس أهل منعة وبأس ينتصفون من الناس قال : فأخبرنى عن بنى أسد . قال: كانوا يطمعون السديف، ويكرمون الضيوف، ويضرمون فى لزخوف . قال: فأخبرنى عن هذيل، قال: كانوا قليلاً أكياس، أهل منعة وبأس، ينتصفون من الناس . قال: فأخبرنى عن بنى ضبة، قال: كانوا جمرة من بمرات العرب الأربع، لا يصطلى بنارهم، ولا يقاتون بنارهم . قال: فأخبرنى عن مزينة، قال: كانوا فى الجاهلية أهل منعة . وفى الإسلام أهل دعة . قال: أخبرنى عن نعيم . قال: كانوا أعز العرب قديماً، وأكثرها عظيماً، أمنعها حريماً . قال: فأخبرنى عن قيس . قال: كانوا لا لرحون إذا أدبوا<sup>(٢)</sup> ولا يجزعون إذا ابتلوا ولا يبخلون إذا

(١) ذيل الأملى ٢٩/٣، ٣٠ .

(٢) أدبوا: نصرؤا على عدوهم .



سئلوا . قال : فأخبرني عن أشرفهم في الجاهلية . قال : غطفان بن سعد ، وعامر بن صعصعة ، وسليم بن منصور . فأما غطفان فكانوا كراما سادة ، وللخميس قادة ، وعن البيض ذادة ، وأما بنو عامر فكثير سادتهم ، مخشية سطوتهم ، ظاهرة نجتهم ، وأما بنو سليم فكانوا يدركون الثار ، ويمنعون الجار ، ويعظمون النار . قال : فأخبرني عن قومك بكر بن وائل واصدقني قال : كانوا أهل عز قاهر ، وشرف ظاهر ، ومجد فاخر . قال : فأخبرني عن إخوتهم تغلب . قال : كانوا أسودا ترهب ، وساما لا تقرب ، وأبطالا لا تكذب . قال : فأخبرني كم أديلوا عليكم في قتلكم كليبا؟ قال : أربعين سنة ، لا نتتصف منهم في موطن تلقاهم فيه حتى كان يوم التحاليق : يوم الحارث بن عباد بعد قتله ابنه بجير ، وكان أرسله في الصلح بين القوم فقتله مهلهل ، وقال : بؤ بشسع نعل كليب ، فقال الغلام : إن رضيت بهذا بنو بكر رضيت . فبلغ الحارث ، فقال : نعم القتل قتيلا إن أصلح الله به بين بكر وتغلب وباء بكليب . ف قيل له : إنما قال مهلهل ما قال . الكلمة . فتشمر الحارث للحرب ، وأمرنا بخلق رعوسنا أجمعين ، وهو يوم التحاليق ، وله خبر طويل . وقال :

قَرَبًا مَرَبُطُ النِّعَامَةِ مِنِّي      لَقَحَتَ حَرْبُ وَاثِلٍ عَنِ حِيَالِ  
لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عِلْمُ اللّٰهِ      وَإِنِّي بِحَرِّهَا الْيَوْمَ صَالِي  
قَرَبًا مَرَبُطُ النِّعَامَةِ مِنِّي      إِنْ بَيَعَ الْكِرَامُ بِالْشِّسْعِ غَالِي

\* \* \* \* \*

فأدلنا عليهم يومئذ ، فلم نزل منهم ممتنعين إلى يومنا هذا . قال : فمن ذهب بذكر ذلك اليوم؟ قال : الحارث بن عباد أسر مهلهلا في ذلك اليوم ، وقال له : دلني على مهلهل بن ربيعة . قال : مالي إن دلتك عليه؟ قال : أطلقك . قال : على الوفاء؟ {قال : نعم} قال له : أنا مهلهل . قال : ويحك دلني على كفاء كريم . قال :

امرو القيس، وأشار بيده إليه عن قرب، فأطلقه الحارث، وانطلق  
إلى امرئ القيس فقتله . وبكر كلها صبرت وأبليت فحسن بلاؤها، إلا ما  
كان من ابني لجيم: حنيفة وعجل، ويشكر بن بكر فإن سعد بن مالك بن  
ضبيعة جد طرفة بن العبد، هجاهم في ذلك اليوم فقال:  
إِنَّ لَجِيمًا عَجَزَتْ كُلُّهَا      أَنْ يَرْفِدُونِي قَارِسًا وَاحِدًا  
ويشكر العام على خترها      لم يسمع الناس لهم حامدًا  
وقال فيهم أيضا:

يا بؤس للحرب التي      وضعت أراط فاستراحوا  
إنا وإخواننا غدا      كثمود حجر يوم طاحوا  
بالمشرفية لا نغفر ولا نباح لهم ولن نباحوا  
من صدّ عن نيرانها      فأتا ابن قيس لا يراح

فقال معاوية: أنت والله يا دغفل، أعلم الناس قاطبة بأخبار  
العرب .

## وفادات النساء

ولم تقف الوفود على معاوية عند هذا الحد، ولا على الرجال فقط بل يبدو أن النساء قَرَّرْنَ أن تكون لهن وفود على معاوية - الذى استقبلهن بالكرام، والجود، مدعماً بذلك ملك بنى أمية، غارسا الحب فى القلوب، محاولاً إزالة ما علق بهذه القلوب من موجدة وشنآن لهذه الدولة ونظامها. فكانت وفود النساء التى تمثلت فيما يلى:

### ١- وفود سودة ابنة عمارة (١):

عن عامر الشعبي قال:

وفدت سودة بنت عمارة بن الأشتر الهمدانية، على معاوية بن أبى سفيان، فاستأذنت عليه فأذن لها، فلما دخلت سلمت عليه، فقال لها: كيف أنت يا ابنة الأشتر؟

قالت: بخير يا أمير المؤمنين.

قال لها: أنت القائلة لأخيك.

يَوْمَ الطَّعَانِ وَمُلْتَقَى الْأَقْرَانِ	شَمَّرَ كَفَّيْكَ يَا بَنَ عِمَارَةَ
وَأَقْصَدَ لِهِنْدٍ وَابْنَهَا يَهُوَانَ	وَأَنْصَرَّ عَلَيَّا وَالْحُسَيْنَ وَرَهْطَهُ
عَلَّمَ الْهَدَى وَمَنَارَةَ الْإِيمَانِ	إِنَّ الْإِمَامَ أَخَا النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
قُدُّمًا بِأَبْيَضٍ صَارِمٍ وَسِنَانٍ	فَقَدْ الْجِيُوشَ وَسِرَّ أَمَامَ لَوَائِهِ

قالت: يا أمير المؤمنين. مات الرأس، وبُتر الذنب، فدع عنك

تذكارات ماقد نسى.

قال: هيهات. ليس مثل مقام أخيك يُنسى.

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه، تحقيق/ محمد سعيد الحريان ١/ ٢٩١، ٢٩٢.

.. .. .. تحقيق/ أحمد يسرى عدد ١١ مجلد ٢ ص ٨٠ وما بعدها.

قالت: صدقت والله يا أمير المؤمنين، ما كان أخى خفى المقام  
 دليل المكان. ولكن كما قالت الخنساء  
 وَإِنْ صَخْرًا لَنَأْتِمَّ الْهَدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ  
 وبالله أسألُ يا أمير المؤمنين. إنك للناس سيّد، ولأموارهم مقلّد  
 والله سائلُك عما افترض عليك من حقّنا، ولا تزال تُقدِّم علينا من ينهض  
 بعزك، ويبسط سلطانك، فيحصدنا حصاد السنبِل، ويدوسنا دِباس البَقَر  
 ويسومنا الخسيصة، ويسألنا الجلبلة؛ هذا ابن أوطاة قديم بلادي، وقتل  
 رجالى، وأخذ مالى، ولو لا الطاعة لكان فينا عزٌّ ومنعة، فإما عزلته  
 فشكرناك، وإما لا فعرفناك.

فقال معاوية: إياى تهددين بقومك؟ والله لقد هممتُ أن أركب إليه  
 على قتب أشرس، فينفذ حكمه فيك.

فسكنت، ثم قالت:  
 صَلَّى إِلَهٌ عَلَى رُوحِ تَضَمَّنَتْهُ قَبْرٌ فَاصْبَحَ فِيهِ الْعَدْلُ مَدْفُونًا  
 قَدْ حَالَفَ الْحَقَّ لَا يَبْغِي بِهِ ثَمَنًا فَصَارَ بِالْحَقِّ وَالْإِيمَانِ مَقْرُونًا  
قال: ومن ذلك؟

قالت: على بن أبى طالب، رحمه الله تعالى.  
قال: ما أرى عليك منه أثرًا!  
قالت: بلى، أتيتُه يوماً فى رجلٍ ولآه صدقاتنا، فكان بيننا وبينه ما  
 بين الغنّ والسمن، فوجدته قائماً يصلى، فانفلت من الصلاة، ثم قال برأفة  
 وتعطف: ألك حاجة؟ فأخبرته خبر الرجل، فبكى، ثم رفع يديه إلى  
 السماء، فقال: اللهم إنى لم أمرهم بظلم خلقك، ولا ترك حقك. ثم أخرج  
 من جيبه قطعة من جراب، فكتب فيه:

"بسم الله الرحمن الرحيم، قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ، فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ، وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ، وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مَفْسِدِينَ .  
بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ، وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (١) . إذا أتاك كتابي هذا، فاحتفظ بما في يديك حتى يأتي من يقضه منك، والسلام".

فَعَزَلَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا خَزَمَهُ بِخِزَامٍ، وَلَا خَتَمَهُ بِخَتَامٍ .

فقال معاوية: اكتبوا لها بالإنصاف لها، والعدل عليها .

فقال: إلى خاصة، أم لقومي عامة؟

قال: وما أنت وغيرك؟

قالت: هي والله إذا الفحشاء واللوم، إن لم يكن عدلاً شاملاً، وإلا

يسعني ما يسع قومي .

قال: هيهات! لَمَطَكُمْ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ الْجَرَاءُ عَلَى السُّلْطَانِ، فَبَطِئُوا

مَا نَقُطُّمُونُ، وَغَرَّكُمْ قَوْلُهُ:

قَلُّوا كُنْتُ بَوَّابًا عَلَى بَابِ جَنَّةٍ لَقَلْتُ لَهُمَدَانِ ادْخُلُوا بِسَلَامٍ

وقوله:

نَادَيْتُ هَمَدَانَ وَالْأَبْوَابُ مَغْفَقَةٌ وَمِثْلُ هَمَدَانَ سَنَى فَتَحَةَ الْبَابِ

كَالْهِنْدَوَانِي لَمْ تَفْلَلْ مَضَارِبُهُ وَجَهٌ جَمِيلٌ وَقَلْبٌ غَيْرٌ وَجَابِ

اكتبوا لها بحاجتها .

\*\*\*\*\*

## ٢- وفود بكارة الهلالية على معاوية: (٢)

عن محمد بن عبد الله الخزاعي عن الشعبي قال:

استأننت بكارة الهلالية على معاوية بن أبي سفيان، فأذن لها، وهو

يومئذ بالمدينة فدخلت عليه — وكانت امرأة قد أسنت وعشيت بصورها

(١) سورة الأعراف الايتين ٨٥، ٨٦ .

(٢) العقد الفريد ت/ العريان، ت/ أحمد يسري عدد ١٢ مجلد ٢ ص ٨٢ / ٢٩٣ ،  
جواهر الادب لأحمد الهانمي ٢٢٠ / ١ .

وضعفت قوتها، ترعش بين خائمين لها، فسلمت وجلست. فرد عليها معاوية السلام.

وقال: كيف أنت يا خالة؟

قالت: بخير يا أمير المؤمنين.

قال: غيرك الدهر!

قالت: كذلك هو ذو غير، من عاش كبر، ومن مات قير.

قال عمرو بن العاص: هي والله القائلة يا أمير المؤمنين:

يَا زَيْدُ دُونَكَ فَاسْتَسِرْ مِنْ دَرَانَا سَيْفًا حَسَامًا فِي التَّرَابِ دَقِينَا  
قَدْ كُنْتُ أَذْخَرُهُ لِيَوْمِ كَرِبَهَةٍ فَالْيَوْمَ أَبْرَزَهُ الزَّمَانُ مَصُونَا

قال مروان: وهي والله القائلة يا أمير المؤمنين:

أَتَرَى ابْنَ هِنْدٍ لِلْخِلَافَةِ مَالِكًا هَبْهَاتِ ذَاكَ وَإِنْ أَرَادَ بَعِيدُ  
مَنْتَكَ نَفْسُكَ فِي الْخَلَاءِ ضَلَالَةً أَغْرَاكَ عَمَرُو لِلشَّقَا وَسَعِيدُ

قال سعيد بن العاصي: هي والله القائلة:

قَدْ كُنْتُ أَطْمَعُ أَنْ أَمُوتَ وَلَا أَرَى فَوْقَ الْمَنَابِرِ مِنْ أُمِيَّةَ خَاطِبًا  
قَالَهُ أَخَرُ مَدَنِي فَتَطَلَوْتُ حَتَّى رَأَيْتُ مِنَ الزَّمَانِ عَجَائِبًا  
فِي كُلِّ يَوْمٍ لِلزَّمَانِ خَطِيبُهُمْ بَيْنَ الْجَمِيعِ لَالِ أَحْمَدَ عَائِبًا

ثم سكنوا.

فقالت: يا معاوية. كلامك أعشى بصرى، وقصر حُجْنى، أنا والله

قائلة ما قالوا، وما خفى عليك مِنِّي أكثر.

فضحك، وقال: ليس يمنعنا ذلك من برك. انكرى حاجتك.

قالت: أما الآن، فلا.

### ٣- وفود الزرقاء على معاوية<sup>(١)</sup>:

حكى عبيد الله بن عمرو الغساني عن الشعبي قال: حدثني جماعة من بنى أمية، ممن كان يسمر مع معاوية، قالوا: بينما معاوية ذات ليلة مع عمرو وسعيد وعُتْبة والوليد، إذ ذكروا الزرقاء ابنة عدى بن غالب ابن قيس الهمدانية، وكانت شهدت مع قومها صفين، فقال: أيكم يحفظ كَلَامَهَا؟

قال بعضهم: نحن نحفظه يا أمير المؤمنين .

قال: أشيروا عليّ في أمرها .

فقال بعضهم: نشير عليك بقتلها .

قال: بنس الرأي أشرتم به عليّ . أحسنُ بمِثْلِي أن يُتحدث عنه أنه قتل امرأة بعدما ظفر بها؟

فكتب إلى عامله بالكوفة أن (يؤفدها) إليه مع يقية من ذوى محارمها، وعدة من فرسان قومها، وأن يمهّد لها وطاءً ليناً، ويسترها بستر خفيف، ويوسع لها في النفقة .

فأرسل إليها عامله، فأقرأها الكتاب .

فقالت: إن كان أمير المؤمنين جعل الخيار إليّ، فإنى لا آتيه، وإن كان حتم فالطاعة أولى، فحملها وأحسن جهازها على ما أمر به .

فلما دخلت على معاوية قال: مرحباً وأهلاً، قدِمْتَ خيرَ مقدمٍ وافتد! كيف حالك؟

قالت: بخير يا أمير المؤمنين، أدام الله لك النعمة .

قال: كيف كنت في مسيرك؟

قالت: ربّية بيت أو طفلاً ممهّداً .

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه ٢٩٤/١، وما بعدها، تحقيق /العريان ت/أحمد يمحوى ٢٤١ ص ٨٥، أمالي ابن دريد ٢٠١ - ٢٠٣ .

قال: بذلك أمرناهم . أتدريين فيم بعثت إليك؟

قالت: أنى لى يعلم ما لم أعلم؟

قال: ألسنت الراكبة الجمل الأحمر، والواقفة بين الصفيين يوم

صفيين تحضين على القتال، وتوقدين الحرب؟ فما حملك على ذلك؟

قالت: يا أمير المؤمنين . مات الرأس، وبتر الذنب، ولم يعد ما

ذهب، والذهب ذو غير، ومن تفكر أبصر، والأمر يحدث بعده الأمر .

قال لها معاوية: صدقت، أتحفظين كلامك يومئذ؟

قالت: لا والله، لا أحفظه، ولقد أنسيته .

قال: لكنى أحفظه، لله أبوك حين تقولين: أيها الناس، ارجعوا

وارجعوا، إنكم قد أصبحتم فى فتنة غشتكم جلابيب الظلم، وجارت بكم

عن قصد المحجة، فيالها فتنة عمياء، صماء بكماء، لا تسمع لناعقها، ولا

تتساق لقائدها، إن المصباح لا يضىء فى الشمس، ولا تتبر الكواكب مع

القمر، ولا يقطع الحديد إلا الحديد، ألا من استرشدنا استرشدناه، ومن

سألنا أخبرناه .

أيها الناس . إن الحق كان يطلب ضالته فأصابها، فصبرا يا معشر

المهاجرين والأنصار على الغصص، فكان قد اندمحل شعب الشتات

والتأمت كلمة العدل، ودمغ الحق باطله، فلا يجهل أحد فيقول: كيف

العدل وأنى؟ ليقض الله أمرا كان مفعولا . ألا وإن خضاب النساء الحناء

وخضاب الرجال الدماء ولهذا اليوم ما بعده:

• والصبر خير فى الأمور عواقبا •

إيهما فى الحرب قدما غير ناكسين ولا متشاكسين

ثم قال لها: والله يا زرقاء، لقد شركت عليا فى كل دم سفكه .

قالت: أحسن الله بشارتك، وأدام سلامتك، فمهلك بشر بخير، وسر

جليسه .



قال: أو يَسْرُكُ ذلك؟

قالت: نَعَمْ والله، لقد سُرِرْتُ بالخَبَرِ، فَأَنْتَى لى بتصدقِ الفعل؟  
فضحك معاوية وقال: والله لَوْ فَاوَكَمَ له بعد مَوْتِهِ، أُعْجِبُ مِنْ حُبِّكُمْ  
له فى حياته. اذكرى حاجتَكَ.

قالت: يا أمير المؤمنين. أَلَيْتُ على نفسى ألا أسألَ أَمِيرًا أَعْنَتُ  
عليه أبداً، ومثلَكَ أُعْطِىَ عن غير مسألة، وجادَ عن غير طلبية.  
قال: صدقتِ! وأَمَرَ لها وللذين جاعوا معها بجوائز وكما.

\*\*\*\*\*

٤- وفود أم سنان بنت خيثمة على معاوية (١):

عن سعيد بن حذافة قال: حَبَسَ مروان بن الحكم - وهو والى  
المدينة - غلاماً من بنى ليث فى جِنَاية جناها، فأنته جدة الغلام أم أبيه  
وهى أم سنان بنت خيثمة بن خرشة المذحجية، فكَلَّمَتْه فى الغلام، فأغْلَظَ  
لها مروان، فخرجت إلى معاوية، فدخلت عليه، فانتسبت، فعرفها.

فقال لها: مرحباً بابنة خيثمة، ما أقدمك أرضنا، وقد عهدتُك  
تستميننا، وتَحْضُنَ علينا عدونا؟

قالت: إن لِيَبْنَى عَيْدٍ مناف أخلاقاً طاهرة، وأعلاماً ظاهرة، وأحلاماً  
وافرة، لا يجهلون بعد علم، ولا يسفهون بعد حلم، ولا ينتقمون بعد عفو  
وإن أولى الناس باتِّباع ماسن أبأوه لأنت.

قال: صدقتِ! نحن كذلك، فكيف قولك:

عَزَبَ الرِّقَادُ فَمَقَلَّتِى لَا تَرَقْدُ      وَاللَّيْلُ يُصْدِرُ بِالْهَمُومِ وَيُسَوِّرُ  
يَا آلَ مَذْحِجٍ لَا مَقَامَ فَشَمَّرُوا      إِنَّ الْعَدُوَّ لَأَلَّ أَحْمَدَ يَقْصِيْدُ  
هَذَا عَلَى كَالِهَلَالٍ تَحْفَهُ      وَسَطَ السَّمَاءِ مِنَ الْكَوَاكِبِ أَسْعَدُ

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه ٢٩٦/١ . تحقيق/ العريان

تحقيق/ أحمد يسرى عدد ١٢ مجلد ٢ ص ٨٦

خَيْرُ الْخَلْقِ وَابْنُ عَمِّ مُحَمَّدٍ إِنْ يَهْدِكُمْ بِالنُّورِ مِنْهُ تَهْتَدُوا  
مَا زَالَ مَذْ شَهَدَ الْحُرُوبَ مَظْفَرًا وَالنَّصْرُ فَوْقَ لَوَائِهِ مَا يَفْقَدُ  
قَالَتْ: كَانَ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ لَنَا خَلْفًا بَعْدَهُ .

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: كَيْفَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَهِيَ الْقَائِلَةُ:  
إِمَّا هَلَكْتَ أبا الْحُسَيْنِ فَلَمْ تَزَلْ بِالْحَقِّ تُعَرِّفُ هَادِيًا مُهْدِيًا  
فَإَذْهَبُ عَلَيْكَ صَلَاةَ رَبِّكَ مَا دَعَتْ فَوْقَ الْغُصُونِ حَمَامَةً قُمْرِيًّا  
قَدْ كُنْتَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ خَلْفًا كَمَا أَوْصَى إِلَيْكَ يَنَّا فَكُنْتَ وَفِيًّا  
فَالْيَوْمَ لَا خَلْفَ يُؤْمَلُ بَعْدَهُ هِيَهَاتَ نَأْمَلُ بَعْدَهُ إِنْ سَيَّا

قَالَتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لِسَانُ نَطْقٍ، وَقَوْلُ صَدَقَ؛ وَلَيْسَ نَحْقَقُ  
فِيكَ مَا ظَنَّنَا، فَحُظُّكَ الْأَوْفَرُ، وَاللَّهُ مَا وَرَثَكَ الشَّنَانُ فِي قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا  
هَوْلَاءُ، فَادْحَضُ مَقَالَتَهُمْ، وَأَبْعِدْ مَنْزِلَتَهُمْ، فَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ، تَزِدُّ مِنْ اللَّهِ  
قُرْبًا، وَمِنَ الْمُؤْمِنِينَ حُبًّا .

قَالَ: وَإِنَّكَ لَتَقُولِينَ ذَلِكَ؟

قَالَتْ: سُبْحَانَ اللَّهِ! وَاللَّهُ مَا مَثَلُكَ مُدْرِحَ بِيَاظِلِّ، وَلَا اعْتُذِرَ إِلَيْهِ  
بِكُذْبٍ، وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْ رَأْيِنَا، وَضَمِيرِ قُلُوبِنَا . كَانَ وَاللَّهُ عَلَى أَحَبِّ  
إِلَيْنَا مِنْكَ، وَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ غَيْرِكَ .

قَالَ: مِمَّنْ؟

قَالَتْ: مِنْ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ وَسَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ .

قَالَ: وَبِمَا اسْتَحَقَّقْتَ ذَلِكَ عِنْدَكَ؟

قَالَتْ: بِسَعَةِ جِلْمِكَ، وَكَرِيمِ عَفْوِكَ .

قَالَ: فَإِنَّهُمَا يَطْمَعَانِ فِي ذَلِكَ .

قَالَتْ: هُمَا وَاللَّهُ مِنَ الرَّأْيِ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ



أيها الناس، عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلَّ إذا اهتديتم. إن الجنة لا يرحلُ عنها من أوطئها، ولا يهرمُ من سكنها، ولا يموتُ من دخلها، فابتاعوها بدارٍ لا يدومُ نعيمها، ولا تنصرومُ همومها، وكونوا قوماً مستبصِّرين في دينهم، مستظهِّرين بالصبر على طلب حقهم؛ إن معاوية دلف إليكم بعجم العرب، غلب القلوب، لا يفقهون الإيمان، ولا يدرون ما الحكمة؛ دعاهم بالدنيا فأجابوه، واستدعاهم إلى الباطل فلبَّوه، فاشه الله عباد الله في دين الله؛ إياكم والنواكل؛ فإن ذلك ينقضُ عرى الإسلام، ويطفى نور الحق، هذه بدر الصغرى، والعقبة الأخرى. يا معشر المهاجرين والأنصار: امضوا على بصيرتكم، واصبروا على عزيمتكم، فكأنى بكم غداً، ولقد لقيتم أهل الشام كالحُمُرِ الناهقة، تصقع<sup>(١)</sup> صقع البقر، وتروث روث العتاق؛ فكأنى أراك على عصاكِ هذه، وقد انكفأ عليك العسكران يقولون: هذه عكرشة بنت الأطرش بن رواحة، فإن كدت لتقتلين أهل الشام لولا قدر الله، وكان أمر الله قدرًا مقدرًا، فما حملك على ذلك؟ قالت: يا أمير المؤمنين. قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْوِكُمْ<sup>(٢)</sup> وإن اللبيب إذا كره أمراً لا يحب إعادته.

قال: صدقت، فانكري حاجتك.

قالت: إنه كانت صدقاتنا تؤخذ من أغنيائنا فتُردُّ على فقرائنا، وإننا قد فقدنا ذلك، فما يُجبرُ لنا كسير، ولا يُنْعَشُ لنا فقير؛ فإن كان ذلك عن رأيك، فمهلك تنبّه من الغفلة، وراجع التوبة، وإن كان عن غير رأيك فما مثلك استعان بالخونة، ولا استعمل الظلمة.

(١) تصقع: نصيح

(٢) الآية ١٠١ سورة المائدة .

قال معاوية: يا هذه، إنه ينوبنا من أمور رعييتنا أمور تتنشق وبحور تنفحق .

قالت: يا سبحان الله! والله ما فرض الله لنا حقاً فجعل فيه ضرراً على غيرنا، وهو علام الغيوب .

قال معاوية: يا أهل العراق . نهكم على بن أبي طالب، فلم تطاقوا . ثم أمر برد صدقاتهم فيهم وإنصافهم .

#### ٦- قصة دارمية الحجونية مع معاوية

عن سهل بن أبي سهل التميمي عن أبيه قال: حج معاوية، فسأله عن امرأة من بنى كنانة كانت تنزل بالحجون، يقال لها دارمية الحجونية، وكانت سوداء، كثيرة اللحم، فأخبر بسلامتها، فبعث إليها فجئ بها . فقال: ما حالك يا بنة حام؟ فقالت: لست لحام إن عبتني: أنا امرأة من بنى كنانة . قال: صدقت . أتدريين لم بعثت إليك؟ قالت: لا يعلم الغيب إلا الله . قال: بعثت إليك لأسألك: علام أحببت عليا وأبغضتني، وواليتّه وعاديتني؟ قلت: أو تعفيني؟ قال: لا أعفيك . قالت: أما إذا أببت، فإنني أحببت عليا على عدله في الرعية، وقسمه بالسوية: وأبغضتك على قتال من هو أولى منك بالأمر، وطلبتك ما ليس لك بحق . وواليت عليا على ما عقد له رسول الله صلى الله عليه وسلم من الولاء، وحبه المساكين، وإعظامه لأهل الدين، وعاديتك على سفكك الدماء، وجورك في القضاء، وحكمك بالهوى .

قال: فلذلك انتفخ بطنك، وعظم ثدياك، وربت عجيزتك .

قالت: يا هذا . بهند والله كان يضرب المثل في ذلك لابي . قل



ورد عليه كتابه ركب إليها فأقرأها كتابه، فقالت: أما أنا فغير زائغة عن طاعة، ولا معتة بكتب، ولقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين لأمر تختلج في صدرى فلما شيعها وأراد مفارقتها قال لها: يا أم الخير . إن أمير المؤمنين كتب إلى أنه مجازينى بالخير خيرا، وبالشر شرا . فما لى عندك؟ قالت: يا هذا لا يطمعك برك بى أن أسرك بباطل، ولا تؤيسك معرفتى بك أن أقول فيك غير الحق .

فسارت خير مسير حتى قدمت على معاوية، فأنزلها مع الحرم، ثم أدخلها فى اليوم الرابع، وعنده جلساؤه، فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . فقال لها: وعليك السلام يا أم الخير بحق ما دعوتنى بهذا الاسم . قالت: يا أمير المؤمنين مه . فإن بديهة السلطان مدحضة لما يحب علمه، ولكل أجل كتاب . قال: صدقت . فكيف حالك يا خالة؟ وكيف كنت فى مسيرك؟ قالت: لم أزل يا أمير المؤمنين فى خير وعافية حتى صرت إليك . فأنا فى مجلس أنيق، عند ملك رفيق . قال معاوية: بحسن نيتى ظفرت بكم . قالت: يا أمير المؤمنين . يعيذك الله نحض المقال وما تردى عاقبته .

قال: ليس هذا أردنا . أخبرينا كيف كان كلامك إذ قتل عمار بن ياسر . قالت: لم أكن زورته قبل، ولا رويته بعد، وإنما كانت كلمات نفثها لسانى عند الصدمة، فإن أحببت أن أحدث لك مقالا غير ذلك فعلت . فالتفت معاوية إلى جلسائه فقال: أيكم يحفظ كلامها؟ فقال رجل منهم أنا أحفظ بعض كلامها يا أمير المؤمنين . قال: هات . قال: كأنى بها وعليها برد زبيدى كثيف بين النسج، وهى على جمل أرمك وقد أحيط حولها، وببدها سوط منتشر الضفيرة، وهى كالفلح يهدر فى شقشقه، نقول:

"يا أيها الناس اتقوا ربكم، إن زلزلة الساعة شئ عظيم! إن الله قد أوضح لكم الحق، وأبان الدليل، وبين السبيل، ورفع العلم، ولم يدعلم فى

عمياء، مدلهمة: فأين تريدون رحمكم الله؟ أفراراً عن أمير المؤمنين، أم فراراً من الزحف؟ أم رغبة عن الإسلام؟ أم ارتداداً عن الحق؟ أما سمعتم الله جل ثناؤه يقول:

"وَنبَلُونَكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُو أَخْبَارَكُمْ" (١)  
ثم رفعت رأسها إلى السماء، وهى تقول: اللهم قد عيل الصبر، وضعف اليقين، وانتشرت الرغبة، وببئك أزمة القلوب، فاجمع اللهم بها الكلمة على التقوى، وألف القلوب على الهدى، واردد الحق إلى أهله، هلم - رحمكم الله - إلى الإمام العادل، والرضى التقى، والصديق الأكبر، إنها إحن بدرية وأحقاد جاهلية، وضغائن أودية، وثب بها واثب حين الغفلة، ليدرك ثارات بنى عبد شمس. ثم قالت: "قاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون" (٢) صبراً يا معشر المهاجرين والأنصار، قاتلوا على بصيرة من ربكم، وثبات من دينكم، فكأنى بكم غداً، ولقد لقيتم أهل الشام كحمر مستفجرة، فرت من قسورة، لا تدري أين يسلك بها من فجاج الأرض باعوا الآخرة بالدنيا، واشتروا الضلالة بالهدى، وباعوا البصيرة بالعمى وعماً قليل ليصبحن نادمين، حتى تحل بهم الندامة، فيطلبون الإقالة ولات حين مناص، إنه من ضل - والله - عن الحق، وقع فى الباطل. ألا إن أولياء الله استصغروا عمر الدنيا فرفضوها، واستطابوا الآخرة فسعوا لها. قاله الله أيها الناس، قيل أن تبطل الحقوق، وتعطل الحدود، ويظهر الظالمون، وتقوى كلمة الشيطان، فإلى أين تريدون - رحمكم الله - عن ابن عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصهره وأبى سبطيه، خلق من طينته، وتفرع من نبعته، وخصه بسرّه، وجعله باب مدينته، وأعلم بحبه المسلمين، وأبان بيقضه المنافقين ها هو ذا مفلق الهام، ومكسر

(١) سورة محمد الآية ٣١ .

(٢) سورة التوبة الآية ٢١ .



الأصنام، صلى والناس مشركون، وأطاع والناس كارهون، فلم يزل فى ذلك حتى قتل مبارزى بدر، وأفى أهل أحد، وهزم الأحزاب، وقتل الله به أهل خيبر، وفرق به جمع هوازن، فبالها من وقائع زرعت فى قلوب نفاقا، وردة وشقاقا، وزادت المؤمنين إيمانا، وقد اجتهدت فى القول، وبالغت فى النصيحة، وبالله التوفيق، والسلام عليكم ورحمة الله

فقال معاوية: يا أم الخير . ما أردت بهذا الكلام إلا قتلى، ولو قتلتك ما خرجت فى ذلك .

قالت: والله ما يسوعنى أن يجرى قتلى على يدى من يسعدنى الله بشقائه  
قال: هيهات يا كثيرة الفضول، ما تقولين فى عثمان بن عفان رحمه الله .  
قالت: وما عسيت أن أقول فى عثمان، استخلفه الناس وهم به راضون، وقتلوه وهم له كارهون .

قال معاوية: يا أم الخير، هذا أصلك الذى تبنيين (فى بعض الأصول : "تناوك الذى تبتين") .

قالت: لكن الله يشهد، وكفى بالله شهيدا، ما أردت بعثمان نقصا،  
ولكن كان سابقا إلى الخير، وإنه لرفيع الدرجة غدا .  
قال: فما تقولين فى طلحة بن عبيد الله؟

قالت: وما عسى أن أقول فى طلحة؟ اغتيل فى مأمنه، وأتى من حيث لم يحذر، وقد وعده رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الجنة .  
قال: فما تقولين فى الزبير؟ قالت: وما أقول فى ابن عمه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وجواريه . وقد شهد له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالجنة، وقد كان سابقا إلى كل مكرمة فى الإسلام، وأنا أسألك بحق الله يا معاوية، فإن قريشا تحدثت أنك أحلمها: أن تسعنى

## ٨. وفد أروى بنت عبد المطلب

### على معاوية رحمه الله

حكى العباس بن بكار قَالَ: حدثني عبد الله بن سليمان المدني وأبو بكر الهذلي، أن أروى بنت الحارث بن عبد المطلب دخلت على معاوية، وهي عجوز كبيرة، (وكانت أغلظ الوافدات خطايا) فلما رآها معاوية قَالَ: مرحبا بك وأهلا يا عمة، فكيف كنت بعدنا؟

فقالت: يا بن أخي، لقد كفرت يد النعمة، وأسأت لابن عمك الصبية، وتسميت بغير اسمك، وأخذت غير حقك، من غير دين كان منك ولا من أبائك ولا سابقة في الإسلام، بعد أن كفرتم برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأتعس الله منكم الجود، وأضرع منكم الخدود، ورد الحق إلى أهله ولو كره المشركون، وكانت كلمتنا هي العليا، ونبيننا - صلى الله عليه وسلم - هو المنصور، (على من نأواه، ولو كره المشركون) فَوَلَّيْتُمْ علينا من بعده، تحتجون بقرابتكم من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونحن أقرب إليه منكم وأولى بهذا الأمر، فكننا فيكم بمنزلة بنى إسرائيل في آل فرعون، (يذبجون أبناءهم ويستحون نساءهم) •

(١) العقد الفريد ٣٠٣/١، ٣٠٤

وأعلام النساء في عالمي العرب والإسلام - عمر رضا كحالة ٢٨/١ وما بعدها.  
مؤسسة الرسالة - بيروت ط ١٩٨٢/٤ م •

وكان على بن أبى طالب - رحمه الله - بعد نبينا، بمنزلة هارون من موسى (حيث يقول يابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونى) فغايبتنا الجنة وغايتم النار .

فقال لها عمرو بن العاص: كفى أيتها العجوز الضالة، وأقصرى عن قولك مع ذهاب عقلك، إذ لا تجوز شهادتك وحدك (وغضى طرفك) .  
قالت: ومن أنت لا أم لك؟  
قال: عمرو بن العاص .

فقالت له: وأنت يا بن النابغة تكلم! وأمك كانت أشهر امرأة تغنى بمكة، وأخذهن لأجرة . أربع على طلوعك، وأعن بشأن نفسك، فوالله ما أنت من قريش فى اللباب من حسيها، ولا كريم منصبيها، ولقد ادعاك خمسة نفر من قريش (كلهم يزعم أنه أبوك) فسئلت أمك عنهم فقالت: كلهم أتانى، فانظروا أشبههم به فالحقوه به، فغلب عليك شبه العاص بن وائل فلحقت به .

فقال مروان: أيتها العجوز الضالة، ساخ بصرك مع ذهاب عقلك، فلا تجوز شهادتك، فاقصدى لما جئت له .

فقالت: وأنت أيضا يابن الزرقاء تتكلم! فوالله لأنت إلى أبى سفيان ابن الحارث بن كلفة أشبه منك بالحكم، وإنك لشبهه فى زرقه عينيك وحمرة شعرك، مع قصر قامته، وظاهر دمامته، ولقد رأيت الحكم ماد القامة، ظاهر اللامة، سبط الشعر، وما بينكما من قرابة، إلا كقرابة الفرس من الأتان المقرب، فاسأل أمك عما ذكرت لك، فإنها تخبرك بشأن أبيك إن صدقت .

ثم التفتت إلى معاوية فقالت: والله ما جراً على هؤلاء غيرك، وإن أمك القائلة فى قتل حمزة رحمة الله عليه:

نحن جزيانكم بيّوم بئتر  
ما كان لى عن عتبه من صبر  
شفيت وحشى غليل صدرى  
أبى وعمى وأخى وصهرى  
فشكر وحشى على عمرى  
شفيت نفسى وقضيت ندرى  
يا بنت رفاع عظيم الكفر  
حتى ترم أعظمى فى قبرى  
صبحك الله قبيل الفجر  
خزيت فى بدر وغير بدر  
بكل قطاع حسام يغرى  
بالهاشميين الطوال الزهر  
إذا رام شبيب وأبوك غرى  
حمزة لئى وعلى صقرى  
هتك وحشى حجاب الستر  
أعطيت وحشى ضمير الصدر  
مأ لبغايا بعدها من فخر

فقال معاوية لمروان وعمرو: ويلكما! أنتما عرضتماني لها  
وأسمعتماني ما أكره.  
ثم قال لها: يا عمة. اقصدى حاجتك، ودعى عنك أساطير  
النساء.

قالت: تأمر لى بألفى دينار، وألفى دينار، وألفى دينار.  
قال: ما تصنعين يا عمة بألفى دينار؟  
قالت: اشتري بها عينا خرخارة، فى أرض خواره، تكون لولد  
الحارث بن عبد المطلب.  
قال: نعم الموضع وضعتها. فما تصنعين بألفى دينار؟ (أى  
الثانية).

قالت: أزوج بها فتيان عبد المطلب من أكفائهم.  
قال: نعم الموضع وضعتها. فما تصنعين بألفى دينار؟ (أى  
الثالثة).

قالت: أستعين بها على عسر المدينة، وزيادة بيت الله الحرام.

قال: نِعَمَ الموضعَ وضعتها، هي لك نعم وكرامة.

ثم قال: أو والله لو كان على ما أمر لك بها.

قالت: صدقت. إن عليا أدى الأمانة، وعمل بامر الله، وأخذ به وأنت ضيعت أمانتك، وخنت الله في ماله، فأعطيت مال الله من لا يستحقه، وقد فرض الله في كتابه الحقوق لأهلها، وبينها، فلم تأخذ بها ودعانا على إلى أخذ حقنا الذي فرض الله لنا، فشغل بحربك عن وضع الأمور مواضعها، وما سألتك مالك شيئا فتمن به، إنما سألتك من حقنا ولا نرى أخذ شيء غير حقنا، أنكر عليا فض الله فاك، وأجهد بلائك. ثم علا بكأوها، وقالت:

أَلَا يَا عِيْنَ وَيَحْكَ أَسْعِدِينَا	أَلَا وَابِكَي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
رُزِينَا خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطْلِيأَ	وَفَرَسَهَا وَمَنْ رَكِبَ السَّفِينَا
وَمَنْ لَيْسَ النِّعَالُ أَوْ احْتَذَاهَا	وَمَنْ قَرَأَ الْمُتَابِي وَالْمِثِينَا
إِذَا اسْتَقْبَلَتْ وَجَهَ أَبِي حُسَيْنٍ	رَأَيْتَ الْبَدْرَ رَاعِ الْفَاظِرِينَا
وَلَا وَاللَّهِ لَا أَنْسَى عَلَيْكَ	وَحُسْنَ صَلَاحِهِ فِي الرَّكَعِينَا
أَفَى الشَّهْرِ الْحَرَامِ فَجَمَعْتُمُونَا	بَخَيْرِ النَّاسِ طُرًّا أَجْمَعِينَا

فأمر معاوية لها بستة آلاف دينار، وقال لها: يا عمة. أنفقى هذه فيما تحبين، فإذا احتجت فاكتبى إلى ابن أخيك يحسن صفدك ومعونتك إن شاء الله.

وفي رواية:

فقال معاوية: عفا الله عما سلف يا خالة. هاتى خاجيك.

قالت: ما لى إليك حاجة، وخرجت عنه.

فقال معاوية لأصحابه: والله لو كلمها من فى مجلسى جميعا

لأجابت كل واحد بغير ما تجيب الآخر، وإن نساء بنى هاشم لأقصح من رجال غيرهم، وبعث لها قبل رحيلها فأكرمها، وعادت إلى المدينة.

## ٩- وفادة ليلي الأخبيلية على معاوية<sup>(١)</sup>:

قال بعض الرواة: بينا معاوية، إذ رأى ركبا، فقال لبعض شرطه: تنى به، وإياك أن تروعه، فأناه، فقال: أجب أمير المؤمنين .  
فقال: إياه أردت . فلما دنا الركب حذر لثامه، فإذا ليلي الأخبيلية .  
فأنشأت تقول:

مَعَاوِي لَمْ أَكْذِ أَتَيْكَ تَهْوِي      بَرَحْلِي نَحْوَ سَاحَتِكَ الرُّكْبِ  
تَجُوبُ الْأَرْضَ نَحْوَكَ مَا تَأْتِي      إِذَا مَا الْأَكْمَ قَنَعَهَا السَّرَابِ  
وَكُنْتَ الْمَرْبِجِي بِكَ اسْتَغَاثَ      لَتَنْعِشَهَا إِذَا بَخَلَ السَّحَابِ

قال: فقال (معاوية): ما حاجتك؟

قالت: ليس مني بطلب إلى منك حاجة، فتخير أنت . فأعطاها  
سين من الإبل، ثم قال: أخبريني عن مضر .

قالت: فاخر بمضر، وحارب بقيس، وكاثر بتميم، وناظر بأسد .

فقال: ويحك يا ليلي! أكما يقول الناس كان ثوبة؟

قالت: يا أمير المؤمنين، ليس كل الناس يقول حقا . الناس شجرة  
يحبسون النعم حيث كانت، وعلى من كانت . كان يا أمير المؤمنين  
ط البنان، حديد اللسان، شجى الأفران، كريم المخبر، غفيف المنزر،  
يل المنظر . وكان كما قلت ولم أتعء الحق فيه .

بَعِيدُ الثَّرَى لَا يَبْلُغُ الْقَرْمُ قَعْرَهُ      أَلَدٌ<sup>(٢)</sup> مَلَدٌ<sup>(٣)</sup> يَغْلِبُ الْحَقَّ يَاطْلُهُ

فقال معاوية: ويحك يا ليلي! يزعم الناس أنه كان عاهرا خارباً .

فقالت: (من ساعتها)

مَعَاذَ إِلَهِي قَدْ كَانَ وَاللَّهِ ثُوبَةٌ      جَوَادًا عَلَى الْعَلَاتِ حَمًّا<sup>(٤)</sup> تَوَافِيهِ

زهر الآداب (الحصري) ٩٣٢/٢ .

الألد: الخصم الشحيح الذي لا يزع إلى الحق .

ملد: الشباب والنعمة . والملد أيضا: الغول .

الحم والحممة: كل عين فيها ماء حار ينبع، يستشفى بها الأعداء .

### وقد أهل خراسان إلى طلحة الطلحات<sup>(١)</sup>

وقال أبو بكر بن دريد: أخبرنا البكر بن سعيد عن محمد بن عباد قال: ذكروا أن وفدا من أهل المدينة خرجوا إلى خراسان، إلى طلحة الطلحات، فلما صاروا في بعض البوادي رفعت لهم خيمة خفية، فمضوا وقد أجنهم الليل، فإذا هم بعجوز ليس عندها من يحل لها، ولا يرحد عنها، وإلى جنب كسر خيمتها عنيزة، فقالوا لها: هل من منزل فننزل؟ فقالت: إى ها والله، على الرحب والسعة والماء السابغ فنزلوا. فإذا ليس بقربها ولد ولا أخ ولا بعل. فقالت: ليقم أحدكم إلى هذه العنيزة فليذبحها. فقالوا: إذن تهلكى، والله أيتها العجوز، إن عندنا من الطعام لبلاغا، ولا حاجة لنا إلى عنيزتك، فقالت: أنتم أضياف، وأنا المنزول بها، ولولا أنى امرأة لذبحتها، فقام أحدهم متعجبا منها فذبح العنز، فاتخذت لهم طعاما، وقربته إليهم، فلما أصبحوا غدتهم ببقيتها، ثم قالت: أين تريدون؟ قالوا: طلحة الطلحات بخراسان. فقالت: إذن والله تأتون سيدا ماجدا صهيميا<sup>(٢)</sup>، غير وخش<sup>(٣)</sup> ولا كزوم<sup>(٤)</sup> هل أنتم مبلغوه كتابا إن دفعته إليكم؟ فضحكوا.

فقالوا: نفعل وكرامة. فدفعت إليهم كتابا على قطعة جراب عندها.

فلما قدموا على طلحة، جعل يسألهم عما خلفوا، وما رأوا فى طريقهم فذكروا العجوز، وقالوا: نخير الأمير عن عجب رأينا. وأخبروه بقصة العجوز وصنيعها وقولتها فيه، ثم قالوا: ولها عندنا كتاب إليك، ونفعوه إليه.

(١) أمالى ابن دريد ٧٢، ٧٣، ٧٤ تحقيق/ السيد مصطفى السنوسى .

(٢) الصهيم: السيد الشريف .

(٣) الخخش: الرذل .

(٤) الكزوم: البخيل .

فلما قرأ الكتاب ضحك، وقال: لحاها الله من عجوز، ما أحمقها! كتب إلى من أقصى الحجاز تسألني من جبن خراسان. ولم يدع للوفد حاجة إلا قضاها. فلما أرادوا الخروج، قال: هل أنتم مبلغوها الجبن الذي ألت؟ قالوا: نعم. وقد كان أمر بجنبتين عظيمتين، فأمر بنقبيهما بلاهما دنائير وسوى عليهما، ثم قال: بلغوها الجنبيين.

فلما قدموا عليها نزلوا، قالوا لها: ويحت. كتبت إلى مثل طلحة لملحات تستطعمينه جبن خراسان؟ قالت: نعم، وقد بعثت إلي بشئ؟ قالوا: م، وأخرجوا الجنبيين، فكسرتهما، فتناثرت الدنائير منهما، ثم قالت: تلى يسأل طلحة جينا؟ ثم قالت: اقرأ عليكم كتبي إليه؟ قالوا: نعم، فإذا كتابها.

يَأْيُهَا الْمَالِحُ دَنَوَى دُونَكَا  
إِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ يَحْمَدُونَكَ  
يُنُونُ خَيْرًا وَيَمَجِّدُونَكَ

ثم قالت: أفأقرأ عليكم جوابه؟ قالوا: نعم، فإذا جوابه:

إِنَّا مَلَأْنَاهَا تَفِيضُ فَيْضًا  
فَلَنْ تَخَالِفِي مَا حَبِيتْ غَيْضًا  
خَذِي لِكَ الْجَبْنِ، وَعُودِي أَيْضًا



وفود ليلى الأخيلية على الحجاج بن يوسف<sup>(١)</sup>:

وحدث محمد بن القاسم الأنبارى عن المدائنى عن مولى لعنيسة ابن سعيد بن العاص قال: كنت أدخل مع عنيسة إذا دخل على الحجاج. فدخل يوما ودخلت معه، وليس عند الحجاج أحد غير عنيسة فقمعت فجىء الحجاج بطبق رطب، فأخذ الخادم منه شيئا فجاعنى به، ثم جىء بطبق آخر فأتانى الخادم منه بشيء، ثم جىء بطبق آخر، حتى كثرت الأطباق، وجعل لا يأتون بشئ إلا جاعنى منه بشيء، حتى ظننت أن ما بين يدى أكثر مما عندهم<sup>(٢)</sup>.

ثم جاء الحاجب فقال: امرأة بالباب. فقال الحجاج: أدخلها، فدخلت فلما رآها الحجاج طأطأ رأسه حتى ظننت أن ذقنه قد أصاب الأرض فجاعت حتى قعدت بين يديه، فنظرت فإذا امرأة حسنة الخلق، ومعها جاريتان لها، فإذا هى ليلى الأخيلية. فسألها الحجاج عن نسبها، فانتسبت له، فقال لها: يا ليلى ما الذى أتى بك؟ قالت: إخلاف النجوم، وقلة الغيوم وكَلَبَ البرد، وشدة الجهد. وكنْتُ لنا بعد الله الرقد. فقال لها: صفى لنا الفجاج. فقالت: الفجاج مغبرة، والأرض مقشعة، والميرك معتل، وذو العيال مختل والهالك للقل، والناس مسنتون، رحمة الله يرجون، قد أصابتنا سنون مجحفة مبلطة، لم تدع لنا هبعا ولا ربعا، ولا عافطة ولا نافطة، أذهبت الأموال، ومزقت الرجال، وأهلك العيال، ثم قالت: إنسى قلت فى الأمير قولا. قال: هاتى، فأنشأت تقول:

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ج ٢ - ٤٧ - ٥٠ .

(٢) العقد الفريد - ابن عبد ربه ٢٩٣/١ تحقيق/ العريان .  
و رهر الأدب - الحصرى ٩٣٢/٢

أَحْجَاجُ لَا يَفْلُلُ سِلَاحُكَ إِنَّمَا إِلَهُ  
مُنَايَا بِكَفَّ اللَّهُ حَيْثُ يَرَاهَا  
أَحْجَاجُ لَا تُعْطَى الْعِدَادَةُ مِنْهُمْ  
وَلَا اللَّهُ يُعْطَى لِلْعِدَادَةِ مِنْهَا  
إِذَا نَزَلَ الْحَجَّاجُ أَرْضًا مَرِيضَةً  
تَتَّبِعَ أَقْصَى دَائِهَا فَشَفَاهَا  
شَفَاهَا مِنَ الدَّاءِ الْعُضَالِ الَّذِي بِهَا  
غَلَامٌ إِذَا هَزَّ الْقَنَاقَةَ سَقَاهَا  
سَقَاهَا فَرَوَاهَا بِشَرْبِ سَجَالِهِ  
نَمَاءُ رَجَالٍ حَيْثُ مَالٌ حَشَاهَا  
إِذَا سَمِعَ الْحَجَّاجُ ذِكْرَ كَتِيبَةٍ  
أَعَدَّ لَهَا قَبْلَ النُّزُولِ قِرَاهَا  
أَعَدَّ لَهَا مَسْمُومَةً فَارْسِيَّةً  
بِأَيْدِي رَجَالٍ يَحْتَبُونَ صَرَاهَا  
فَمَا وَلَدَ الْأُبْكَارِ وَالْعَوْنُ مِثْلَهُ  
بِبحرٍ وَلَا أَرْضٍ يَجْفُ ثَرَاهَا

قَالَ: فَلَمَّا قَالَتْ هَذَا الْبَيْتَ قَالَ الْحَجَّاجُ: قَاتِلْهَا اللَّهُ مَا أَصَابَ صَفْتِي  
أَعْرَ مِنْهُ دَخَلْتُ الْعِرَاقَ غَيْرَهَا، ثُمَّ التَقْتُ إِلَى عَنبَسَةَ بْنِ سَعِيدٍ، فَقَالَ:  
اللَّهُ إِنِّي لَأُعَدُّ لِأَمْرِ عَسَى أَنْ لَا يَكُونَ أَبَدًا، ثُمَّ التَقْتُ إِلَيْهَا فَقَالَ: حَسْبُكَ.  
لَت: إِنِّي قَدْ قُلْتُ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا، قَالَ: حَسْبُكَ وَيَحْكُ حَسْبُكَ — ثُمَّ قَالَ: يَا  
لَا، أَذْهَبُ إِلَى فَلَانٍ، فَقُلْ لَهُ: اقْطَعْ لِسَانَهَا، فَذَهَبَ بِهَا، فَقَالَ لَهُ: يَقُولُ  
نَ الْأَمِيرِ اقْطَعْ لِسَانَهَا • قَالَ: فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ الْحَجَّامِ، فَالتَقْتُ إِلَيْهِ  
بِالْت: تَكَلُّكَ أَمْكُ، أَمَا سَمِعْتَ مَا قَالَ، إِنَّمَا أَمْرُكَ أَنْ تَقْطَعَ لِسَانِي  
لِصَلَةٍ، فَبِعْتُ إِلَيْهِ يَسْتَتِبُهُ، فَاسْتَشَاطَ الْحَجَّاجُ غَضَبًا، وَهَمْ يَقْطَعُ لِسَانَهُ  
قَالَ لَهُ: ارْجِعْهَا • فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ قَالَتْ: كَادَ (وَأَمَانَةُ اللَّهِ) يَقْطَعُ مَقُولِي  
أَنْشَأْتُ نَقُولُ:

جَاجُ أَنْتَ الَّذِي مَا فَوْقَهُ أَحَدٌ  
إِلَّا الْخَلِيفَةُ وَالْمُسْتَغْفَرُ الصِّدْقُ  
جَاجُ أَنْتَ شَهَابُ الْحَرْبِ إِنْ لَقِيتَ  
وَأَنْتَ لِلنَّاسِ نُورٌ فِي الدُّجَى يَقْدُ

ثم أقبل الحجاج على جلسائه فقال: أتدرون من هذه؟ قالوا: لا والله أيها الأمير . إنا لم نر قط أفصح لسانا، ولا أحسن محاوراة، ولا أملح وجها، ولا أرصن شعرا منها، فقال: هذه ليلي الأخيلية، التي ماتت توبة الخفاجي من حبها . ثم التفت إليها، فقال أنشدنا يا ليلي بعض ما قال فيك توبة، قالت نعم أيها الأمير، هو الذي يقول:

وهل تبكين ليلي إذا مت قبلها	وقام على قبري النساء التوائح
كما لو أصاب الموت ليلي بكيثها	وجادلها دمع من العين سافح
وأغبط من ليلي بما لا أناله	بلى كل ما فرت به العين طائح
ولو أن ليلي الأخيلية سلمت	على ودوني جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أوزقا	إليها صدى من جانب القبر صائح

ثم قال لها: سلى يا ليلي تُعطى . قالت: أعط، فمئتك أعطى فأحسن . قال: لك عشرون . قالت: زد، فمئتك زاد فأجمل . قال: لك أربعون . قالت: زد، فمئتك زاد فأكمل، قال: لك ثمانون . قالت: زد، فمئتك زاد فتمم . قال: لك مائة . واعلمى أنها غنم . قالت: معاذ الله أيها الأمير . أنت أجود جودا، وأمجد مجدا، وأورى زندا ومن أن تجعلها غنما . قال: فما هي ويحك يا ليلي؟ قالت: مائة من الإبل برعاتها، فأمر لها بها، ثم قال: ألك حاجة بعدها؟ قالت: يدفع إلي النايغة الجعدى، قال: قد فعلت، وقد كانت تهوجه ويهوها، فبلغ النايغة ذلك، فخرج هاربًا عائذًا بعيد الملك، فاتبعته إلى الشام، فهرب إلى قتيبة بن مسلم بخراسان فاتبعته على البريد بكتاب الحجاج إلى قتيبة بقوس . ويقال بخلوان .

## وفد اليمانية يذهب إلى يزيد بن معاوية (١)

بعث ابن مفرغ رجلاً من بني الحارث بن كعب، فقام على سور  
مص، فنادى بأعلى صوته الحصين بن نمير - وكان والى حمص -  
ذه الأبيات، وكان عظيم الجبهة:

لِغْ لَدَيْكَ بَنَى قَحْطَانَ قَاطِبَةً      عَضَّتْ بِأُيْرٍ أَبْيَهَا سَادَةَ الْيَمَنِ  
سَى دَعَى زِيَادٍ فَفَقَعَ قَرْقَرَةً      يَا لِلْعَجَائِبِ يَلْهُو بِابْنِ ذِي يَزَنِ!  
لَجْمِيرِي طَرِيحٌ وَسَطَ مَزْبَلَةٍ      هَذَا لَعَنَ كُمْ غَبَنٌ مِنَ الْغَبَنِ  
لَأَجْبِيهِ ابْنُ نَمِيرٍ فَوْقَ مَفْرَشِهِ      يَدْنُو إِلَى أَحْوَزِ الْعَيْنِينَ ذِي غُنَنِ  
مُوا فَقُولُوا: أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَنَا      حَقٌّ عَلَيْكَ وَمَنْ لَيْسَ كَالْمَنْنِ  
تَفَقَّ دَعَى زِيَادٍ عَنَّا أَكْرَمِنَا      مَاذَا يُرِيدُ عَلَى الْأَحْقَادِ وَالْإِحْنِ

فاجتمعت اليمانية إلى حصن، فعيروه بما قاله ابن مفرغ، فقال  
حصين: ليس لى رأى دون يزيد بن أسد، ومخرمة بن شرحبيل، فأرسل  
هما، فاجتمعوا فى منزل الحصين، فقال لهما الحصين: اسمعا ما أهدى  
شاعركم، وقاله فى أخيكم - يعنى نفسه - وأنشدكم، فقال يزيد بن  
د: قد جئتمكم بأعظم من هذا، وهو قوله:

ما كنت حجاماً ولكن أكلنى بمنزلة الحجام نأبى عن الأصل

فقال الحصين: والله لقد أساء إلينا أمير المؤمنين فى صاحبنا  
تين، إحداهما أنه هرب إليه فلم يجره، وأخرى أنه أمر بعذابه غير  
أقرب لنا فيه. وقال يزيد بن أسد: إني لا أظن أن طاعتنا ستسعد  
حواها ما فعل بابن مفرغ، ولقد تطلع من نفس الشئ، للموت أحب إلى

منه - وقال مخزومة بن شرحبيل: أيها الرجلان، اعقلا، فإنه لا معاوية لكما، واعرفا أن صاحبكما لا تقدح فيه الغلظة، فاقصدا التضرع، فركب القوم إلى دمشق وقدموا على يزيد بن معاوية، وقد سبقهم الرجل، فنادى بذلك الشعر يوم الجمعة على درج مسجد دمشق، فثارت اليمانية وتكلموا، ومشى بعضهم إلى بعض، وقدم وفد القرشيين في أمره مع طلحة الطلحات، فسبقوا القرشيين، ودخلوا على يزيد بن معاوية، فتكلم الحصين بن نمير، فنكر بلاءه وبلاء قومه وطاعتهم، وقال: يا أمير المؤمنين، إن الذي أتاه ابن زياد إلى صاحبنا، لا قرار عليه، وقد سامنا عبيد الله وعباد خطة خسف، وقلدانا قلادة عار، فأنصف كريمنا من صاحبه، فوالله لئن قدرنا لنعفون، ولئن ظلمنا لننتصرن. وقال يزيد بن أسد: يا أمير المؤمنين، إنا لو رضينا بمثلة ابن زياد بصاحبنا وعظيم ما انتهك منه، لم يرض الله عز ذكره بذلك. ولئن تقربنا إليك بما يسخط الله لبياعدتنا الله منك، وإن يمانيتك قد نفرت لصاحبها نفرة طار غرابها، وما أدرى متى يقع، وكل نائرة تقدح في الملك - وإن صغرت - لم يؤمن أن تكبر، وإطفأؤها خير من إضرارها. لاسيما إذا كانت في أنف لا يجدع، ويد لا تقطع، فأنصفنا من ابن زياد.

وقال مخزومة بن شرحبيل، وكان مثألهما، عظيم الطاعة في أهل اليمن: إنه لا بد تحجزك عن هواك، ولو مثلت بأخيها، وتوليت ذلك منه بنفسك، لم يقم فيه قائم، ولم يعاتبك فيه معاتب، ولكن ابني زياد استخفانا بما ينقل عليك من حقنا. وتهاوننا بما تكرمه منا، وأنت بيننا وبين الله، ونحن بينك وبين الناس، فأنصفنا من صاحبك، ولينفعنا بلاؤنا عندك.

فقال يزيد: إن صاحبكم أتى عظيما، نفى زيادا من أبى سفيان ونفى عبادا وعبيد الله من زياد، وقلدهم طوق الحمامة، وما شجعه على

ذلك إلا نسبه فيكم، وحلفه في قريش، فأما إذا بلغ الأمر، وأشفى بكم على ما أشفى فهو لكم وعلى رضاكم.

قال: وانتهى القرشيون إلى الحاجب، فاستأذن لهم، وقال لليمانيين: قد أتتكم برى الذهب من أهل العراق، فدخلوا وسلموا والغضب يتبين في وجوههم، فظن يزيد الظنون، وقال لهم: ما لكم؟ انفتق فتق، أو حدث حدث فيكم؟

قالوا: لا، فسكن.

فقال طلحة الطلحات:

يا أمير المؤمنين، أما كفى العرب ما لقيت من زياد، حتى استعملت عليها ولده، يستكثرون لك أحقادها، ويبغضونك إليها. إن عبيد الله وأخاه أتيا إلى ابن مفرغ ما قد بلغك، فأنصفنا منهما إنصافا تعلم العرب أن لنا منك خلفا من أبيك، فوالله، لقد خبا لك فعلهما خبنا عند أهل اليمن لا نحمده لك، ولا تحمده لنفسك. وتكلم خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد، فقال:

يا أمير المؤمنين. إن زيادا ربي في شر حجر، ونشأ في أخبث نشء، فأثبتم نصابه في قريش، وحملتوه على رقاب الناس، فوثب ابنه على أخينا وحليفنا وحليفك، ففعلا به الأفاعيل التي بلغتكم، وقد غضبت له قريش والحجاز ويمن الشام، ممن لا أحب والله لك غضبه، فأنصفنا من ابني زياد.

وتكلم أخوه أمية بنحو مما تكلم أخوه، وقال:

والله يا أمير المؤمنين لا أخط رحلى، ولا أخلع ثياب سفرى، أو تتصفنا من ابني زياد، أو تعلم العرب أنك قد قطعت أرحامنا، ووصلت ابني زياد بقطعتنا، وحكمت بغير الحق لهما علينا.

وقال ابن قعمر: يا أمير المؤمنين: إن ابن مفرغ طالما ناضل عن عرضك وعرض أبيك وأعراض قومك، ورمى عن جمرة أهلك، وقد أتى بنو زياد فيه ما لو كان معاوية حيا لم يرض به، وهذا رجل له شرف في قومه، وقد نفروا له نفرة لها ما بعدها، فأعتبهم وأنصف الرجل، ولا تؤثر مرضاة ابني زياد على مرضاة الله عز وجل .

فقال يزيد: مرحبا بكم وأهلا، والله لو أصابه خالد ابني بما ذكرتم لأنصفته منه، ولو رحلت في جميع ما تحيط به العراق لوهبته لكم، وما عندي إلا إنصاف المظلوم، ولكن صاحبكم أسرف على القوم، وكتب يزيد ببناء داره، ورد ماله، وتخلية سبيله، وألا إمرة لأحد من بني زياد عليه، وقال: لو لا أن في القود بعدما جرى منه فسادا في الملك، لأقنته من عباد . وسرح يزيد رجلا من حمير يقال له خمخام، وكتب معه إلى عباد ابن زياد: نفسك نفسك، وأن تسقط من ابن مفرغ شعرة، فأقيدك والله به ولا سلطان لك ولا لأخيك ولا لأحد غيري عليه . فجاء خمخام حتى انتزعه جهارا من الحبس بمحضر الناس وأخرجه .

قالوا: فلما دخل على يزيد قال له: يا أمير المؤمنين . اختر منى خصلة من ثلاث خصال، في كلها لى فرج . إما أن تقيدنى من ابن زياد وإما أن تخلصى بينى وبينه، وإما أن تقمنى فتضرب عنقى .

فقال له يزيد: قبح الله ما اخترته وخيرتنيه، أما القود من ابن زياد فما كنت لأقيدك من عامل كان عليك، ظلمته وشتمت عرضه وعرضى معك، وأما التخلية بينك وبينه فلا، ولا كرامة، ما كنت لأخلصى بينك وبين أهل تقطع أعراضهم، وأما ضرب عنقك، فما كنت لأضرب عنق مسلم من غير أن يستحق ذلك، ولكنى أفعل ما هو خير لك مما اخترته لنفسك أعطيك دينك، فإنهم قد عرضوك للقتل، واكفف عن ولد زياد، فلا يبلغنى أنك ذكرتهم، وانزل أى البلاد شئت، وأمر له بعشرة آلاف درهم .

## وفود عبد الله بن همام السلولى

### على يزيد بن معاوية<sup>(١)</sup>

لما توفى معاوية - رحمه الله - واستخلف يزيد ابنه، اجتمع الناس على بابه، ولم يقدروا على الجمع بين تهنئة وتعزية، حتى أتى عبدالله بن همام السلولى فدخل عليه فقال:

يا أمير المؤمنين، أجرك الله على الرزية، وبارك لك فى العطيّة وأعانك على الرعية، فلقد رزنت عطيماً، وأعطيت جسيماً، فاشكر الله على ما أعطيت، واصبر له على ما رزنت، فقد فقدت خليفة الله، وميخت خلافة الله، ففارقت جليلاً، وذهبت جريلاً، إذ قضى معاوية نحبّه، فغفر الله ذنبه .

وقد أعطيت بعده الرئاسة، ووليت السياسة، فأوردك الله موارد السرور، ووفقك لصالح الأمور، وأنشده:

اصبر يزيد، فقد فارقت ذا ثقةٍ      وأشكر حياء<sup>(٢)</sup> الذى بالملك اضطفاكا  
لأرزء أصبح فى الأقوام نعمةً      كما رزنت، ولا عقبى كعقباك  
أصبحت وإلى ألم الناس كلهم      فالتت ترعاهم، والله يرعاك  
وفى معاوية الباقي لنا خلفٌ      إذا نعت، ولا نسمع بمنعاك

(١) البيان والتبيين - الجاحظ - ١٩١/٢ .  
و/ زهر الأداب - الحصرى - ٥٤، ٥٣/١ .  
(٢) حياء: عطاء .



### وفود الشجاء إلى زياد

قال أبو محلم: أخبرني معتمر بن سليمان التيمي . قال: (١)  
لما جرى بالشجاء - وكانت امرأة من الخوارج - إلى زياد، قال  
لها: ما تقولين في أمير المؤمنين معاوية رضى الله عنه؟ قالت: ماذا أقول  
في رجل أنت خطيئة من خطاياهم . فقال بعض جلسائه: أيها الأمير،  
أحرقها بالنار . وقال بعضهم: اقطع يديها ورجليها، وقال بعضهم: اسمل  
عينها .

فضحكت حتى استلقت، وقالت: عليكم لعنة الله . فقال لها زياد: مم  
تضحكين؟ قالت: كان جلساء فرعون خيرا من هؤلاء . قال لها: ولم؟  
قالت: استشارهم في موسى، فقالوا: أرجه وأخاه . وهؤلاء يقولون اقطع  
يديها ورجليها واقتلها . فضحك منها وخلي سبيلها .

• • • • •

### ١- وفاة الهيثم بن الأسود على عبد الملك بن مروان (٢)

قدم الهيثم بن الأسود بن العريان (وكان خطيبا شاعرا) على  
عبد الملك بن مروان، فقال: كيف تجدك؟  
قال: أجدني قدا بيض منى ما كنت أحب أن يسود، واسود منى ما  
كنت أحب أن يبيض، واشتد منى ما كنت أحب أن يلين، ولان منى ما  
كنت أحب أن يشتد .

ثم أنشد:

اسْمَعْ أَنبُوكَ بِآيَاتِ الْكِبَرِ نَوْمَ الْعِشَا وَسُعَالَ السَّحَرِ  
وَقَلَّةَ النَّوْمِ إِذَا اللَّيْلُ اعْتَكَرَ وَقَلَّةَ الطَّعْمِ إِذَا الزَّادُ حَضَرَ

(١) نوادر الأملى ١٩٤ .

(٢) البيان والتبيين - الجاحظ - ٦٩/٢، ٧٠ .

وَسَرَعَةَ الظَّرْفِ، وَتَحْمِيحَ النَّظَرِ وَتَرَكَّى الحَسَاءَ فِي قَبْلِ الطَّهْرِ  
وَحَدَّرَا أَزْدَادَهُ إِلَى حَدَرٍ وَالنَّاسُ يَبْلُونَ كَمَا يَبْلَى الشَّجَرُ

\*\*\*\*\*

## ٢- وفود رجل من بني ضنة على عبد الملك (ومدحه له) <sup>(١)</sup>

قال: حدثنا أبو بكر، قال: حدثنا الرياشي، قال: حدثنا مسعود بن بشر، عن رجل من ولد عمرو بن مرة الجهني — ولعمرو بن مرة صحبة قال: قال رجل من ضنة، أو قال وفد رجل من بني ضنة — وبنو ضنة من سعد هذيم — وفي العرب ضنان، ضنة هذه، وضنة بن عبدالله بن نمير.

قال: فوفد هذا الضنى إلى عبد الملك بن مروان:

فقال:

وَاللَّهِ مَا نَدْرِي إِذَا مَا فَاتَنَا      طَلَبَ إِلَيْكَ مَنْ الَّذِي نَتَطَلَّبُ  
فَلَقَدْ ضَرَبْنَا فِي الْيَلَادِ فَلَمْ نَجِدْ      أَحَدًا سِوَاكَ إِلَى الْمَكَارِمِ يُنْسَبُ  
فَأَصْبِرْ لِعَادَتِنَا الَّتِي عَوَّدْنَا      أَوْ لَا فَارْشِدُنَا إِلَى مَنْ نَذْهَبُ

فقال عبد الملك: إلی الی! وأمر له بألف دينار، ثم أتاه في العام

المقبل، فقال:

تَرَبَّ الَّذِي يَأْتِي مِنَ الْخَيْرِ إِنَّهُ      إِذَا فَعَلَ الْمَعْرُوفَ زَادَ وَتَمَمَّا  
وَلَيْسَ كَبَلَانِ حِينَ تَمَّ بِنَاؤُهُ      تَتَّبَعَهُ بِالنَّقِصِ حَتَّى تَهْتَمَّا

فأعطاه ألفي دينار، ثم أتاه في العام الثالث، فقال:

إِذَا اسْتَمْطَرُوا كَانُوا مَغَارِيرَ فِي النَّدَى      يَجُودُونَ بِالْمَعْرُوفِ عَوْدًا عَلَى بَدَى

(١) الأمالی - القالی ٣١٤/٢، ٣١٥.

### ٣- قدوم الأعشى على عبد الملك (١)

قدم أعشى بنى ربيعة على عبد الملك بن مروان، فقال له عبد الملك: ما الذى بقى منك؟

قال: أنا الذى أقول:

وَمَا أَنَا فِي أَمْرِي وَلَا فِي خُصُومَتِي بِمُهْتَزِّمٍ حَقَّى وَلَا قَارِعٍ سِنَى  
وَلَا مُسْلِمٍ مَوْلَى عِنْدَ جَنَابِي وَلَا خَائِفٍ مَوْلَى مِنْ شَرِّ مَا أَجْنَى  
وَأَنَّ فَوَادِي بَيْنَ جَنْبَيَّ عَالِمٌ بِمَا أَبْصَرْتَ عَيْنِي وَمَا سَمِعْتَ أذْنِي  
وَفَضَّلَنِي فِي الشَّعْرِ وَاللَّبِّ أَتْنَى أَقُولُ عَلَى عِلْمٍ وَأَعْرِفُ مَنْ أَعْنَى  
فَلَصَبَحْتُ إِذْ فَضَّلْتُ مَرْوَانَ وَابْنَهُ عَلَى النَّاسِ قَدْ فَضَّلْتُ خَيْرَ أَبِي وَابْنِ

فقال عبد الملك: من يلومنى على هذا؟ وأمر له بعشرة آلاف درهم، وعشرة تخوت ثياب، وعشر فرائض من الإبل، وأقطعته ألف جريب (٢)

وقال له: امض إلى زيد الكاتب يكتب لك بها، وأجرى له على ثلاثين عيلاً (٣) فأتى زيدا، فقال له: ائتنى غدا، فأناؤه فجعل يردده، فقال  
يَا زَيْدُ يَا فَيْدَاكَ كُلُّ كَاتِبٍ فِي النَّاسِ بَيْنَ حَاضِرٍ وَغَائِبٍ  
هَلْ لَكَ فِي حَقِّكَ عَلَيْكَ وَاجِبٌ فِي مِثْلِهِ يَرْغَبُ كُلُّ رَاغِبٍ  
وَأَنْتَ عَفْ طَيْبُ الْمَكَلِسِ مُبْرَأٌ مِنْ عَيْبِ كُلِّ عَائِبٍ  
وَلَسْتُ - وَإِنْ كَفَيْتَنِي وَصَاجِبِي طُولَ غُدُوٍّ وَدَوَاحٍ دَائِبٍ  
وَسَدَّةَ الْبَابِ وَعَنْفَ الْحَاجِبِ مِنْ نِعْمَةٍ أَسَدَيْتَهَا بِخَاتِبٍ  
فأبطأ عليه زيد، فأتى سفيان بن الأبرد الكلبى، فكلمه سفيان فأبطأ

عليه، فعاد إلى سفيان، فقال له:

عَدَّ إِذْ بَدَأْتُ أَبَا يَحْيَى قُلْتُ لَهَا وَلَا تَكُنْ حِينَ هَبَ النَّاسُ هَيَّابَا

(١) الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ١٣٢/١٨ .

(٢) الجريب من الأرض ثلاثة آلاف وسماتة ذراع وقيل عشرة آلاف ذراع .

(٣) من يقولهم الرجل من أهل بيته ويتكفل بهم

وَأَشْفَعُ شَفَاعَةً أَنْفٍ لَمْ يَكُنْ ذَنْبًا فَلَنْ مِنْ شُعَاعِ النَّاسِ أَذْنَابًا  
فأتى سفيان زيدا الكاتب فلم يفارقه حتى قضى حاجته .

• • • • •

#### ٤- وفود أعشى بنى ربيعة على عبد الملك:

قال محمد بن حبيب: دخل أعشى بنى أبى ربيعة على عبد الملك وهو يتردد فى الخروج لمحاربة ابن الزبير ولا يجد، فقال له: يا أمير المؤمنين، مالى أراك مثلوما ينهضك الحزم، ويقعدك العزم، وتهم بالإقدام وتجنح إلى الإحجام، أنفذ لبصيرتك، وأمنض رأيك، وتوجه إلى عدوك فجذك مقبل، وجذء مدبر، وأصحابه له مفتون، ونحن لك محبوبون. وكلمتهم مفترقة، وكلمتنا عليك مجمعة، والله ما يؤتى من ضعف جنان، ولا قلة أعوان، ولا بثبطك عنه ناصح، ولا يحرضك عليه غاش. وقد قلت فى ذلك أبياتا، فقال: هاتها، فإنك تتطلق بلسان ودود، وقلب ناصح، فقال:

أَلْ زَبِيرٍ مِّنَ الْخِلَافَةِ كَلَّتْنِي	عَجَلَ النَّجَاحَ بِحَمَلِهَا فَأَحَالَهَا
أَوْ كَالضَّعَافِ مِنَ الْحُمُولَةِ حَمَلْتُ	مَا لَا تُطِيقُ فَضَبِعَتْ أَحْمَالَهَا
فَوَمُوا إِلَيْهِمْ لَا تَنَامُوا عَنْهُمْ	كَمْ لِلْفَوَاةِ أَطْلَعْتُمَا إِمَهَالَهَا
إِنَّ الْخِلَافَةَ فِيكُمْ لَا فِيهِمْ	مَا زِلْتُمْ أَرْكَانَهَا وَثِمَالَهَا
أَمَسُوا عَلَى الْخَيْرَاتِ قَفْلًا مَّظْلُومًا	فَلْتَهَضَّنْ بَيْنَكَ فَافْتَحْ أَقْفَالَهَا

فضحك عبد الملك، وقال: صدقت يا أبا عبد الله، إن أبا خبيب لقلل دون كل خير، ولا نتأخر عن مناجزته إن شاء الله، ونستعين الله عليه، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وأمر له بصلة سنية.

### ٥- وفود العجاج على عبد الملك بن مروان<sup>(١)</sup>

حدثنا أبو بكر، قال: حدثنا أبو حاتم عن أبي زيد عن المفضل قال: دخل العجاج على عبد الملك بن مروان، فقال: يا عجاج، بلغني أنك لا تقدر على الهجاء. فقال: يا أمير المؤمنين، من قدر على تشييد الأبنية أمكنه إخراج الأخبية. قال: فما يمنعك من ذلك؟ قال: إن لنا عزا يمنعنا من أن نظلم، وإن لنا حلما يمنعنا من أن نظلم. فعلام الهجاء؟ فقال: لكلماتك أشعر من شعرك، فأني لك عز يمنعك من أن نظلم؟ قال: الأب البارع، والفهم الناصع. قال: فما الحلم الذي يمنعك من أن نظلم؟ قال: الأدب المستطرف، والطبع التالد قال: يا عجاج، لقد أصبحت حكيما. قال: وما يمنعني وأنا نجي أمير المؤمنين؟

### ٦- وفادة الأجره على عبد الملك بن مروان

قال ابن قتيبة<sup>(٢)</sup>:

هو من ثقيف، وقد وفد على عبد الملك بن مروان في نفر من الشعراء فقال له: إنه ما من شاعر إلا وقد سبق إلينا من شعره قبل رؤيته، فما قلت؟

قال: أنا القائل:

مَنْ كَانَ ذَا عَصْدٍ يُدْرِكُ ظِلْمَتَهُ      إِنَّ الذَّلِيلَ الَّذِي لَيْسَتْ لَهُ عَصْدُ  
تَنْبُوْ يَدَاهُ إِذَا مَا قَلَّ نَاصِرُهُ      وَيَمْنَعُ الضَّيْمُ إِنْ أَثَرَى لَهُ عَدُوْ

.....

(١) الأملی - القالی ٥٣/٢ .  
(٢) الشعر والشعراء ابن قتيبة ٧٣٨/٢ .

## ٧- وفادة كثير على عبد الملك بن مروان<sup>(١)</sup>

قال أبو إسماعيل بن القاسم البغدادي: وأخبرنا أبو بكر قال: خبرنا السكن بن سعيد، قال: أخبرنا علي بن نصر الجهضمي، قال: دخل كثير على عبد الملك بن مروان - رحمه الله - فقال عبد الملك بن مروان: أنت كثير عزة؟ قال: نعم. قال: أن تسمع بالمعدي خير من أن تراه. فقال: يا أمير المؤمنين: كل عند محله رحب الغناء، شمع البناء، عالي السناء، ثم أنشأ يقول:

تَرَى الرَّجُلَ النَّحِيفَ فَتَزْدِيرِيهِ	وَفِي أَثَوَابِهِ أَسَدٌ هَصُورٌ
وَيُعْجِبُكَ الطَّرِيرُ إِذَا تَسَرَّاهُ	فِيخْلِفُ ظَنَنَكَ الرَّجُلُ الطَّرِيرُ
بُعَاثُ الطَّيْرِ أَطْوَلُهَا رِقَابًا	وَلَمْ تَطُلِ السِّبَاةُ وَلَا الصَّقُورُ
خَشَاشُ الطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فِرَاحًا	وَأُمُّ الصَّقِيرِ مَقْلَاتٌ نَزُورُ <sup>(٢)</sup>
ضِعَافُ الْأَسَدِ أَكْثَرُهَا زُنِيرًا	وَأَصْرَمُهَا اللَّوَاتِي لَا تَزِيرُ
وَقَدْ عَظُمَ الْبَعِيرُ بِغَيْرِ لُبِّ	فَلَمْ يَسْتَفْنِ بِالْعَظِمِ الْبَعِيرُ
يَنُوحُ ثُمَّ يَضْرِبُ بِالسَّهْرَاوِي	فَلَا عَزْفَ لَدَيْهِ وَلَا نَكِيرُ
يَقُودُهُ الصَّبِيُّ بِكُلِّ أَرْضٍ	وَيَنْحَرُهُ عَلَى السَّرْبِ الصَّغِيرُ
فَمَا عَظُمَ الرَّجَالِ لَهُمْ بَزِينُ	وَلَكِنَّ زَيْنَهُمْ كَرَمٌ وَخَيْرُ

فقال عبد الملك: لله دره، ما أفصح لسانه، وأضبط جنانه، وأطول عنانه، والله إنني لأظنه كما وصف نفسه.

(١) الأمل للقالى ١/٧٢.

(٢) مقلات: لا تكثر فراخها. الطير: المحدود. ورجل طير: ذؤنفة وهيئة حنة وجمال.

## ١- وفادة (غيلان بن سلمة الثقفي) على الوليد<sup>(١)</sup>

ولما توفي عبد الملك وجلس ابنه الوليد، دخل عليه الناس وهم لا يدرون أيهنوننه أم يعزونه؟ فأقبل غيلان بن سلمة الثقفي، فسلم عليه ثم قال: يا أمير المؤمنين. أصبحت قد رزيت خير الآباء، وسميت بخير الأسماء وأعطيت أفضل الأشياء، فعظم الله لك على الرزية الصبر وأعطاك في ذلك نوافل الأجر، وأعانك على حسن الولاية والشكر، ثم قضى لعبد الملك بخير القضية، وأنزله بأفضل المنازل المرضية، وأعانك من بعده على الرعية. فقال له الوليد: من أنت؟ فانتسب له. قال: في كم أنت؟ قال: في مائة دينار. فألحقه بأهل الشرف.

• • • • •

## ٢- وفادة (الزهرى) على الوليد بن عبد الملك<sup>(٢)</sup>

دخل الزهرى على الوليد بن عبد الملك فقال له: ما حديث يحدثنا به أهل الشام؟ قال: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: يحدثوننا أن الله إذا استرعى عبدا رعية كتب له الحسنات، ولم يكتب له السيئات. قال: باطل يا أمير المؤمنين. أنبى خليفة أكرم على الله أم خليفة غير نبي؟ قال: بلى نبي خليفة. قال: فإن الله يقول لنبيه داود: يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض، فاحكم بين الناس بالحق، ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله "إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب"<sup>(٣)</sup>. فهذا وعيد يا أمير المؤمنين لنبي خليفة، فما ظنك بخليفة غير نبي؟ قال: إن الناس ليغروننا عن ديننا.

(١) البيان والتبيين - الجاحظ ١٩٢/٢ .

(٢) العقد الفريد - ابن عبد ربه ٤٥/١ ت/العريان .

(٣) سورة ص الآية ٢٦ .

### وفادة إسماعيل بن أبي الجهم على هشام بن عبد الملك<sup>(١)</sup>

حدثنا أبو بكر رحمه الله، قال: أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال:  
قدم وقد على أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك، وفيهم رجل من قريش  
يقال له: إسماعيل بن أبي الجهم، وكان أكبرهم سناً، وأفضلهم رأياً وحلماً.  
فقام متوكناً على عصا، وقال: يا أمير المؤمنين إن خطباء قريش قد قالت  
فيك فأطنبت، وأثنت عليك فأحسننت، وواثقه ما بلغ قائلهم قدرك ولا أحصى  
مثيهم فضلك، أفتأذن لي في الكلام؟ قل: تكلم. قال: فأوجز أم أطنب؟  
قال: بل أوجز. قال: تولاك الله يا أمير المؤمنين بالحسنى، وزينك بالتقى،  
وجمع لك خير الآخرة والأولى. إن لي حوائج، أفأذكرها؟ قال: نعم.  
قال: كبرت سنن، وضعفت قواي، واشتدت حاجتي فإن رأى أمير المؤمنين  
أن يجبر كسرى، وينفى فقرى. قال: يا بن أبي الجهم. ما يجبر كسرك  
وينفى فقرك. قال: ألف دينار وألف دينار وألف دينار. قال: هيهات يا بن  
أبي الجهم، بيت المال لا يحتمل هذا. قال: كأنك أليت يا أمير المؤمنين أن  
لا تقضى لي حاجة مقامى هذا. قال: ألف دينار لماذا؟ قال: أقضى بها ديناً  
قد فدحتني حمله، وأرهقني أهله، قال: نعم المسلك أسلكتها. ديناً قضيت،  
وأمانة أديت. قال: وألف دينار لماذا؟ قال: أزوج بها من أدرك من ولدى،  
فأشد بهم عضدى، ويكثر بهم عددى. قال: ولا بأس. أغضضت طرفاً،  
وحصنت فرجاً، وأمرت نسلاً. وألف دينار لماذا؟ قال: اشتري بها أرضاً  
فأعود بفضلها على ولدى، وبفضل فضلها على نوى قراباتي، قال: ولا  
بأس. أردت ذخراً، ورجوت أجراً، ووصلت رحماً، قد أمرنا لك بها.  
فقال: الله المحمود على ذلك. وجزاك الله يا أمير المؤمنين والرحم  
خيراً. فقال هشام: تالله ما رأيت رجلاً ألطف في سؤال، ولا أرفق في مقال  
من هذا. هكذا فليكن القرشى.



### وفادة أعرابي على سليمان بن عبد الملك<sup>(١)</sup>

دخل أعرابي على سليمان بن عبد الملك، فقال: أصابتك سماء في وجهك يا أعرابي؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، غير أنها سحاء طخياء وطفاء، كأن هوابديها الدلاء مرجحنة النواحي، موصولة بالأكام، تكاد تمس هام الرجال، كثير زجلها، قاصف رعدا، خاطف برقها، حثيث ودقها، بطئ سيرها، متعرج قطرها، مظلم تؤدها، قد لجأت الوحش إلى أوطانها، تبحث عن أصوله بأظلافها، متجمعة بعد شتاتها، فلولا اعتصامنا يا أمير المؤمنين بعضاة الشجر، وتعلقنا بقنن الجبال لكنا جفاء في بعض الأودية، ولقم الطريق، فأطال الله للأمة بقائك، ونسأ لها في أجلك، فهذا ببركتك، وعادة الله بك على رعيك، وصلى الله على سيدنا محمد. فقال سليمان: لعمر أبيك. لأن كانت بديهة لقد أحسنت وإن كانت محبرة لقد أجدت. قال: بل محبرة مزورة يا أمير المؤمنين قال: يا غلام اعطه. فوالله لصدقه أعجب إلينا من صفته.

• • • • •

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه ٤٧/٤ تحقيق العريان.

### ٢ - وفادة بعض أهل العراق على سليمان بن عبد الملك (١)

الهيثم بن عدى . قال :

قدمت وفود العراق على سليمان بن عبد الملك، بعدما استخلف .  
فأمرهم بشتم الحجاج، فقاموا يشتمون، فقال بعضهم: إن عدو الله الحجاج  
كان عبدا زبابا (جاهلا) قنورا ابن قنور (عبد) لا نسب له في العرب فقال  
سليمان: أى شتم هذا؟ إن عدو الله الحجاج كتب إلى: "إنما أنت نقطة من  
مداد، فإن رأيت فى ما رأى أبوك وأخوك كنت لك كما كنت لهما، وإلا  
فأنا الحجاج وأنت النقطة، فإن شئت محوئك، وإن شئت أثبتك" فالعنوه  
لعنه الله . فأقبل الناس يلعنون فقام ابن أبى بردة بن أبى موسى . فقال: يا  
أمير المؤمنين . أخبرك عن عدو الله بعلم . قال: هات . قال: كان عدو  
الله يتزين تزين المومسة، ويصعد على المنبر فيتكلم بكلام الأخبار، وإذا  
عمل الفراعنة . وأكذب فى حديثه من الرجال .

فقال سليمان لرجاء بن حيوة: هذا وأبيك الشتم، لا ما تأتى به هذه

السفلة .

تَظَلِّمُ؟ قال: الأدب المستطرف، والطبع التالذ. قال: يا عجاج، لقد أصبحت حكيمًا. قال: وما يمنعني وأنا نَجِيٌّ أمير المؤمنين.

\* \* \* \*

١ - وفود الكميّ بن زيد على يزيد بن عبد الملك:

قال الطلحي: أخبرني حبيش بن الكميّ، أخو المستهل بن الكميّ ابن زيد قال:

وفد الكميّ بن زيد على يزيد بن عبد الملك، فدخل عليه يوما وقد اشترى له سلامة القس، فأدخلها إليه والكميّ حاضر، فقال له:  
يا أبا المستهل: هذه جارية تباع، أفترى أن نبتاعها؟ قال: إى والله يا أمير المؤمنين، وما أرى أن لها مثلاً في الدنيا، فلا تفوتك، قال: فصفها لى فى شعر حتى أقبل رأيك.

فقال الكميّ (١):

هِيَ شَمْسُ النَّهَارِ فِي الْحُسَيْنِ إِلَّا	أَنَّهَُا فَضَلَّتْ بِقَتْلِ الظَّرَافِ
عَصَا بَضَّةٍ رَجِيمٍ لَعُوبٍ	وَعَثَةُ الْمَتَنِ شَخْتَةُ الْأَطْرَافِ (٢)
زَانَهَا دَلُّهَا وَتَغَرُّ نَفْسِي	وَحَدِيثُ مَرْتَلٍ غَيْرُ جَانِفِي
خُلِقَتْ فَوْقَ مُنْيَةِ الْمُتَمَنِّي	فَأَقْبَلَ النَّصْحَ يَا بَنَ عَبْدِ مَنَافٍ

فضحك يزيد، وقال: قد قبلنا نصحك يا أبا المستهل، وأمر له بجائزة سنية.

(١) الأغاني للأصفهاني ٢٣/١٧.

(٢) وعثة: سميكة شخطة: دقيقة ضامرة.

## الوفادات على عمر بن عبد العزيز

### ١- وفادة أهل العراق عليه<sup>(١)</sup>

حدث العتبي عن سفيان بن عيينة، قال: قدم على عمر بن عبدالعزيز ناس من أهل العراق، فنظر إلى شاب منهم يتحرش للكلام. فقال عمر: أكبروا. أكبروا. فقال الشاب: يا أمير المؤمنين. لو كان الأمر بالسن لكان في المسلمين من هو أسن منك. فقال عمر: صدقت - رحمك الله - تكلم.

فقال: يا أمير المؤمنين. إنا لم نأتك رغبة ولا رهبة. أما الرغبة فقد دخلت علينا منازلنا، وقدمت علينا بلادنا. وأما الرهبة، فقد أمنتنا الله بعدلك من جورك.

قال (عمر): فما أنتم؟ قال: وفد الشكر.

قال (الراوي): فنظر محمد بن كعب القرظي إلى وجه عمر فقال: يا أمير المؤمنين، لا يغلبن جهل القوم بك معرفتك بنفسك حين ناسا خدعهم الثناء، وغرهم شكر الناس فهلكوا، وأنا أعيدك بالله أن تكون منهم.

فألقي عمر رأسه على صدره.

### ٢- وفادة شوذب الخارجي وأصحابه<sup>(٢)</sup>

#### على عمر بن عبد العزيز

عن الهيثم بن عدي، قال: أخبرني عوانة بن الحكم عن محمد بن الزبير، قال: بعثني عمر بن عبد العزيز، مع عون بن عبد الله بن

(١) العقد الفريد - ابن عبد ربه مجلد ٢ ص ١٣، ١٤ تحقيق/ محمد سعيد العريان  
و زهر الاداب - الحصري ص ٧.

(٢) نفسه ص ٢١٥ وما بعدها.

مسعود، إلى شونذب الخارجي وأصحابه، إذ خرجوا بالجزيرة، وكتب معنا كتابا إليهم، فقدمنا عليهم، ودفعنا كتابه إليهم، فبعثوا معنا رجلا من بنى شيبان، ورجلا فيه حبشية يقال له شونذب، فقدمنا معنا على عمر، وهو بخصاصة<sup>(١)</sup> فصعدنا إليه، وكان في غرفة ومعه ابنه عبد الملك وحاجبه مزاحم، فأخبرناه بمكان الخارجيين، فقال عمر: ما لا يكن معهما حديد، وأدخلوهما، فلما دخلا قالوا: السلام عليكم، ثم جلسا. فقال لهما عمر: أخبراني. ما الذي أخرجكم عن حكمي هذا وما نقمتم؟

فتكلم الأسود منهما فقال: إنا والله ما نقمنا عليك في سيرتك وتحريك العدل والإحسان إلى من وليت، ولكن بيننا وبينك أمر، إن أعطيناه فنحن منك وأنت منا، وإن منعتنا فلسنا منك. قال عمر: ما هو؟ قال: رأيناك خالفت أهل بيتك وسميتها مظالم، وسلكت غير طريقهم، فإن زعمت أنك على هدى، وهم على ضلال، فالعنهم وابراؤ منهم، فهذا الذي يجمع بيننا أو يفرق.

فتكلم عمر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إني قد علمت أو ظننت أنكم لم تخرجوا مخرجكم هذا لطلب الدنيا ومتاعها، ولكنكم أردتم الآخرة فأخطأتم سبيلها، وإني سألتكما عن أمر، فبإله اصدقاني فيه مبلغ علمكما. قال: نعم. قال: أخبراني عن أبي بكر وعمر: أليسا من أسلافكما ومن تتوليان وتشهدان لهما بالنجاة؟ قال: اللهم نعم. قال: فهل علمتما أن أبا بكر حين قبض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فارتدت العرب قاتلهم، فسفك الدماء، وأخذ الأموال - وسبى الخزاري؟ قال: نعم. قال: فهل علمتم أن عمر قام بعد أبي بكر فرد السبايا إلى

(١) خصاصة: بلدة من أعمال حلب. بالشام.

شائرها؟ قالا: نعم قال: فهل برئ عمر من أبى بكر، أو تبرعون  
 تم من واحد منهما؟ قالا: لا. قال: فأخبرانى عن أهل النهروان. أليسوا  
 ن صالحى أسلافكم وممن تشهدون لهم بالنجاة؟ قالا: نعم. قال: فهل  
 ملون أن أهل الكوفة حين خرجوا كفوا أيديهم فلم يسفكوا دمًا، ولم  
 خيفوا آمنًا، ولم يأخذوا مالا؟ قالا: نعم. قال: فهل علمتم أن أهل البصرة  
 بين خرجوا مع مسعر بن فديك استعرضوا الناس يقتلونهم، ولقوا عبيد  
 ث — بن خباب بن الارت صاحب رسول الله — صلى الله عليه وسلم —  
 نكلوه وقتلوا جاريتته، ثم قتلوا النساء والأطفال، حتى جعلوا يلقونهم فى  
 ور الأقط وهى تفور؟ قالا: قد كان ذلك. قال: فهل برئ أهل الكوفة  
 ن أهل البصرة؟ قالا: لا. قال: فهل تبرعون من إحدى الفئتين؟ قالا:  
 . قال: أفرأيتم الدين. أليس هو واحدًا أم الدين اثنان؟ قالا: بل واحد.  
 ل: فهل يسعكم منه شئ يعجزنى؟ قالا: لا. قال: فكيف وسعكم أن  
 ليمت أبا بكر وعمر، وتولى كل واحد منهما صاحبه، وتوليتكم أهل  
 كوفة والبصرة، وتولى بعضهم بعضًا، وقد اختلفوا فى أعظم الأشياء.  
 ن الدماء والفروج والأموال. ولا يسعنى إلا لعن أهل بيتى والتبرؤ  
 نهم؟ أو رأيتم لعن أهل الذنوب فريضة مفروضة لابد منها؟ فإن كان  
 ك فمتى عهدك بلعن فرعون وقد قال: أنا ربكم الأعلى؟ قال: ما أنكر  
 ن لعنة. قال ويحك! أيسعك ألا تلعن فرعون — وهو أخبث الخلق —  
 لا يسعنى إلا أن ألعن أهل بيتى والبراءة منهم؟ ويحك! إنكم قوم جهال،  
 يتم أمرًا فأخطأتموه، فأنتم تردون على الناس ما قبل منهم رسول الله  
 . صلى الله عليه وسلم — بعثه الله إليهم، وهم عبدة أوثان، فدعاهم إلى  
 ن يخلصوا الأوثان، وأن يشهدوا أن لا إله إلا الله. وأن محمدًا عبده  
 رسوله، فمن قال ذلك حقن بذك دمه، وأحرز ماله، ووجبت  
 رتمه، وأمن به عند رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وكان أسوة

المسلمين، وكان حسابه على الله . أفلستم تلقون من خلع الأوثان، ورفض الأديان، وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، تستحلون دمه وماله، ويلعن عندكم، ومن ترك ذلك وأباه من اليهود والنصارى وأهل الأديان فتحرموه دمه وماله ويأمن عندكم؟ فقال الأسود: ما سمعت كاليوم أحدا أبين حجة، ولا أقرب مأخذا، أما أنا فأشهد أنك على الحق، وأنى برئ مما برئ منك . فقال عمر لصاحبه: يا أبا بني شيبان، ما تقول أنت؟ قال: ما أحسن ما قلت ووصفت، غير أنى لا أفئات على الناس بأمر حتى ألقاهم بما ذكرت وأنظر ما حجتهم . قال: أنت وذاك، فأقام الحبشى مع عمر، وأمر له بالعطاء، فلم يلبث أن مات، ولحق الشيبانى بأصحابه، فقتل معهم بعد وفاة عمر .

.....

### ٣- وفادة عبد الله بن عبد الله بن الأهمتم<sup>(١)</sup>

#### على عمر بن عبد العزيز

حكى أبو الحسن، عن يحيى بن سعيد، عن ابن خربوذ البكرى عن خالد بن صفوان قال: دخل عبد الله بن عبد الله بن الأهمتم {هو عم خالد بن صفوان بن عبد الله بن الأهمتم} على عمر بن عبد العزيز مع العامة، فلم يفجا عمر إلا وهو مائل بين يديه يتكلم، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد . فإن الله خلق الخلق غنيا عن طاعتهم، آمنا والناس يومئذ فى المنازل، والرأى مختلفون، والعرب بشر تلك المنازل أهل الوبر وأهل المدر، تختار دونهم طيبات الدنيا . ورفاغة عيشها: ميتهم فى النار، وحيهم أعمى . مع ما لا يحصى من المرغوب عنه، والمزهود فيه . فلما أراد الله أن ينشر فيهم رحمته، ويسبغ عليهم نعمته، بعث إليهم رسولا

(١) البيان والتبيين ١١٧/٢ - ١٢٠ .

نهم عزيزا عليه ما عنتوا، حريصا عليهم بالمؤمنين رعوفا رحيمًا، فلم ننعم ذلك من أن جرحوه في جسمه، ولقبوه في اسمه، ومعه كتاب من الله ناطق، وبرهان من الله صادق، لا يرحل إلا بأمره ولا ينزل إلا بإذنه. واضطروه إلى بطن غار، فلما أمر بالعزم أسفر لأمر الله لونه، أفلج الله حجته، وأعلى كلمته، وأظهر دعوته، ففارق الدنيا نقيًا تقيا باركا مرضيا صلى الله عليه وسلم.

ثم قام بعده أبو بكر رحمه الله، فسلك سنته، وأخذ بسبيله، وارتدت لعرب، فلم يقبل منهم بعد رسول الله إلا الذي كان قابلا منهم فانتضى لسيوف من أعمادها، وأوقد النيران من شعلها، ثم ركب بأهل الحق أهل لباطل، فلم يبرح يفصل أوصالهم، ويسقى الأرض دماءهم حتى أدخلهم إلى الذي خرجوا عنه، وقرهم بالذي نفروا منه، وقد كان أصاب من مال الله بكرا يرتوى عليه، وحشية ترضع ولدا له، فرأى ذلك غصة عند موته في حلقه، فأدى ذلك إلى الخليفة من بعده، وبرئ إليه منهم، وفارق لدنيا نقيًا تقيا، على منهاج صاحبه رحمه الله.

ثم قام من بعده عمر بن الخطاب رحمه الله، فمصر الأمصار، وغلط الشدة باللين، فحصر عن ذراعيه، وشمر عن ساقيه، وأعد للأمر أقرانها، وللحرب آلتها، فلما أصابه فتى المغيرة بن شعبه أمر ابن عيسى أن يسأل الناس هل يثبتون قاتله، فلما قيل له: فتى المغيرة، استهل بحمد الله ألا يكون أصابه ذو حق في الفيء، فيستحل دمه بما استحل من هذه، وقد كان أصاب من مال الله بضعا وثمانين ألفًا. فكسر رباعه وكره بها كفالة أهله وولده، فأدى ذلك إلى الخليفة من بعده، وفارق الدنيا نقيًا تقيا، على منهاج صاحبيه، رحمه الله.



ثم إنا والله ما اجتمعنا بعدهما إلا على ظلع ، ثم إنك يا عمر ابن الدنيا، ولدتك ملوكها، وألقمتك ثديها، وليتك وضعتها حيث وضعتها، فالحمد لله الذى جلا بك حوبتها، وكشف بك كربتها . امض ولا تلتفت فإنه لا يغنى من الحق شيئا . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم وللمؤمنين والمؤمنات .

#### ٤- وفود جرير عن أهل الحجاز<sup>(١)</sup>

##### على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه

قدم جرير بن الخطفي على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه، عن أهل الحجاز، فاستأذنه في الشعر، فقال: مالي وللشعر يا جرير؟ إني نفي شغل عنه! قال يا أمير المؤمنين، إنها رسالة عن أهل الحجاز. قال: نهاتها إذا. فقال:

كَمْ مِنْ ضَرِيرٍ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَدَى أَهْلِ الْحِجَازِ دَهَاهُ الْبُؤْسُ وَالضَّرَرُ  
أَصَابَتْ السَّنَةَ الشَّهْبَاءُ مَا مَلَكَتْ يَمِينُهُ فَحَنَاهُ الْجَهْدُ وَالْإِكْبَرُ<sup>(٢)</sup>  
وَمِنْ قَطِيعِ الْحَشَا عَاشَتْ مَخْبَاةٌ مَا كَانَتْ الشَّمْسُ تَلْقَاهَا وَلَا الْقَمَرُ  
لَمَّا اجْتَلَتْهَا صُرُوفُ الدَّهْرِ كَرَاهَةً قَامَتْ تَنَادَى بِأَعْلَى الصَّوْتِ: يَا عُمَرُ!

.....

#### ٥- وفود ذكين الراجز<sup>(٣)</sup>

##### على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه

قال ذكين بن رجاء الفقيمي الراجز: مدحت عمر بن عبدالعزيز وهو والى المدينة، فأمر لى بخمس عشرة ناقة كرائم صعبا، فكرهت أن أرمى بها الفجاج<sup>(٤)</sup> فتتشر على، ولم تطب نفسى ببيعها، فقدمت علينا

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه تحقيق العريان ٢٧٩/١ تحقيق/ أحمد يسرى م٢ العدد ١١ ص ٦٨.

(٢) السنة الشهباء: المجدة.

(٣) هو ذكين بن رجاء الفقيمي (٠٠٠ - ١٠٥ هـ)، اشتهر في العصر الأموي. مدح عمر بن عبد العزيز وهو والى المدينة. وله رجز في مدح مصعب بن الزبير، بدل على أنه زاره في العراق، ورجز آخر في وصف فرس له، يستفاد منه أنه وفد على الوليد بن عبد الملك في الشام، أوردتها ياقوت في معجم الأديباء. والفقيمي: نسبه إلى الفقيم بن دارم (أو ابن جرير بن دارم) من تميم. [راجع الأعلام للزركلي]. العقد الفريد/ ت العريان ٢٨٠/١ ت/ أحمد يسرى م٢ عدد ١ ص ٦٨.

(٤) الفجاج: جمع الفج: الطريق الواسع البعيد.

رفقة من مضر، فسألتهم الصحبة، فقالوا: إن خرجت الليلة. فقلت: إنى لم أودع الأمير ولا بد من وداعه. قالوا: فإن الأمير لا يحجب عن طارق ليل. فاستأذنت عليه، فأذن لى وعنده شيخان لا أعرفهما. فقال لى: يا دكين، إن لى نفسا تواقه، فإن أنا صرت إلى أكثر مما أنا فيه فبعثن ما أرينك. قلت له: أشهد لى بذلك أيها الأمير. قال: إنى أشهد الله. قلت ومن خلقه! قال: هذين الشيخين. قلت لأحدهما: من أنت يرحمك الله أعرفك؟ قال: سالم بن عبد الله. فقلت: لقد استسمنت<sup>(١)</sup> الشاهد. وقلت للآخر: من أنت يرحمك الله؟ قال: أبو يحيى مولى الأمير. وكان مزاحم يكنى أبا يحيى. قال دكين: فخرجت بهن إلى بلدى، فرمى الله فى أذنابهن بالبركة، حتى اتخذت منهن الضياع والرباع<sup>(٢)</sup> والغلمان. فإنى لبصحراء فليح<sup>(٣)</sup>، إذا برید يركض إلى الشام، فقلت له: هل من مغربة خير<sup>(٤)</sup>؟ قال: مات سليمان بن عبد الملك. قلت: فمن القائم بعده؟ قال: عمر بن عبدالعزيز قال: فأخذت قلوصى فألقيت عليها أداتى وتوجهت عنده؛ فلقيت جريرا فى الطريق جائيا من عنده، فقلت: من أين أبا حزره؟ قال: من عند أمير يعطى الفقراء ويمنع الشعراء. قلت: فما ترى فإنى خرجت إليه؟ قال: عول عليه فى مال ابن السبيل كما فعلت. فانطلقت فوجدته قاعدا على كرسي فى عرصة<sup>(٥)</sup> داره، قد أحاط الناس به فلم أجد إليه سبيلا للوصول، فنادتى بأعلى صوتى:

يَا عَمَرَ الْخَيْرَاتِ وَالْمَكَارِمِ      وَعَمَرَ الدَّسَائِعِ الْعَظَائِمِ<sup>(٦)</sup>  
إِنِّى امْرُؤٌ مِنْ قَطَنِ بْنِ دَرِمٍ      أَطْلُبُ حَاجِىَ مِنْ أَخِي مَكَارِمِ

(١) برید: لقد ظفرت بشاهد له خطره.

(٢) الرباع: الدور وما حولها والمواضع ينزل فيها زمن الربيع.

(٣) الفليح: النصف.

(٤) هل من مغربة خير: هل من خير جديد جاء من بلد بعيد.

(٥) عرصة داره: ساحتها.

(٦) الدسائم: العطايا والمكارم والأخلاق.

إِذْ تَنْتَجِي وَاللَّيْلُ غَيْرُ نَائِمٍ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ وَلَيْلَى عَائِمٌ  
عِنْدَ أَبِي يَحْيَى وَعِنْدَ سَلَامٍ

فقام أبو يحيى ففرج لى، وقال: يا أمير المؤمنين، إن لهذا البدوى  
عندى شهادة عليك. قال: أعرفها، ابن منى يادكين، أنا كما ذكرت لك أن  
لى نفسا تواقفة، وأن نفسى تأقت إلى أشرف منازل الدنيا، فلما أدركتها  
وجدتها تنوق إلى الآخرة؛ والله ما رزأت من أمور الناس شيئا فأعطيك  
منه، وما عتدى إلا ألفا درهم، أعطيك أحدهما. فأمر لى بألف درهم.  
فوالله ما رأيت ألفا كانت أعظم بركة منها.

\*\*\*\*\*

## ٦- وفود كثير والأحوص ونصيب

### على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه

حماد الراوية قال:

قال لى كثير عزه<sup>(١)</sup> ألا أخبرك عما دعانى إلى ترك الشعر؟ قلت  
نعم. قال: شخصت أنا والأحوص<sup>(٢)</sup> ونصيب إلى عمر بن عبد العزيز

(١) هو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الحزاعي، أبو صخر (١٠٠-١٠٥) من فحول شعراء الإسلام، وجعله ابن سلام في الطبقة الأولى منهم، وقون به جديرا والفرزدق والأخطل والراعى، وكان غالبا في التشيع، يذهب مذهب الكيسانية، أكثر إقامته بمصر. كان مفرد القصر نميما. فى نفسه شمم وترفع. يقال له "ابن أبي جمعة" و"كثير عزة" و"الملحى" نسبة إلى بنى مليح، وهم قبيلته. كان غنيا فى حبه لعزة. وقد على عبد الملك بن مروان فازدرى منظره، ولما عرف أدبه رفع مجلسه، فاخص به وببنى مروان يعظموه ويكرمونه. توفى بالمدينة [انظر الأعلام للزركلى ومن الأدب الأموى والعباسى ص ٥٠٠ للمعلق].

(٢) هو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم الأنصارى (١٠٠-١٠٥هـ) شاعر هجاء، صافى الديباجة. جعله ابن سلام وابن قيس الرقيات ونصيبا وجميل بن معمر طبقة سادسة من شعراء الإسلام. هذا نحو عمر بن أبى ربيعة فى غزله. وكان قليل المروءة والدين. وقد على الوليد بن عبد الملك (فى الشام) فأكرمه الوليد، ثم بلغه عنه ما ساء من سيرته فردّه إلى المنية، وأمر بجلده فجلد، ونفى إلى "دهلك" وهى جزيرة بين اليمن والحبة، كان بنو أمية ينفون إليها من=

رضى الله عنه، وكل واحد منا يدل عليه بسابقة وإخاء قديم، ونحن لا نشك أن سيشركننا في خلافته، فلما رفعت لنا أعلام خناصرة<sup>(١)</sup>، لقينا مسلمة بن عبد الملك، وهو يومئذ فتى العرب، فسلمنا فرد، ثم قال: أما بلغكم أن إمامكم لا يقبل الشعر؟ قلنا: ما توضح إلينا خبر حتى انتهينا إليك. ووجمنا وجمه عرف ذلك فينا. فقال: إن يك ذو دين بنى مروان قد ولى وخشيتم حرمانه، فإن ذا دنيانا قد بقى، ولكم عندي ما تحبون، وما ألبت حتى أرجع إليكم وأمنحكم ما أنتم أهله.

فلما قدم كانت رحالنا عنده بأكرم منزل وأكرم منزل عليه؛ فأقمنا عنده؛ أربعة أشهر يطلب لنا الإنان هو وغيره، فلا يؤذن لنا؛ إلى أن قلت في جمعة من تلك الجمع لو أنى دنوت من عمر فسمعت كلامه فحفظته كان ذلك رأياً. ففعلت، فكان مما حفظت من كلامه: "كل سفر زاد لا محالة، فتزدودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة بالتقوى، وكونوا كمن عاين ما أعد الله له من ثوابه أو عقابه، فترغبوا وترهبوا، ولا يطولن عليكم الأمد فتفسد قلوبكم وتتقادوا لعدوكم في كلام كثير لا أحفظه. ثم قال: "أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى عنه نفسي، فتخسر صفقتي، وتظهر عيشتي، وتبدو مسكنتي، في يوم لا ينفع فيه إلا الحق والصدق!" ثم بكى حتى ظننت أنه قاض نحبه، وارتج المسجد وما حوله بالبكاء، وانصرفت إلى صاحبي فقلت لهما: خذا في شرج<sup>(٢)</sup> من الشعر غير ما كنا نقول لعمر وأبائه؛ فإن الرجل آخرى وليس بدنيوى.

إلى أن استأنن لنا مسلمة في يوم جمعة بعد ما أذن للعامة. فلما دخلت سلمت ثم قلت: يا أمير المؤمنين، طال الثواء وقلت الفائدة وتحديث

---

سيخطون عليه، لقب بالأحوص لضيق في مؤخر عينيه أخبره كثيرة [انظر المرجعين السابقين].

(١) خناصرة: بلدة من أعمال حلب تحاذى قتسرين نو البادي.

(٢) الشرج: الضرب واللون.

بجفائك إيانا وفود العرب . قال : يا كئسير ، ( إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ  
وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي  
سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ) <sup>(١)</sup> أفي واحد من هؤلاء أنت ؟ قلت : بلى ، ابن سبيل  
منقطع به ، وأنا ضاحك . قال : ألسنت ضيف أبي سعيد ؟ قلت : بلى ، قال :  
ما أرى ضيف أبي سعيد منقطعا به . قلت : يا أمير المؤمنين ، أأذن لى  
فى الإنشاد ؟ قال : نعم ، ولا نقل إلا حقا . فقلت :

وَلَيْتَ فَلَمْ تَشْتُمْ عَلَيَّ وَلَمْ تُخَفِّ  
وَصَدَقْتَ بِالْفَعْلِ الْمَقَالِ مَعَ الَّذِي  
أَلَا إِنَّمَا يَكْفِي الْفَتَى بَعْدَ رِغْبِهِ  
وَقَدْ لَيْسَتْ لُبْسُ الْهَلُوكِ ثِيَابَهَا  
وَتَوْمِيضُ أَحْيَاءٍ بِعَيْنٍ مَرِيضَةٍ  
فَأَعْرَضَتْ عَنْهَا مُشْمِزًا كَاتَمًا  
وَقَدْ كُنْتُ مِنْ أَجْبَالِهَا فِي مُمْنَعٍ  
وَمَا زِلْتُ تَوَاقًا إِلَى كُلِّ غَايَةٍ  
فَلَمَّا أَتَاكَ الْمَلَكُ عَفْوًا وَلَمْ يَكُنْ  
تَرَكْتَ الَّذِي يَفْنَى وَإِنْ كَانَ مُوَبَّقًا  
وَأَضْرَرْتَ بِالْفَتَى وَشَمَّرْتَ لِلَّذِي  
وَمَالِكَ إِذْ كُنْتَ الْخَلِيفَةَ مَاتِعٍ  
سَمَا لَكَ هَمْ فِي الْفَوَاحِشِ مُؤَرَّقٍ  
فَمَا بَيْنَ شَرْقِ الْأَرْضِ وَالْغَرْبِ كُلِّهَا

بَرِيًّا وَلَمْ تَقْبَلْ إِشْلَالَ مَجْرِمٍ  
أَتَيْتَ فَأَمْسَى رَاضِيًا كُلُّ مُسْلِمٍ  
مِنَ الْأَوْدِ الْبَادِي ثِقَافَ الْمُقَوْمِ <sup>(٢)</sup>  
تَرَأَى لَكَ الدُّنْيَا بِكَفٍّ وَمِعْصَمٍ <sup>(٣)</sup>  
وَتَنَسَّمَ عَنْ مِثْلِ الْجَمَانِ الْمُنْظَمِ  
سَقَتَكَ مُؤَفًّا مِنْ سَمَامٍ وَعَلَقَمٍ <sup>(٤)</sup>  
وَمِنْ بَحْرِهَا فِي مُزِيدِ الْمَوْجِ مُفْعَمٍ  
بَلَغَتْ يَهَا أَعْلَى الْبِنَاءِ الْمُقَوْمِ  
لِطَلِّبِ دُنْيَا بَعْدَهُ مَنْ تَكَلَّمَ  
وَأَثَرَتْ مَا بَيَقَى بِرَأْيِ مُصْطَمٍ  
أَمَامَكَ فِي يَوْمٍ مِنَ الْهَوْلِ مُظْلِمٍ  
سِوَى اللَّهِ مِنْ مَلٍّ رَغِيبٍ وَلَا دَمٍ  
بَلَغَتْ بِهِ أَعْلَى الْمَعَالِي بِسَلَمٍ  
مُنَادٍ يَنَادِي مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمٍ

(١) سورة التوبة الآية : ٦٠ .

(٢) الزيم : الضلال . الأود : الأعوجاج . الثقاف : المجالدة بالسلاح . المقوم : اسم فاعل

من قوم المعوج : عدله وأزال عوجه .

(٣) الهلوك من النساء : الفاجرة المتساقطة على الرجال .

(٤) المنفوف : الممزوج . السمام : السم .

يَقُولُ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ظَلَمْتَنِي      بِأَخْذِ لَيْسَانٍ وَلَا أَخْذِ بَرِّهِمْ  
وَلَا بَسْطِ كَفٍّ لِأَمْرِي غَيْرِ مُجْرِمٍ      وَلَا السَّفْكَ مِنْهُ ظَالِمًا يَلْءُ مَحْجَمٍ  
وَلَوْ بَسْطَطِيْعُ الْمُسْلِمُونَ لَقَسَمُوا      لَكَ الشُّطْرَ مِنْ أَعْمَارِهِمْ غَيْرِ نَدَمٍ  
قَارِبِخَ بِهَا مِنْ صَفْقَةٍ لِمُبَايَعٍ      وَأَعْظَمَ بِهَا أَعْظَمَ بِهَا ثُمَّ أَعْظَمَ

• • • • •

قال: فأقبل على وقال: إنك مسنول عما قلت. ثم تقدم الأصوص فاستأذنه في الإنشاد، فقال: قل، ولا نقل إلا حقا. فقال:

وَمَا الشَّعْرُ إِلَّا جِحْمَةٌ مِنْ مَوْلَى      يَمْنُطِي حَقًّا أَوْ يَمْنُطِي بِسَاطِلٍ  
فَلَا تَقْبَلَنَّ إِلَّا الَّذِي وَافَقَ الرِّضَا      وَلَا تَرْجِعْنَا كَالنِّسَاءِ الْأَوَائِلِ  
رَأَيْنَاكَ لَمْ تَعِزَّ عَنِ الْحَقِّ يَمْنَةً      وَلَا شَامَةً فَعَلَ الظُّلُومُ الْمُخَايِلِ<sup>(١)</sup>  
وَلَكِنْ أَخَذْتَ الْحَقَّ جَهْدَكَ كُلَّهُ      وَتَقَفُوا مِثَالَ الصَّالِحِينَ الْأَوَائِلِ  
فَقُلْنَا وَلَمْ نَكْذِبْ بِمَا قَدْ بَدَأَ لَنَا      وَمَنْ ذَا يَرُدُّ الْحَقَّ مِنْ قَوْلِي قَائِلِ  
وَمَنْ ذَا يَرُدُّ السَّهْمَ بَعْدَ مَضَائِهِ      عَلَى فَوْقِهِ إِذْ عَارَ مِنْ نَزْعِ نَائِلِ<sup>(٢)</sup>  
وَلَوْلَا الَّذِي قَدْ عَوَّدْتَنَا خِلَافَ      غَطَارِيفَ كَاتُوا كَالثِيُوثِ الْبَوَاسِلِ  
لَمَّا وَخَدْتَ شَهْرًا بِرَحْلِي مَلَّةً      تَقْدُ مَتَانِ الْبَيْدِ بَيْنَ الرَّوَاكِيلِ<sup>(٣)</sup>  
وَلَكِنْ رَجَوْنَا مِنْكَ مِثْلَ الَّذِي بِهِ      حُبِينَا زَمَانًا مِنْ ذَوِيكَ الْأَوَائِلِ  
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِلشَّعْرِ عِنْدَكَ مَوْضِعٌ      وَإِنْ كَانَ مِثْلَ الدَّرِّ فِي نَظْمِ قَائِلِ  
وَكَانَ مَصِيبًا صَادِقًا لَا يَعْيبُهُ      سِوَى أَنَّهُ يَبْنَى بِنَاءَ الْمَنَازِلِ  
فَإِنْ لَنَا قُرْبَى وَمَحْضُ مَوَدَّةٍ      وَمِيرَاثُ آبَاءٍ مَشَاوَا بِالْمَنَاصِلِ  
فَذَادُوا عَدُوَّ السَّلَامِ عَنْ غُفْرِ دَارِهِمْ      وَأَرْسَلُوا عَمُودَ الدِّينِ بَعْدَ التَّمَايِلِ

(١) شامة: بكرة عكس يمنة. المخايل: الغادر.

(٢) عار السهم: لم يعرف راميهِ ومن أين أتى.

(٣) وخذت: أسرعت، وملة: الناقة السريعة.

وَقَبْلَكَ مَا أَعْطَى الْهَيْدَةَ جَلَّةً عَلَى الشَّعْرِ كَعْبًا مِنْ سَدِيسٍ وَبَزَلٍ<sup>(١)</sup>  
رَسُولُ إِلَهِ الْمُسْتَضَاءِ بِنُورِهِ عَلَيْهِ سَلَامٌ بِالصُّحَى وَالْأَصْقِلِ

فقال: إنك مسئول عما قلت. ثم تقدم نصيب فاستأذنه في الإنشاد فلم يأذن له، وأمره بالغزو إلى دابق<sup>(٢)</sup>. فخرج إليها وهو محموم. وأمر لى بثمائة، وللأحوص بمثلها، ولنصيب بمائة وخمسين.

\*\*\*\*\*

## ٧- وفود الشعراء على عمر بن عبد العزيز

### رضى الله عنه

ابن الكلبي:

لما استخلف عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه، وفدت إليه الشعراء كما كانت تفتد إلى الخلفاء قبله؛ فأقاموا ببابه أياما لا يأذن لهم بالدخول، حتى قدم عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود<sup>(٣)</sup> على عمر بن عبد العزيز، وعليه عمامة قد أرخى طرفيها، وكانت له منه مكانة، فصاح به جريز:

(١) الهيدة: اسم للمائة من الأبل، وقيل: اسم لها ولغيرها. ويريد بكعب: كعب بن زهير. السديس من الإبل: ما دخل في السنة الثامنة. واليازل: الذى فطرنه به، أى انشق، ويكون ذلك في السنة التاسعة.

(٢) دابق: قرية قرب حلب بينهما أربعة فراسخ.

(٣) هو عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي (١١٥-١٠٠هـ) خطيب رابوة ناسب، شاعر كان من أدب أهل المدينة. وسكن الكوفة، واشتهر فيها بالعبادة والقراءة وكان يقول بالإرجاء (المرجئة: فرقة إسلامية لا يحكمون على أحد من المسلمين بشئ بل يرجئون الحكم إلى يوم القيامة. ومن أقوالهم: "إنه لا يضر مع الإيمان معصية، ولا ينفع مع الكفر طاعة")، ثم رجع خرج مع ابن الأشعث ثم هرب وصحب عمر بن عبد العزيز في خلافته (راجع الأعلام للزركلي والمعجم الوسيط مادة: رجا).



يَأْبِهَا الرَّجُلُ الْمَرْحَى عِمَامَتَهُ      هَذَا زَمَانُكَ إِنِّي قَدْ مَضَى زَمَنِي  
أَبْلِغْ خَلِيفَتَنَا إِنْ كُنْتَ لَاقِيَهُ      أَتَى لِي الْبَابُ كَالْمَصْفُودِ فِي قَرْنٍ (١)  
وَحَشَّ الْمَكَاتِمِينَ أَهْلِي وَمِنْ وَلَدِي      نَأَى الْمَحَلَّةِ عَنِ دَارِي وَعَنْ وَطَنِي

قال: نعم أبا حزره ونعمي عين. فلما دخل على عمر قال: يا أمير المؤمنين، إن الشعراء ببابك؛ وأقولهم باقية؛ وسنانهم مسنونة. قال: يا عون ما لي وللشعراء؟ قال: يا أمير المؤمنين، إن النبي صلى الله عليه وسلم قد مُدِّحٌ وأعطى، وفيه أسوة لكل مسلم. قال: ومن مدحه؟ قلت: عباس بن مرداس؛ فكساه حلة قطع بها لسانه. قال: وتروى قوله؟ قلت: نعم:

رَأَيْتُكَ يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا      نَشَرْتُ كِتَابًا جَاءَ بِالْحَقِّ مَطْمَئِنًا  
وَنُورَتْ بِالْبَرْهَانِ أَمْرًا مَدْمَسًا      وَأَطْفَأَتْ بِالْبَرْهَانِ نَارًا مُضَرَّمًا (٢)  
فَمَنْ مَبْلُغٌ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدًا      وَكُلَّ امْرِئٍ يُجْزَى بِمَا قَدْ تَكَلَّمَ  
تَعَالَى غُلُوقًا فَوْقَ عَرْضِ الْهِنَا      وَكَانَ مَكَانُ اللَّهِ أَعْلَى وَأَعْظَمًا

\*\*\*\*\*

قال: صدقت؛ فمن بالباب منهم؟ قال: ابن عمك عمر بن أبي ربيعة. قال: لا قرب الله قرايبه، ولا حيا وجهه! أليس هو القائل:  
أَلَا لَيْتَ أَنِّي يَوْمَ حَلَلْتُ مَنِيَّتِي      شَمَمْتُ الَّذِي مَا بَيْنَ عَيْنَيْكَ وَالْقَمِيمِ  
وَلَيْتَ طَهُورِي كَانَ رِيْقِكَ كُلِّهِ      وَلَيْتَ حَنَوطِي مِنْ مُشَابِكِ وَالْدَمِّ (٣)  
وَيَا لَيْتَ سَلَمِي فِي الْقُبُورِ ضَجِيعَتِي      هُنَالِكَ أَوْ فِي جَنَّةٍ أَوْ جَهَنَّمَ

(١) المصنفود في قرن: المقيد بالقيود.

(٢) مدمسا: مظلما. ومضمرما: موقدا.

(٣) الحنوط: ما يحنط به الميت والمشاشة: رأس العظم اللين الذي يمكن مضغه.

فليته والله تمنى لقاءها في الدنيا، ويعمل عملاً صالحاً. والله لا دخلَ علىَّ أبداً، فمنَّ بالباب غير من ذكرت؟ قلت: جميل بن معمر العنزي<sup>(١)</sup> قال: هو الذي يقول:

أَلَا لَيْتَنَا تَحْيَا جَمِيعاً وَإِنْ نَمُتَ      يُوَافِي لَدَى الْمَوْتِ ضَرِيحِي ضَرِيحُهَا  
فَمَا أَنَا فِي طَوْلِ الْحَيَاةِ بِرَاغِبٍ      إِذَا قِيلَ قَدْ سَوَى عَلَيْهَا صَفِيحُهَا  
أَظَلُّ نَهَارِي لَا أَرَاهَا وَيَلْتَقِي      مَعَ اللَّيْلِ رُوحِي فِي الْمَنَامِ وَرُوحُهَا

اعزب به؛ فو الله لا دخلَ علىَّ أبداً. فمنَّ غير من ذكرت؟ قلت: كثير عزة. قال: هو الذي يقول:

رُفْبَانُ مَدِينٍ وَالَّذِينَ عَهْدَتْهُمْ      يَبْكُونَ مِنْ حَزَنِ الْعَذَابِ قُعُودَا  
لَوْ يَسْمَعُونَ كَمَا سَمِعْتَ حَدِيثُهَا      خَرُّوا لِعِزَّةِ رَاكِعِينَ سُجُودَا

اعزب به. فمنَّ بالباب غير من ذكرت؟ قلت: الأصوص الأنصاري. قال: أبعدَه الله ومحَقَّه، أليس هو القائل وقد أفسدَ على رجلٍ من أهل المدينة جارية هرب بها منه: الله بُيِّنَيسِي وَبَيِّنَنَّ سَيِّدِهَا      يَفِرُّ عَنِّْي بِهَا وَاتَّبَعَ

اعزب به. فمنَّ بالباب غير من ذكرت؟ قلت: همام بن غالب الفرزدق. قال: أليس هو القائل يفخر بالزنا:

(١) هو جميل بن عبد الله بن معمر العنزي (٨٢٠ - ٨٢ هـ) شاعر من عشاق العرب المشهورين بعذريتهم. افتتن ببينته من فتيات قومه فتناقل الناس أخبارهما، فصار يعرف بجميل بينة. شعره ينوب رقة وأكثره يدول حول النسب والفزل العنزي والفخر. وأقل ما فيه في المدح. قصد جميل مصر وافداً على عبد العزيز ابن مروان فأكرمه، وأمر له. بمنزل فأقام قليلاً ومات فيه (انظر الأعلام للزركلي).

هَمَّا دَلَّتَانِي مِنْ ثَمَاحِينَ قَامَةً      كَمَا انْقَضَ بَارَاقَتُمُ الرِّيشَ كَاسِيرَةً  
فَلَمَّا اسْتَوَتْ رِجْلَايَ فِي الْأَرْضِ قَالَتَا      أَحْيَى يَرْجَى أَمْ قَتِيلٌ نَحَازِرَةً  
وَأَصْبَحْتُ فِي الْقَوْمِ الْجُلُوسَ وَأَصْبَحْتُ      مَغْلَقَةً دُونِي عَلَيْهَا دَسَاكِرُهُ (١)  
فَعَلْتُ ارْفَعُوا الْأَسْبَابَ لَا يَشْعُرُوا بِنَا      وَوَلَيْتُ فِي أَعْقَابِ لَيْلٍ أَبَادِرَةً

اعزب به . فوالله لا دخل على أبدأ، فمن بالباب غير من ذكوت؟

قلت: الأخطل التغلبي . قال: أليس هو القائل:

فَلَسْتُ بِصَائِمٍ رَمَضَانَ عُمَرَى      وَلَسْتُ بِأَكْلٍ لَحْمِ الْأَضَاحِي  
وَلَسْتُ بِزَاجِرٍ عَسًا بِكُورًا      إِلَى بَطْحَاءِ مَكَّةَ لِلتَّجَاحِ  
وَلَسْتُ بِقَائِمٍ كَالْعِيرِ يَدْعُو      قُبَيْلَ الصُّبْحِ حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ  
وَلَكِنِّي سَاشَرْتُهَا شَمُولًا      وَأَسْجُدُ عِنْدَ مُنْبَلِّحِ الصَّبَاحِ

اعزب به . فوالله لا وطىء لى بساطا أبداً وهو كافر؛ فمن بالباب

غير من ذكوت؟ قلت: جرير بن الخطفي . قال: أليس هو القائل:

لَوْلَا مَرَاقِبَةُ الْعَيُونِ أَرَيْنَا      مَقَلَّ الْمَهَا وَسَوَافِ الْأَرَامِ (٢)  
هَلْ يَنْهَيْتُكَ أَنْ قَتَلَنَ مَرْقَشًا      أَوْ مَا فَعَلَنَ بَعْرُوةَ بْنِ حِزَامٍ  
نَمَّ الْمَنَازِلَ بَعْدَ مَنَزِلَةِ اللَّوَى      وَالْعَيْشَ بَعْدَ أَوْلَيْكَ الْأَقْوَامِ  
طَرَفَتِكَ صَائِدَةُ الْقُلُوبِ وَلَيْسَ ذَا      حِينَ الزَّيَارَةِ فَارْجِعِي بِسَلَامٍ

فإن كان ولا بد فهذا . فأذن له؛ فخرجت إليه فقلت: ادخل أبا

حزرة . فدخل وهو يقول:

(١) الدساكر: القرى، أو أبنية يتخذها الملوك يكون فيها الشراب واللهم .  
(٢) الأرام: الغزان .

إِنَّ الَّذِي بَعَثَ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا  
وَسَيِّعَ الْخَلَائِقِ عَذْلَهُ وَوَفَاؤُهُ  
وَاللَّهُ أَنْزَلَ فِي الْقُرْآنِ فَرِيضَةً  
إِنِّي لَأَرْجُو مِنْكَ خَيْرًا عَاجِلًا  
جَعَلَ الْخِلَافَةَ فِي إِمَامٍ عَاجِلٍ  
حَتَّى ارْتَعَوَى وَأَقَامَ مِثْلَ الْمَائِلِ  
لِابْنِ السَّبِيلِ وَلِلْفَقِيرِ الْعَاجِلِ  
وَالنَّفْسِ مَوْلَعَةً يَحُبُّ الْعَاجِلِ

فلما مثل بين يديه قال: اتق الله يا جرير ولا تقل إلا حقا. فأنشأ يقول:

كَمْ بِالْإِمَامَةِ مِنْ شَعَاءَ أَرْمَلَةٍ  
يَمْتَنُ يَعُدُّكَ تَكْفِي فَقَدْ وَإِلَيْهِ  
يَدْعُوكَ دَعْوَةً مَلْهُوفٍ كَانَ بِهِ  
خَلِيفَةَ اللَّهِ مَاذَا تَأْمُرَنَّ بِنَا  
مَا زِلْتُ بِعَدِكَ فِي هَمٍّ يُوْرِقُنِي  
لَا يَنْفَعُ الْحَاضِرَ الْمَجْهُودُ بِأَدِينَا  
إِنَّا لَنَرْجُو إِذَا مَا الْغَيْثُ أَخْلَفْنَا  
نَالِ الْخِلَافَةَ إِذْ كَاتَبْتَ لَهُ قَدْرًا  
هَذِي الْأَرَامِلُ قَدْ قَضَيْتَ حَاجَتَهَا  
وَمِنْ يَتِيمٍ ضَعِيفِ الصَّوْتِ وَالنَّظَرِ  
كَالْفَرَخِ فِي الْعُشِّ لَمْ يَنْهَضْ وَلَمْ يَطِيرِ  
خَبَلًا مِنَ الْجَنِّ أَوْ مَسًّا مِنَ الْبَشَرِ<sup>(١)</sup>  
لَسْنَا إِلَيْكُمْ وَلَا فِي دَارٍ مُنْتَظَرِ<sup>(٢)</sup>  
قَدْ طَالَ فِي الْحَيِّ إِصْنَعَادِي وَمُنْحَدِرِي  
وَلَا يَعُودُ لَنَا بَلَدٌ عَلَى حَضَرِ  
مِنَ الْخَلِيفَةِ مَا نَرْجُو مِنَ الْمَطَرِ  
كَمَا أَتَى رَبِّي مُوسَى عَلَى قَدَرِ  
فَمَنْ لِحَاجَةٍ هَذَا الْأَرْمَلِ الذَّكَرِ

فقال: يا جرير، والله لقد وليت هذا الأمر وما أملك إلا ثلثمائة،  
فمائة أخذها عبد الله، ومائة أخذتها أم عبد الله، يا غلام أعطه المائة  
الباقية.

(١) الخيل: الفساد والجنون، والمسن: الجنون.  
(٢) دار منتظر: دار إقامة.

فقال: والله يا أمير المؤمنين، إنها لأحب مال إلى كسبته. ثم خرج، فقالوا له: ما وراءك؟ قال: ما يسوءكم! خرجت من عند أمير يعطى الفقراء ويمنع الشعراء، وإنى عنه لراض. ثم أنشأ يقول:

رَأَيْتُ رُقَى الشَّيْطَانِ لَا تَسْتَفِزُّهُ      وَقَدْ كَانَ شَيْطَانِي مِنَ الْجِنِّ رَاقِبًا<sup>(١)</sup>

## ٨- وفد أهل الحجاز على عمر بن عبد العزيز<sup>(٢)</sup>

ذكر بعض الرواة أنه لما استخلف عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - قدم عليه وفود أهل كل بلد، فتقدم إليه وفد أهل الحجاز فأشرب<sup>(٣)</sup> منهم غلام للكلام.

فقال عمر: يا غلام ليتكلم من هو أسن منك.

فقال الغلام: يا أمير المؤمنين. إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه فإذا منح الله عبده لساناً لافظاً، وقلباً حاضلاً فقد أجاد له الاختيار، ولو أن الأمور بالسن لكان ما هنا من هو أحق بمجلسك منك.

فقال عمر: صدقت. تكلم فهذا السحر الحلال.

فقال (الغلام): يا أمير المؤمنين. نحن وفد التهنية، لا وفد المرزنة<sup>(٤)</sup>، ولم تقدمنا إليك رغبة ولا رهبة، لأننا قد أمنا في أيامك ما خفنا، وأدركنا ما طلبنا.

فسأل عمر عن سن الغلام، فقليل: عشر سنين.

(١) الرقى: كناية عن الشعر، أى ينظمه الشعراء من أجل حث الممدوح على العطاء، والرقى: جمع رقية: العودة التى يرقى بها المريض ونحو.

(٢) زهر الآداب وثمر الألباب، الحصرى ص ٧ دار الفكر العربى ط ٢ / دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبي.

(٣) اشرب: تطلع.

(٤) المرزنة: طلب العطاء.

### ثالثاً: الوفادة في عصر الدولة العباسية

١- وقود أشجع السلمي على الرشيد:

قال: حدثني أشجع السلمي: قال:

شخصت من البصرة إلى الرقة، فوجنت الرشيد غازيا، ونالنتي خلة، فخرجت حتى لقيته منصرفا من الغزو. وكنت قد اتصلت ببعض أهل داره، فصاح صائح ببابه، من كان ها هنا من الشعراء، فليحضر يوم الخميس، فحضرنا سبعة وأنا ثامنهم، وأمرنا باليكور في يوم الجمعة فبكرنا وأدخلنا، وقدم واحد واحد منا ينشد على الأسنان، وكنت أحدث القوم سنا، وأرثهم حالا، فما بلغ إليّ حتى كنت الصلاة أن تجب، فقدمت والرشيد على كرسی، وأصحاب الأعمدة بين يديه سباطان، فقال لي: أنشدني. فخفت أن أبتدئ من أول قصيدتي بالتشبيب، فتجب الصلاة ويفوتني ما أردت، فتركت التشبيب وأنشدته من موضع المديح في قصيدتي التي أولها (١):

وأيام يصبى الغاتيات ولا يصبو

تذكر عهد البيض وهو لها ترّب

فابتدأت قولي في المديح:

مكارمه نثر ومعروفه سكب  
له من مياه النصر مشربها العذب  
بنا فهناك الرحب والمنزل الرحب  
بغيرك ظن يستريح له القلب  
على منهج بعد افتراقهم ركب  
فلم يفهم منهم حصون ولا درب  
أنيساك حزم الرأي والصرم العضب  
وليس على من كان مجتهدا عتب

إلى ملك يستغرق المال جوّده  
وما زال هارون الرضا بن محمد  
متى تبلغ العيس المراسيل بابّه  
لقد جمعت فيك الظنون ولم يكن  
جمعت ذوى الأهواء حتى كأنهم  
بثّثت على الأعداء أبناء ربّية  
وما زلت ترميهم بهم متفردا  
جهدت فلم أبلغ علك بعد حدة

(١) الأغاني - لأبي الفرج الأصفهاني ١٨/٢١٢/٢١٣.

فضحك الرشيد، وقال لي: خِفْتُ أَنْ يَفُوتَ وَقْتُ الصَّلَاةِ فَيَنْقُطِعَ  
الْمَدِيحُ عَلَيْكَ، فَبَدَأْتُ بِهِ وَتَرَكْتُ التَّشْبِيحَ، وَأَمَرَنِي بِأَنْ أُنْشِدَهُ التَّشْبِيحَ  
فَأَنْشَدْتُهُ إِيَّاهُ، فَأَمَرَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الشُّعْرَاءِ بَعْشَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ، وَأَمَرَ لِي  
بِضَعْفِهَا .

\*\*\*\*\*

#### ٢- وفادة العتابي على المأمون :

قال ابن قتيبة (١):

هو كلثوم بن عمرو من بنى تغلب من بنى عتاب، من ولد عمرو  
ابن كلثوم التغلبي، ويكنى أبا عمرو، وكان شاعراً محسناً، وكاتباً فى  
الرسائل مجيداً، ولم يجتمع هذان لغيره، ولما أشخصه المأمون إليه، فدخل  
عليه، قال له المأمون: بلغتنى وفانك فساءعتنى، ثم بلغتنى وفادتك  
فسرتنى .

فقال العتابي: يا أمير المؤمنين . لو قسمت هذه الكلمات على أهل  
الأرض لوسعتهم، وذلك لأنه لا دينَ إلا بك، ولا دنيا إلا معك .

قال: سلنى .

قال: يذكُ بالعطاء أطلقُ من لسانى .

\*\*\*\*\*

#### ٣- وفود امرأة على المأمون:

قال ابن عبد ربه (٢):

الشيباني قال: حدثنا محمد بن زكريا عن عباس بن الفضل  
الهاشمي، عن قحطبة بن حميد قال:

(١) الشعر والشعراء ابن قتيبة ٨٦٧/٢ ٥٠ نقلا عن: الأغاني ١٢/٢-٩، تاريخ  
بغداد ٤٨٨/١٢، معجم الأنبياء ١٧/٢٦-٣١ .  
(٢) العقد الفريد تحقيق/ محمد سعيد العريان ٢٠/١ ٢١ .

إنى لواقف على رأس المأمون يوما، وقد جلس للمظالم، فكان آخر من تقدم إليه - وقد هم بالقيام - امرأة عليها هيئة السفر، وعليها ثياب رثة، فوقف بين يديه، فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. فنظر المأمون إلى يحيى بن أكنم، فقال لها يحيى: وعليك السلام يا أمة الله، تكلمى فى حاجتك. فقالت:

يا خيرَ منتصفٍ يَهْدِي له الرشدُ      ويا إماماً به قد أشرقَ البلدُ  
تَشْكُو إليك عميدَ القومِ أرملَةً      عُدِي عليها فلم يُتركْ لها سبَدُ (١)  
وابتَزَّ منى ضياعي بعدَ منعِها      ظَلَمًا وقرقَ منى الأهلُ والولدُ  
فأطرق المأمون حيناً، ثم رفع رأسه إليها وهو يقول:

فى دُونِ ما فُكِّتْ زَالَ الصبرُ والجَلْدُ  
عَنِّي وَأَفْرَحَ مِنِّي القَلْبُ والكَيْدُ  
هذا أَذَانُ صلاةِ العصرِ فاتصِرْ فى

وَأَحْضِرْى الخصمَ فى اليومِ الذى أَعِدُ  
والمجلسُ السبْتُ إنْ يُقَضَّ الجلوسُ لنا  
نُنْصِفُكَ مِنْهُ وإلا المَجْلِسُ الأَحَدُ

فلما كان يوم الأحد جلس، فكان أول من تقدم إليه تلك المرأة فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. فقال: وعليك السلام. أين الخصم؟ فقالت: الواقف على رأسك يا أمير المؤمنين وأومأت إلى العباس ابنه. فقال: يا أحمد بن أبى خالد. خذ بيده فأجلسه معها مجلس الخصوم، فجعل كلامها يعلو كلام العباس، فقال لها أحمد بن أبى خالد: يا أمة الله، إنك بين يدي أمير المؤمنين، وإنك تكلمين الأمير فاخفِضِي من صوتك، فقال المأمون: دعها يا أحمد. فإن الحق أنطقها

(١) سبد: قليل .



وأخرسه . ثم قضى لها برّد ضيعتها إليها، وظلّ العباس بظلمه لها، وأمر بالكتاب لها إلى العامل الذى ببلدها أن يوغر<sup>(١)</sup> لها صنيعتها، ويحسين معاونتها، وأمر لها بنفقة .

#### ٤- وفود إبراهيم بن المهدي على المأمون(٢):

حدثنا الأخفش قال: بلغنى أن إبراهيم بن المهدي دخل على المأمون قبل رضاه عنه، فقال: يا أمير المؤمنين . ولئى النار مُحَكَّم فى القصاص، ومن تناوله الاغترار بما مَدَّ له من أسباب الرخاء أَمِنَ عادية الدهر، وقد جعلك الله فوق كل ذى ذنب، كما جعل كل ذى ذنب دونك فإن تأخذ فيحقّك، وإن تعف فبفضلك، ثم قال:

ذَنَّبَى إِلَيْكَ عَظِيمٌ وَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْهُ  
فَخُذْ بِحَقِّكَ أَوَّلًا فَاصْفَحْ بِفَضْلِكَ عَنْهُ  
إِنْ لَمْ أَكُنْ فِيهِ فَعَالَى مِنَ الْكِرَامِ فُكُنْهُ

فقال: القُدْرَةُ تَذْهَبُ الْحَفِظَةُ، والندمُ توبة، وعَفْوُ الله بينهما، وهو أكبر ما يحاول . يا إبراهيم، لقد حَبَبْتَ إِلَى الْعَفْوِ حَتَّى خِفْتَ أَلَا أَوْجَرَ عَلَيْهِ لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكَ، بغفر الله لك، وعفا عنه، وأمر برّد مالِهِ وضياعِهِ فقال:

رَدَدْتَ مَالِي وَلَمْ تَبْخُلْ عَلَيَّ بِهِ  
فَأُبْتُ مِنْكَ وَمَا كَافَأْتَهَا بِيَدٍ  
وَقَامَ عِلْمُكَ بِي فَاحْتَجَّ عِنْدَكَ لِي  
فَلَوْ يَدَّلْتُ دِمِي أَبْغَى رِضَاكَ بِهِ  
وَقَبْلَ رَدِّكَ مَالِي قَدْ حَقَّقْتَ دِمِي  
هَمَا الْحَيَاتَانِ مِنْ وَفَرٍ وَمِنْ عَدَمٍ  
فَقَامَ شَاهِدٌ عَدْلٍ غَيْرَ مُتَهَمٍ  
وَالْمَالُ حَتَّى أَسَلَ النَّعْلَ مِنْ قَدَمِي  
إِلَيْكَ لَوْ لَمْ تَهَبَّهَا كُنْتُ لَمْ تَكْسِمِ  
مَا كَانَ ذَاكَ سَوَى عَارِيَةٍ رَجَعْتُ

(١) يوغر — يسقط الخراج عليها .

(٢) الأمالى — لأبى على القالى ٢٤٣/١ .

## من الوفادات على أبي جعفر المنصور<sup>(١)</sup>

أبو الحسن المدائني قال: لما حج المنصور مر بالمدينة، فقال للربيع الحاجب: على جعفر بن محمد . قتلني الله إن لم أقتله . فمطل به، ثم ألح عليه فحضر، فلما كشف الستر بينه وبينه، ومثل بين يديه، همس جعفر بشفتيه: ثم تقرب وسلم . فقال (المنصور): لا سلم الله عليك يا عدو الله، تعمل على الغوائل في ملكي؟ قتلني الله إن لم أقتلك .

قال: يا أمير المؤمنين . إن سلمان — صلى الله على محمد وعليه — أعطى فشكر، وإن أيوب ابتلى فصبر، وإن يوسف ظلم فغفر، وأنت على إرث منهم، وأحق من تأسى بهم، فنكس أبو جعفر رأسه ملياً، وجعفر واقف، ثم رفع رأسه فقال: إلى أبا عبيد الله . فأنت القريب القرابة، وذو الرحم الواشجة، السليم الناحية، القليل الغائلة . ثم صافحه بيمينه، وعانقه بشماله، وأجلسه معه على فراشة، وانحرف له عن بعضه وأقبل عليه بوجهه يحادثه ويسأله .

ثم قال: يا ربيع، عجل لأبي عبد الله كسوته وجائزته وإذنه . قال الربيع: فلما حال الستر بيني وبينه أمسكت بثوبه، فقال: ما أرانا يا ربيع إلا وقد حبسنا . فقلت: لا عليك . هذه منى لا منه . فقال: هذه أيسر، سل حاجتك . فقلت له: إني منذ ثلاث أنفـع عنك، وأداري عليك، ورأيتك إذ دخلت همست بشفتيك، ثم رأيت الأمر انجلي عنك، وأنا خادم سلطان ولا غنى لى عنه، فأحب أن تعلمنيه .

قال: نعم . قلت: "اللهم احرسني بعينك التي لا تنام، واكفني بحفظك الذي لا يرام، ولا أهلك وأنت رجائي، فكم من نعمة أنعمتها علي، قل لك

عندها شكرى فلم تحرمنى، وكم من بلية ابتليت بها قل عندها صبرى فلم  
تخذلى، بك أدرأ فى نحره، وأستعيذ بخيرك من شره، فإنك على كل شئ  
قدير، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم".

### حديث أبى جعفر المنصور مع واعد من أهل الشام<sup>(١)</sup>

وحدثنا عمر بن شبة قال: حدثنى يحيى قال: حدثنى رجل من ولد  
خزيمة بن يحيى قال: قدم رجل من أهل الشام من بنى مرة على أبى  
جعفر المنصور، فتكلم معه كلاما حسنا فقال له أبو جعفر: حاجتك؟ فقال:  
بيبيك الله يا أمير المؤمنين. قال: حاجتك فإنه ليس كل ساعة يمكنك هذا  
ولا تؤمر به؟

فقال: والله ما أستقصر عمرك، ولا أخاف بخلك، ولا أغتتم مالك،  
وإن سؤلك لشرف، وإن عطاك لزين، وما بامرئ بذل وجهه إليك نقص  
ولا شين.

فقال أبو جعفر: يا ربيع. لا ينصرف من مقامه إلا بمائة ألف  
درهم. فحملت معه.

### وفادة ابن عتبة على المهدي<sup>(٢)</sup>

ولما توفي المنصور، دخل ابن عتبة مع الخطباء على المهدي،  
فسلم ثم قال: أجر الله أمير المؤمنين على أمير المؤمنين قبله، وبارك  
لأمير المؤمنين فيما خلفه له أمير المؤمنين بعده، فلا مصيبة أعظم من  
فقد أمير المؤمنين، ولا عقى أفضل من ورائه مقام أمير المؤمنين، فاقبل  
يا أمير المؤمنين من الله أفضل العطية، واحتسب عند الله أعظم الرزية.

(١) النوادر ٢٤٧.

(٢) الآمالى ١/١٩٢.

### وفد الشام إلى المنصور<sup>(١)</sup>

قدم على أبي جعفر المنصور وفد من أهل الشام بعد انهزام عبدالله بن علي، وفيهم: الحارث بن عبد الرحمن الغفاري، فتكلم جماعة منهم، ثم قام الحارث فقال: يا أمير المؤمنين . إنا لسنا وفد مباهاة، ولكننا وفد توبة استخففت حليمتنا فنحن بما قدمنا معترفون، وبما سلف منا معترفون، فإن تعاقبنا فيما أجرمنا، وإن تعف عنا فطالما أحسنت إلى من أساء .

فقال المنصور: أنت خطيب القوم، ورد عليه ضياعه بالغبطة .  
وقال رجل من أهل الشام للمنصور: يا أمير المؤمنين . من انتقم فقد شفى غيظه وانتصف، ومن عفا تفضل، ومن أخذ حقه لم يجب شكره ولم يذكر فضله، وكظم الغيظ حلم، والتشفى طرف من الجزع ولم يمدح أهل التقى والنهى من كان حليما بشدة العقاب، ولكن بحسن الصفح والاعتذار وشدة التغافل .

وبعد، فالمعاقب مستدع لعداوة أولياء المعتصم والعافى مسترع لشكرهم آمن من مكافأتهم، ولأن ينثى عليك باتساع الصدر خير من أن توصف بضيقه، على أن إقالتك عثرات عباد الله موجب لإقالة عثرتك من ربهم، وموصول بعفوه، وعقابك إياهم موصول بعقابه . قال الله عز وجل: خُذِ الْعَفْوَ، وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ، وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ<sup>(٢)</sup>.

(١) زهر الأدب — الحصري ٧٨٣/٢ ، و/العقد الفريد — ابن عبد ربه ٢٦/١ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية رقم ١٩٩ .

## الفصل الثالث

### **نماذج من الرسائل التي حملها سفراء النبي (ص)**

سبق أن استعرضت سفراء النبي — صلى الله عليه وسلم — الذين بعثهم إلى الملوك والزعماء، وكما أوردت ما ذكره صاحبه (نهاية الأرب) من أنه — صلى الله عليه وسلم — أرسل ستة من هؤلاء الرسل إلى ستة من الملوك " (١) وكان ذلك في شهر المحرم من السنة السابعة لهجرته الشريف. ونتناول هنا — الرسائل التي حملها كل سفير .

١- عمرو بن أمية الضمري: (عمرو بن أمية بن خويلد بن

عبدالله بن إياس بن عبدالله ناشرة بن كعب) (٢) .

"كان أول سفرائه عليه الصلاة والسلام . . . . وأرسله إلى النجاشي ملك الحبشة الذي استجاب لدعوة الإسلام، كتب معه كتابين يدعو في أحدهما إلى الإسلام، ويتلو عليه القرآن، فأخذ النجاشي كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم — فوضعه على عينيه، ونزل عن سريره، فجلس على الأرض ثم أسلم، وشهد شهادة الحق، وقال: لو كنت أستطيع أن آتيه لأتيته، وكتب إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بإجابته وتصديقه وإسلامه على يدى جعفر بن أبي طالب" (٣) .

وجاء في رسالته الأولى صلى الله عليه وسلم التي يدعو فيها إلى

الإسلام:

بسم الله الرحمن الرحيم .

من محمد رسول الله . إلى النجاشي ملك الحبشة .

(١) نهاية الأرب ١٨/١٥٧ ، سفراء النبي ٣٧ ، زاد المعاد ٢٤٣ ، السيرة النبوية ٤٤٩/٤ والسيرة النبوية ط بيروت ٦٠٧ .

(٢) زاد المعاد ٢٣٧ ، الطبقات الكبرى ابن سعد ٢/٢٩٩ السيرة النبوية ط بيروت ٦٠٧ .

(٣) نهاية الأرب ١٨/١٥٧ ، سفراء النبي ٣٣ ، السيرة النبوية ٤٤٩/٤ .

أما بعد، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس  
لسلام المؤمنين المهيمين . وأشهد أن عيسى بن مريم . روح الله وكلمته  
ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحسنة، فحملت بعيسى، فخلقه من روحه  
ونفخه كما نفخ آدم بيده، وإني أدعوك إلى الله وحده، لا شريك له .  
والموالة على طاعته، وأن تتبعني، وتؤمن بالذي جاعني، فإني رسول  
الله، وإني أدعوك وجنودك إلى الله تعالى، وقد بلغتُ ونصحتُ، فاقبلوا  
نصيحتي . وقد بعثت فيكم ابن عمي جعفرا، ومعه نفر من المسلمين  
والسلام على من اتبع الهدى<sup>(١)</sup> .

وهذا المکتوب "قد ظفر المستشرق الإنجليزي (دنلوب) بأصله  
المکتوب، ونشر صورته الشمسية في مجلة (الجمعية الملكية  
الأسبانية) {JRAS} الإنجليزية في شهر يناير سنة ١٩٤٠م<sup>(٢)</sup> .

وفي الكتاب الثاني يأمره أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان بن  
حرب، وكانت قد هاجرت إلى أرض الحبشة مع زوجها عبدالله بن جحش  
الأسدي، فتتصر هناك ومات . وأمره رسول الله - صلى الله عليه وسلم  
- أن يبعث إليه من قبيلة من أصحابه الذين هاجروا إلى الحبشة، وأن  
يحملهم، ففعل، وزوج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أم حبيبة  
وأصدقها أربع مائة دينار، وأمر بجهاز المسلمين وما يصلحهم، وحملهم  
في سفينتين مع عمرو بن أمية . وجعل كتابي رسول الله - صلى الله  
عليه وسلم - في حق من عاج<sup>(٣)</sup> .

والملاحظ أن النجاشي، كان يتبع قيصر الروم، أو تحت سيطرته  
ولكن قيصر رفض دعوة النبي - صلى الله عليه وسلم - له إلى  
الإسلام، وأبى الإجابة، ورد دعوته، وكذلك فعل كسرى، وهذا ما دعا

(١) سفراء النبي عليه السلام ٣٣ د . مختار الوكيل .

(٢) الكتابة والكتاب في عهد الرسول (ص) ٣٧ د . محمد جمعه .

(٣) نهاية الأرب ١٥٧/١٨، ١٥٨ .

النبي — صلى الله عليه وسلم — إلى مكاتبة مَنْ تحتكما من الحكام كنجاشي الحبشة<sup>(١)</sup>، الذي أنار الله بصيرته، وهَدَاهُ إلى الإسلام.

وكان النجاشي قد استقبل المهاجرين الأوائل من المسلمين الذين فرَّوا من ظلم وتعسف أهل مكة، فأحسنَ وقادتهم وأكرمهم، وسمِعَ منهم القرآن الكريم، حين واجهوا وفد قريش الذين ذهبوا إلى الحبشة، لإبغاث صدر النجاشي على المسلمين وإعادتهم إلى مكة. فاقتنع النجاشي بما جاء في القرآن الكريم، وقال قولته المشهورة: إن ما جاء به هذا القرآن — وما جاء به عيسى، ليخرجان من مشكاة واحدة.

وأرى أن هذه البذرة الإيمانية عند النجاشي أبنت وأثمرت وأتت أكلها يوم وصلته رسالة النبي — صلى الله عليه وسلم — يدعوه إلى الإسلام، فسارع ملبياً دعوة التوحيد، وقال: "أشهد بالله أنه النبي الأمي الذي ينتظره أهل الكتاب، وأن بشاره موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل"<sup>(٢)</sup>.

## ٢- السفير دحية الكلبي:<sup>(٣)</sup> {دحية بن خليفة بن فروة بن فصالة

ابن زيد بن امرئ القيس بن الخزرج"<sup>(٤)</sup> .

بعثه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إلى قيصر ملك الروم وكتب إليه:

"بسم الله الرحمن الرحيم .

من محمد بن عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم .

سلام على من اتبع الهدى .

(١) الكتابة والكتاب في عهد الرسول (ص) ٣١ د . محمد جمعة .

(٢) سفراء النبي (ص) ٣٤ .

(٣) نهاية الأربع ١٨/١٥٨، البداية والنهاية ١٥/، سفراء النبي ١٨، ١٧ .

(٤) زاد المعاد ٢٣٩ وانظر زاد المعاد ١١٣، السيرة النبوية ط بيروت سنة ٦٠٧ .

أما بعد — فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك  
رتين، فإن توليت فإنما عليك إثم اليريسيين (١) و"يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا  
فِي كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ، وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَلَا يَتَّخِذَ  
فَضْلًا بَعْضُنَا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا  
سَلَمُونَ" (٢) .

وقد حاول هرقل أن يثبت من صحة نبوة محمد — صلى الله عليه  
سلم — فطلب من أبي سفيان بن حرب وركب من قريش — وكانوا في  
نجارة بالشَّام — أن يوافوه في قصره، فحضروا إليه، ودار بينهم نقاش  
توصل هرقل من خلاله إلى صحة رسالة محمد، وحاول أن يختبر مدى  
قبول أساقفته ورهبانه للإسلام، ولكنه وجد منهم نفورا وعنادا، فمالأهم  
على كفرهم، حتى مات .

ووردت كتابات بأن (هرقل) قيصر الروم وضع كتاب النبي (ص)  
في قصبة ذهب تعظيما له، وأنهم لا يزالون يتوارثونه كابرا عن كابر في  
أرفع محراب وأعز مكان، حتى كان عند (ادفونش) الذي تغلب على  
طليطلة وما أخذ من بلاد الأندلس، ثم كان عند ابن بنته المعروف بابن  
(السلطنة) (٣) .

٣- عبد الله بن حذافة السهمي (عبد الله بن حذافة بن قيس بن

عدي بن سعد بن سهم بن عمرو بن حصيص (٤) .

(١) اليريسيين: المقصود: الفلاحون والزارعون (أي: جميع الرعية) .

(٢) سورة آل عمران الآية ٦٤ .

(٣) زاد المعاد ٢٤١ .



بعثه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إلى كسرى ملك  
الفرس<sup>(١)</sup> يدعو إلى الإسلام، وأرسل معه كتابا هذا نصه: <sup>(٢)</sup>  
"بسم الله الرحمن الرحيم .  
من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس .

سلام على من اتبع الهدى، وأمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا  
الله وحده، لا شريك له . وأن محمدا عبده ورسوله، وأدعوك بدعاية الله  
— عزوجل — فأني رسول الله إلى الناس كلهم، لأنذر من كان حيا ويحق  
القول على الكافرين . أسلم تسلم، فإن توليت، فعليك إثم المجوس" .  
وقد حمل هذا الكتاب العظيم إلى كسرى، السفير النبوي الكريم  
عبد الله بن حذافة السهمي . فلما قرئ على كسرى، أخذته العزة بالإثم  
وغره سلطانه وجبروته، وأمسك بالرسالة النبوية الشريفة ومزقها .

فلما بلغ ذلك رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال كلمته  
الخالدة: "مَرْقُ مُلْكُهُ" . وقد صدق قول رسول الله — صلى الله عليه وسلم —  
وسلم .

قال عليه الصلاة تعليقاً على ذلك: "أما هؤلاء (يعني الفرس)  
فيمزقون" . . . . .<sup>(٣)</sup>

وقد زعم د/ محمد جمعه في كتابه<sup>(٤)</sup> أن هذا الكتاب "موجود الآن  
في خزانة كتب خاصة ملك السيد/ هنري فرعون، وفضل الاكتشاف يعود  
إلى الدكتور/ صلاح الدين المنجد" وأرى عدم صحة هذا الزعم؛ لمخالفته

(١) سفراء النبي (ص) ٢٦ .

(٢) سفراء النبي ٣١ ونهاية الأرب ١٦٣/١٨ .

(٣) سفراء النبي (ص) ٣١، زاد المعاد ١١٥ .

(٤) الكتابة والكتاب في عهد الرسول ٣٧ والسيرة النبوية ط بيروت ٦٠٧ .

جاء فى المراجع التاريخية وكتب الحديث، ومنافاة الجمع بين تمزيق  
سالة، ووجودها لدى السيد/ هنرى فرعون .

#### ٤- حاطب ابن أبى بلتعة:

بعثه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إلى المقوقس: صاحب  
سكندرية، وعظيم أقباط مصر . وأرسل معه كتاباً جاء فيه:  
”بسم الله الرحمن الرحيم .

من محمد عبد الله ورسوله، إلى المقوقس عظيم القبط  
سلام على من اتبع الهدى .

أما بعد، فإننى أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك  
رتين، فإن توليت، فعليك إثم القبط(١) ”يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ  
وَأَوْاءَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً، وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا  
مَعْشَرًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ“ (٢) .

ولما وصل حاطب إلى المقوقس، سلمه الرسالة، فأخذ المقوقس  
كتاب النبى — صلى الله عليه وسلم، فوضعه فى حُقٍّ من عَاجٍ ودَفَعَهُ  
جارية له، ثم دعا كاتباً له يكتب بالعربية، فكتب إلى النبى — صلى الله  
عليه وسلم:

”لمحمد بن عبد الله

من مقوقس عظيم القبط .

أما بعد . فقد قرأت كتابك، وفهمت ما ذكرته، وما تدعو إليه، وقد  
علمتُ أَنَّ نَبِيًّا بَقِيَ، وقد كنتُ أظنُّ أَنَّ يَخْرُجُ بِالشَّامِ، وقد أكرمت  
رسولك“ .

(١) سفراء النبى (ص) ٣٧ .

(٢) سورة آل عمران — الآية ٦٤ .

وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان من القبط عظيم، وبكسوة وأهديت إليك بغلة لتركبها، والسلام" (١) .  
ولم يردّ المقوقس بأكثر من ذلك ولم يُسلم .  
وقد اكتشف المستشرق الفرنسي (بار تيميلي) في كنيسة قرب أخميم بصعيد مصر، الأصل المكتوب لهذه الرسالة، وهو موجود الآن بمتحف (توب فابي) باستنبول (٢) .

#### ٥- العلاء بن الحضرمي:

كان سفير رسول الله — صلى الله عليه وسلم إلى: المنذر بن ساوى العبدى ملك البحرين، بعثه معه بكتابه الشريف إلى المنذر (٣) .  
وكان المنذر قد أرسل إلى النبي — صلى الله عليه وسلم — كتابا جاء فيه:

(أما بعد يا رسول الله، فإني قرأت كتابك على أهل البحرين فمنهم من أحب الإسلام وأعجب به، ودخل فيه . ومنهم من كرهه وبارضى يهود ومجوس، فأحدث إلى في ذلك أمر) (٤) .

حكى ابن سعد: "واسم الحضرمي: عبد الله بن ضماد بن سلمى بن أكبر — من حضرموت من اليمن . عن محمد بن يوسف عن السائب بن يزيد عن العلاء بن الحضرمي: أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعثه منصرفه من الجمرانة، إلى المنذر بن ساوى العبدى بالبحرين

(١) سفراء النبي (ص) ٣٨ .

(٢) عن: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة ١٠، ١٠٧ د/ محمد حميد الله الوثيقة ٤٩/ دار الإرشاد بيروت .

(٣) زاد المعاد ١١٦ والسيرة النبوية ط بيروت ٦٠٧ .

(٤) سفراء النبي (ص) ٤٠، ٣٩ .

كتب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - معه كتابا يدعو فيه  
إلى الإسلام (١) كان نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم  
"من محمد رسول الله .  
إلى المنذر بن ساوى .

سلام عليك، فإننى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، وأشهد أن لا  
إله إلا الله، وأن محمداً رسولُ الله .

أما بعد، فإننى أذكرك الله عز وجل، فإنه من ينصح فإنما ينصح  
ف نفسه، ومن يُطع رسلى، ويتبع أمرهم فقد أطاعنى، ومن ينصح لهم فقد  
صح لى .

وإن رسلى قد أتوا عليك خيراً، وإنى قد شفعتك فى قومك فأترك  
لمسلمين ما أسلموا عليه .

وعفوت عن أهل الذنوب، فأقبل منهم، وإنك مهما تصلح فلن  
عزلك من عملك، ومن أقام على يهوديته أو مسيحيته فعليه الجزية" .

ونتوقف قليلاً مع هذه الرسالة، لاحتوائها على غير ما احتوته  
لرسائل الأخرى .

فقد اختلف مضمونها عما عداها من الرسائل؛ لأنها:

١- موجهة إلى أحد الحكام الذين سبق أن كاتبوا الرسول موضحين  
حالة مجتمعهم وتكوينه .

٢- أن هذا الحاكم طلب رأى الرسول - صلى الله عليه وسلم -  
فى منهج التعامل مع الفئات المتعددة فى شعبه، من مسلمين وغيرهم من  
اليهود والنصارى فلكل حكمه، وأسلوب التعامل معه .

٣- نجد حكمة الرسول - صلى الله عليه وسلم - تتجلى بوضوح في رده على هذا الحاكم: حيث حدد له كيف يتعامل مع كل فئة من هذه الفئات .

٤- الرسائل الأخرى التي حملها سفراء النبي - صلى الله عليه وسلم - كانت تحمل الدعوة إلى الانضمام تحت مظلة الإسلام، والإقرار بوحدانية الله تعالى، وتطبيق تعاليم الإسلام .

٥- نلاحظ في هذه الرسالة، أن تحيتها (سلام عليك) ، أما الرسائل الأخرى، فتحيتها: (سلام على من اتبع الهدى) . ولا شك في أن هذا الاختلاف في صيغة التحية، فيه ما يشعر بتعليق التحية في نصها الثاني على من سيدخل في إطار الإسلام، والاهتداء إلى التوحيد والإيمان بالإسلام ونبيه عليه الصلاة والسلام، أما التحية الأولى فتشعرنا بإقرار المنذر بن ساوى، ودخوله في الإسلام .

٦- في الرسالة ما يشير إلى أن رسلاً لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - سبق أن قابلوا المنذر بن ساوى - وتعرفوا عليه وعلى أخلاقه، وهذا من قوله صلى الله عليه وسلم في هذه الرسالة: "وإن رسلى قد أثنوا عليك خيراً" .

٧- فيها - أيضاً - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - يشفع المنذر في قومه وهذا يدل على رضا النبي - صلى الله عليه وسلم - عليه .

٨- وفيها - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - يقره على عمله ويعطى الحرية لأصحاب الأديان الأخرى، في البقاء على دينهم ودفع الجزية، أو الدخول في الإسلام، مما يوضح بجلاء سماحة الدين والنبي .

### ٦- عمرو بن العاص:

سفير النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى: جيفر وعبد ابنسي لجُلْدَى، وكان ذلك "في ذى القعدة سنة ثمان" (١) وحمله كتابه إليهما قد جاء في هذا الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم .

من محمد عبد الله ورسوله .

إلى جيفر وعبد ابنسي الجُلْدَى .

سلام على من اتبع الهدى .

أما بعد، فأني أدعوكما بدعاية الإسلام .

أسلما تسلما؛ فأني رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين، وإنكما إن أقررتما بالإسلام وَلَيَتَّكَمَا، وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام فإن مُلْكُكَمَا زائل عنكما، وخيلي تحل بساحتكما وتظهر نبوني على مُلْكُكَمَا" (٢) .

وقد أجابا بالإسلام "وخليا بين عمرو والصدقة والحكم بينهم، فلم يزل بينهم حتى بلغته وفاة الرسول" (٣) .

### ٧- سليط بن عمرو العامري: (٤)

أرسله النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى هذاة بن على - صاحب اليمامة، وبعث معه رسالة إليه . وهي كالآتي:

بسم الله الرحمن الرحيم .

من محمد رسول الله .

(١) زاد المعاد ١١٦ والسيرة النبوية ط بيروت ٦٠٧ .

(٢) سفراء النبي (ص) ٤١ .

(٣) زاد المعاد ١١٦ .

(٤) السيرة النبوية ط بيروت ٦٠٧ .

إلى هودة بن على •

سلام على من اتبع الهدى •

واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخُفِّ والحَافِرِ

فأسلم تسلم

أجعل لك ما تحت يدك " (١) •

فلما قدم عليه سليط بكتاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم —

مختوما أنزله منزلا كريما، وقرأ عليه الكتاب •

فكتب هودة إلى النبي — صلى الله عليه وسلم • يقول:

"ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله! والعرب تهاب مكانتي، فاجعل لى

بعض الأمر أتبعك" فلما عاد سليط إلى النبي — صلى الله عليه وسلم —

وعلم بما طلب • قال عليه السلام:

"لو سألتني قطعة من الأرض ما فعلت • بادَ وبادَ ما في يده" ثم علم

النبي بموت هودة •

أما هذه الرسالة — فإلى جانب ما هو متبع في بقية الرسائل من

افتتاحية وتوجيه وتحية — نجد أنها حوت عبارات قوية، تشير إلى مدى

عظمة النبي صلى الله عليه وسلم — ومنعته وعزه، وسلطانه الذي أيده

الله تعالى به، ونرى أن الدعوة إلى الإسلام سبقت بتقرير النبي — صلى

الله عليه وسلم — وإخباره بانتشار الإسلام وانتصاره وبلوغه كل جزء

من الأرض، وكفى بذلك عن كل ما يصل إليه خُفٌّ جمل أو حافر

حصان •

ثم إن الإسلام يعز أنصاره، ويمد أتباعه بكل مظاهر القوة

والسيادة، فهوذة — إن أسلم — سيبقى في مكانه سيدا عظيما مطاعا

ولكنه اشترط أن يجعل له الرسول مقابلا لإسلامه، وهذا ما رفضه

رسول — صلى الله عليه وسلم — وكان مدعاة لدعائه عليه بالهلاك، وقد حققت فيه دعوة النبي — صلى الله عليه وسلم — فهلك • كما تحققت بوءة المصطفى بظهور مسيلمة الكذاب في أرض اليمامة وهلاكه •

٨- شجاع بن وهب الأسدي : (شجاع بن وهب بن ربيعة بن أسد بن صهيب بن مالك بن كبير بن غنم بن رודان بن أسد بن خزيمية<sup>(١)</sup>) رسله النبي — صلى الله عليه وسلم — إلى الحارث بن أبي شمر ملك لبلقاء، وقيل إنما توجه لجبلية بن الأيهم، وقيل توجه لهما معا<sup>(٢)</sup> بعثه النبي — صلى الله عليه وسلم — إلى الحارث بن أبي شمر الغساني، وكان بغوطة دمشق، وكتب له بهذه الرسالة معه:

بسم الله الرحمن الرحيم •

من محمد رسول الله •

إلى الحارث بن أبي شمر

وسلام على من اتبع الهدى، وأمن بالله وصدق •

وإني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده، لا شريك له، يبقى لك ملكك<sup>(٣)</sup>

ولكن الحارث لم يسلم، فدعا عليه النبي وقال: ياد، وباد ملكه — وقد كان

#### ٩- معاذ بن جبل :

بعثه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إلى اليمن • وأوصاه بوصية رائعة مجيدة، حكى ابن إسحاق عنها بقوله:

(١) زاد المعاد ٢٤٤، طبقات ابن سعد ٦٦١/٢ والسيرة النبوية ط بيروت ٦٠٧ •

(٢) زاد المعاد ١١٦ •

(٣) سفراء النبي (ص) ٤٤ •



"حدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حَدَّثَ: أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حين بَعَثَ معاذًا أوصاه، وعهد إليه، ثم قال له: **يَسِّرْ وَلَا تُعَسِّرْ، وَبَشِّرْ وَلَا تُنْفَرْ**، وإنك ستقدم على قوم من أهل الكتاب، يسألونك ما مفتاح الجنة؟ فقل: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له".

قال: فخرج معاذ، حتى إذا قَدِمَ اليمن، قام بما أمره رسول الله — صلى الله عليه وسلم (١).

وهناك روايات تخبرنا أنه — صلى الله عليه وسلم — بعث مع معاذ أبا موسى الأشعري، كما تخبرنا بعض الروايات عن بعثه — صلى الله عليه وسلم — عليا بن أبي طالب، معهما فهؤلاء السفراء الثلاثة رضوان الله عليهم. سفراؤه إلى اليمن.

#### ١٠ - عياش بن ربيعة:

بعثه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إلى بني عبد كلال (٢) وقال له: خذ كتابي بيمينك، وادفعه بيمينك في أيماهم، فهم قائلون لك: اقرأ. فاقرا: **لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ** (٣) فإذا فرغت منها، فقل: **أمن محمد، وأنا أول المؤمنين، فلن تأتيك حجة إلا وقد دُحِضَتْ، ولا كتاب زخرف إلا وذَهَبَ نوره، ومَحَلَّونه** (٤)، وهم قارئون، فإذا رطنوا (٥) فقد ترجموا، فقل: حسن. **آمَنْتُ بالله وبما أنزل**

(١) السيرة النبوية/ ابن هشام ٤/ ٥٩٠، صحيح البخاري ٣/ ٨١ ط إسكندرية.

(٢) العقد الفرید ابن عبد ربه ت/ محمد سعيد العريان ١/ ٢٥٧، ت/ أحمد يسرى ١٠٤ ص ٤٤.

(٣) البينة الآية: ١.

(٤) مح لونه: درس ولى.

(٥) رطنوا: تكلموا بالأعجمية.

ن كتاب الله، فإذا أسلموا فسلّمهم قضيبهم الثلاثة التي إذا تخلصوا<sup>(١)</sup> بها جد لهم، وهل الأثل<sup>(٢)</sup> قضيب ملمع ببياض، وقضيب ذو عجر<sup>(٣)</sup> كأنه ن خيزران<sup>(٤)</sup>، والأسود البهيم، كأنه من سماسم<sup>(٥)</sup>، ثم اخرج بها ترقيها في سوقهم<sup>(٦)</sup>.

### سفراء من أعضاء الوفود :

هؤلاء السفراء كانوا — في الأصل — أعضاء وفود قدّمت على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وبعد إعلانهم إسلامهم، وحن وعد رحيلهم، كلّف رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعضهم بتكاليف عينة، وحملهم رسائل إلى قومهم. فقد قدّم على النبي — صلى الله عليه وسلم — تميم بن أوس الداري في ستة نفر من الدارين، فأسلموا جميعا سالوه أن يعطيهم أرضا من أرض الشام فأعطاهم إياها، وكتب لهم في لك كتابا شريفا، فحواه كما يلي:

"بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب ذكر فيه ما وهب محمد — صلى الله عليه وسلم — داريين إذا أعطاه الله الأرض، وهب لهم بيت عيون وحبرون المرطون، وبيت إبراهيم، ومن فيهم إلى أبد الأبد<sup>(١)</sup>."

(١) تحصروا: أخذوا بأيديهم ما يتوكأ عليها كالعصا ونحوها .

(٢) الأثل: شجر من الفصيلة الطرقاوية، طويل، مستقيم، يعمر: جيد الخشب، كثير الأغصان متعدها، دقيق الورق.

(٣) العجر: جمع عجرة: العقدة في الخشب .

(٤) الخيزران: جنس نبات من الفصيلة النجيلية لين القضبان أملس العيدان .

(٥) سماسم: شجر أسود أو هو الأبنوس .

(٦) سفراء النبي ٤٥ .

وشهد على هذه الرسالة الجليلة عباس بن عبد المطلب، عم النبي وخزيمة بن قيس، وشرحبيل بن حسنة، وهو الذي تولى كتابة الرسالة.

كما أن (يوحنا بن رؤبة) صاحب أيلة (بيت المقدس) ، أتى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بتيوك، وأعلن إسلامه، وصالح رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأعطاه الجزية، فكتب له رسول الله خطابا، يقول فيه:

"بسم الله الرحمن الرحيم  
هذه أمانة (أى أمان) من الله، ومن النبي رسول الله ليوحنا بن رؤبة، وأهل أيلة، أساقفتهم وسيارتهم، فى البر والبحر — لهم ذمة الله وذمة النبي، ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن، وأهل البحر، فمن أحدث منهم حدثا، فإنه لا يحول ما له دون نفسه، وأنه طيب لمن أخذه من الناس، وأنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه، وطريقا يريدونه من بر أو بحر" (١).

كما كتب النبي (ص) لأهل جرباء وأذرح لما أتوه بتيوك وأعطوه الجزية "بسم الله الرحمن الرحيم .  
هذا كتاب من محمد النبي، رسول الله، لأهل جرباء وأذرح إنهم آمنون بأمان الله، وأمان محمد.

وإن عليهم مائة دينار في كل رجب، وافية طيبة، والله كفيل عليهم بالنصح والإحسان إلى المسلمين، ومن لجأ إليهم من المسلمين في المخافة<sup>(١)</sup> .

كما كتب — صلى الله عليه وسلم — إلى ابن ضميرة:  
 من محمد رسول الله، لابن ضميرة وأهل بيته .  
 إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أعتقهم، وإنهم أهل بيت من العرب، إن أحبوا أقاموا عند رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وإن أحبوا رجعوا إلى قومهم، فلا يعرض لهم إلا بحق، ومن لقيهم من المسلمين فليستوص بهم خيراً<sup>(٢)</sup> .

ومن الرسائل التي كتبها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — رسالته إلى أكيدر دومة<sup>(٣)</sup>، وقد كتب فيها:

من محمد رسول الله — صلى الله عليه وسلم، لأكيدر دومة، حين أجاب إلى الإسلام وخلع الأنداد والأصنام، مع خالد بن الوليد — سيف الله — في دومة الجندل وأكتافها: إن لنا الضاحية<sup>(٤)</sup> من الضحى<sup>(٥)</sup> والبور<sup>(٦)</sup> والمعامي<sup>(٧)</sup> وأغفال<sup>(٨)</sup> الأرض هو الحلقة<sup>(٩)</sup> والسلاح والحاقر

(١) سفراء النبي ٤٨ .

(٢) نفسه ٤٩ .

(٣) العقد الفريد ١/١٥٦، ٢٥٥ .

(٤) الضاحية: الغمامي — الظاهر من الأرض .

(٥) الضحى: الماء القليل على الأرض .

(٦) البور: الأرض التي لا تزرع .

(٧) المعامي: الأرض المجهولة .

(٨) أغفال: ج غفل ما لا أثر فيه من عمارة .

(٩) الحلقة: الدرع . الحبل: الدروع .

والحصن<sup>(١)</sup>، ولكم الضامنة<sup>(٢)</sup> من النخل، والمعين<sup>(٣)</sup> من المعمور، لا تعدل سارحتكم<sup>(٤)</sup> ولا تعد فارديتكم<sup>(٥)</sup>، ولا يحظر عليكم النباتات<sup>(٦)</sup> تقيمون الصلاة لوقتها، وتؤتون الزكاة لحقها، عليكم بذلك عهد الله والميثاق، ولكم به الصدق والوفاء شهد الله ومن حضر من المسلمين " .

- 
- (١) الحصن: كل موضع حصين لا يوصل إلى جوفه والمقصود دومة الجندل .  
(٢) الضامنة: ما يكون في القرية من النخيل أو ما أطلق به .  
(٣) المعين: الظاهر الجارى على وجه الأرض من الماء منها سور المدينة .  
(٤) سارحتكم: السارحة : الماشية .  
(٥) فارديتكم : الذى لا تجب فيه صدقة .  
(٦) لا يحظر عليكم النباتات: لا يمنع عنكم الرعى حيث شئتم .

## الباب الثالث

**التحليل والدراسة للوفادة والسفارة**

## الفصل الأول

### حول الوفاة والسفارة

#### أهمية أدب الوفاة والسفارة:

أدب الوفاة والسفارة ، يمثل ركيزة من أهم وسائل الاتصال بين شعوب الأمم — وبخاصة الأمة العربية — منذ القدم ، وخصوصا بين المسؤولين بعضهم بعضا ، أو بين الزعماء والحكام والأفراد من جهة أخرى ، وقد يكون عاملا من عوامل إرساء قواعد الأمن والسلام والاستقرار .

ولقد دفع إلى هذا اللون الأدبي حاجة الزعماء أو شيوخ القبائل إلى استطلاع حقائق وأحداث عصورهم ، أو الإبلاغ عن آرائهم ووجهات نظرهم في تلك الأحداث ، وتحقيق ذلك من خلال قيام أفراد ذوى صفات ومزايا خاصة ، بالقيام بتلك الوفادات ، متحدثين بما يجول بخواطرهم من أفكار ، وما يعتمل في نفوسهم من مشاعر وأحاسيس .

وكانت الوفاة تجرى مشافهة بين الوفود وذوى الشأن الذين أتوا إليهم ، وربما حملت بعض الوفود رسالة تضم ما يجرى فى ضمير مرسلها .

#### ألوانها ووسائل تعبيرها:

واتخذت الوفاة صورا متعددة من ألوان التعبير ، فجاءت نثرا خالصا ، كما جاءت شعرا خالصا ، وقد تجمع بين اللونين فى ثياها: شعرا ونثرا .

فكانت تعبيراً راقياً ، وأسلوباً عالياً ، يدل على ما يتميز به أصحابها من مقدرة بيانية ، ومملكة بلاغية ، كما عبرت عن شجاعة ذاتية ، وجراءة شخصية ، وثقة نفسية عالية ، وأصاله معتزة بعروبتها مفتخرة بأرومتها .

### دلالاتها:

والوفادة تدل على أسلوب متحضر فى التعامل ، لأنها محاولة للوصول إلى الحقائق، بما يشبه فى عصرنا التفاوض فى حل المشكلات بعيداً عن ميادين الحرب ، واستخدام القوة والسلاح ، وقد تكون بعد أو أثناء المعارك .

### تطورها:

وقد عرفت الوفادة منذ العصر الجاهلى ، ورأينا لها نماذج مما كان بين كسرى والنعمان ، وما دار فى اللقاء بين هذين العاهلين الكبيرين من مفاخرة ، حاول فيها كسرى الحط من قدر العرب ، وتفضيل غيرهم من الأمم عليهم ، وتناول بعض عاداتهم بالفشويه ، وبعض أعمالهم بالتسفيه مما حدا بالملك العربى إلى التصدى لكل ما قاله كسرى بالتفنيد والدحض، وكشف ما ران على بصره من حقيقة ما وصم به العرب ، ولم يكتف النعمان بذلك النصر المعنوى ، فكلف بعض رجال العرب ، ممن يجيدون الكلم ، ويتحلون بالحلم ، فى التصدى لهذا الملك ، وقيام كل منهم محامياً عن أمة العرب ، كاشفا ما نزل بها من ظلم كسرى من وصف لهذه الأمة ، رافعا من شأنها مثبتا لها عظمتها وأصالتها ، معلّيا قدرها ، محققا لها فخرها وعزها ، مصورا لعاداتها وتقاليدها فى أصدق صورة ، وأشرف هيئة .



وكانت الوفادة مجالاً لإظهار براعة أعضاء الوفود ، وقدرتهم على المحاجة ، ورد دعاوى الخصوم وإبطالها ، وإبراز الملكة الليبانية لدى أفراد الوفد ، ونكائهم ، وخصائفتهم فى تناول هذه الدعاوى وتنفيذ ما جاء فيها ، وسبق ذلك دربتهم ومهارتهم التى اكتسبوها فى قبائلهم .  
يقول الدكتور شوقى ضيف: "وقد اتخذوا (أى العرب) من مجالسهم فى مضارب خيامهم ، ومن أسواقهم ، ومن ساحات الأمراء، ووفاداتهم عليهم ميادين لإظهار براعتهم وتفننهم فى المقبال وحوك الكلام . وأسعفتهم فى ذلك ملكاتهم الليبانية ، وما فطروا عليه من خلاصة ولسن ، وبيان وفصاحة وحضور بديهة"<sup>(١)</sup>.

### منزلة أعضاء الوفود والسفراء:

وكان أعضاء الوفود بمثابة السفراء عن قومهم ، يتحدثون بلسانهم ويعرضون عنهم ما يعين من آراء ، أو ما يكون من مشاكل .  
ولذا كان من المهم — بل والمتعارف عليه بينهم — أن يكون أعضاء الوفد ممن عرف عنهم — بين قومهم — القدرة على إقناع الخصوم ، أو إلهاب الحماسة، أو الإصلاح بين المتخاصمين ، أو الحث على مكرمة ، أو النهى عن مذمة . يقول ابن عبد ربه عن هؤلاء الرجال — أعضاء الوفود — عند مثولهم بين الأمراء: "كانوا يخطبون فى وفادتهم على الأمراء ، إذ يقف رئيس الوفد بين يدي الأمير من الغساسنة أو المناذرة أو غيرهما، فيحويه بلسان قومه ، ويذكر لنا التاريخ أن قریشا أرسلت إلى سيف بن ذى يزن وفداً من شيوخها ، لتهنئته بالنصر ، وخطب أمامه عبد المطلب بن هاشم — جد النبی صلى الله عليه وسلم —

---

(١) تاريخ الأدب العربى (الأدب الجاهلى) د . شوقى ضيف ص (٤١٠) دار المعارف .

وأعجب به سيف بن ذى يزن، ولم يعجب بغيره من خطباء الوفود الأخرى؛ لأنهم جميعاً أتوه طالبين أما عبد المطلب ، فقد أخلص خطبته للتهنئة<sup>(١)</sup>.

### ما يشترط فى أعضائها:

واشترطوا فى عضو الوفد أن يكون نابها فى قومه ، متمكنا من لغته ، ذا بيان وقصاحة ، متمكنا من الكلام الرقيق الذى يصيد به قلوب مخاطبيه ، فيبلغ هدفه ، وينال مأربه ، فيستل سخائم النفوس الغاضبة ويطفئ أوار أحقادها ، ويخمد نيران غيظها ، ويقضى على دفائن أشرارها .

ولقد سجل الشعراء ذلك فى أشعارهم ، وهذا زهير بن أبى سلمى فى قصيدته الميمية التى يستهلها بقوله:

سعى ساعيا غيظ بن مرة بعدما .- تبزل ما بين العشرة بالدم

يصور لنا أثر الوفاة فى القضاء على الإحن والمحن بين القبائل والقضاء على وتر الموتورين منهم ، ومطالبة كل قبيلة بالكف عن الثأر لقتلاها ، وتحمل الساعيين الكريمين لديات القتلى ، والتزامهما بحسن الوفاة بين القبيلتين ، حتى تضع الحرب أوزارها ، ويعم بينهما السلام .

### أهمية الوافد والسفير:

ويحدد لنا صاحب (العقد الفريد) أهمية الوافد ، ومنزلته فيقول "الوفود مقامات فضل ، ومشاهد حفل ، يتخير لها الكلام ، وتستعذب

---

(١) العقد الفريد ١/ ٣٤٧ .

الألفاظ ، وتستجزل المعاني " ولذا يلزم حسن اختيار الوافد لهذه المهمة وفضلوا في الوافد عن قومه .

أن يكون عميدهم وزعيمهم ، الذى عن قوته ينزعون ، وعن رأيه يصدررون ، فهو واحد يعدل قبيلة ، ولسان يعرب عن السنة ، وما ظنك بوافد قوم يتكلم بين يدى النبى - صلى الله عليه وسلم - أو خليفته أو بين يدى ملك جبار ، فى رغبة أو رهبة ، فهو يوطد لقومه مرة ، ويتحفظ ممن أمامه أخرى ، أترأه مدخرا من نتائج الحكمة ، أو مستيقيا غريبة من غرائب الفتنة ، أم تظن القوم قدموه لفضل هذه الخطبة ، إلا وهو عندهم فى غاية الحذقة واللسن ، ومجمع الشعر والخطابة .

ألا ترى أن قيس بن عاصم المنقرى لما وفد على النبى - صلى الله عليه وسلم - بسط له رداءه ، وقال : هذا سيد الوبر . ولما توفى قيس بن عاصم قال فيه الشاعر :

عليك سلام الله قيس بن عاصم .: ورحمته ما شاء أن يترحمها  
تحية من أوليته منك نعمة .: إذا زار عن شحط بلادك سلما  
وما كان قيس هلكه هلك واحد .: ولكنه بنيان قوم تهدما<sup>(١)</sup>

\* \* \* \* \*

على أننا رأينا غلاما يتحفظ للكلام أمام الخليفة عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - فلما قال الخليفة : أسنوا ، وقال للغلام ليتقدم من هو أسن منك ، رد عليه الغلام قائلا : لو كان الأمر بالسن ، لكان فى الأمة من هو أحق بالأمر منك . فلما أحس الخليفة منه حسن بيانه أدن له فى

---

(١) المقد الفريد ابن عبد ربه تحقيق/ أحمد يسرى م ١٠ ص ٥ ، ٦ ط دار الإمام على بمصر .

الكلام . وما كان ليأذن له بالحديث - مع صغر سنه - لو لم تكن له هذه المقدرة .

وقد حكى لنا الجاحظ قصة أخرى عن (إياس بن معاوية) أنه: دخل الشام وهو غلام ، فتقدم خصما له ، وكان الخصم شيخا كبيرا ، إلى بعض قضاة عبد الملك بن مروان ، فقال له القاضي: أتقدم شيخا كبيرا؟

قال (إياس): الحق أكبر منه .

قال (القاضي): اسكت .

قال (إياس): فمن ينطق بحجتي؟

قال (القاضي): لا أظنك تقول حقا حتى تقوم .

قال (إياس): لا إله إلا الله {أحقا هذا أم باطلا؟} .

فقام القاضي ، فدخل على عبد الله من ساعته ، فخبّره الخبر .

فقال عبد الملك: اقض حاجته الساعة ، وأخرجه من الشام لا يفسد على الناس<sup>(١)</sup> .

ومن الواضح أن هذا الوافد الصغير ، كان ذا بيان قوى ، وحجة بالغة ، واستعداد شخصي ، واعتداد ذاتي ، وشجاعة وجرأة ، مما دفعه إلى محاجة القاضي ، والتصدي لما يقول ، ودفاعه عن رأيه وحاجته مما دفع الخليفة إلى توجيه القاضي بسرعة الفصل بينه وبين خصمه وإخراجه من بلاد الشام ، حتى لا يؤثر في الناس وينشر بينهم الجرأة على نوى الأمر ، مما قد يحدث فتنة في الناس ، يستشري خطرهما ويتفشى نذيرها .

(١) البيان والتبيين الجاحظ ١/١٠١ .

## مدى تأثير الوافد والسفير:

ويسوق لنا ابن عبد ربه أمثلة لما يحققه بيان الوافد فيمن يخاطبه ومدى تأثيره فيه — وهى كثيرة — نستشهد ببعضها ، فقد حكى قوله :  
 "أرسل بعض الملوك فى رجل أراد عقوبته ، فلما مثل بين يديه قال  
 (أى الرجل) : أسألك بالذى أنت بين يديه أذل منى بين يديك وهو على  
 عقابك أقدر منك على عقابى ، إلا نظرت فى أمرى نظر من برئى أحب  
 إليه من سقمى ، وبراعتى أحب إليه من جرمى" <sup>(١)</sup> فعفا عنه .

ويقول فى موطن آخر : "بعث بعض الملوك إلى رجل وجد عليه —  
فقال له لما مثل بين يديه : أيها الأمير (يقصد من بيده الأمر — وهو  
 الملك) : إن الغضب شيطان ، فاستعذ بالله منه ، وإنما خلق العفو للمنتب  
 والتجاوز للمسيء ، فلا تضق عما وسع الرعية من حكمك وعفوك ، فعفا  
 عنه ، وأطلق سبيله" <sup>(٢)</sup> .

وعلى ذلك ، ينبغى أن يكون الوافد على خبر — بطرق الكلام  
 ومعرفة بأساليبه ، وأن يكون ذا بديهة حاضرة تمكنه من الإمساك  
 بتلابيب المعانى ، وحسن إدارة الحديث ، حتى يتمكن من إصابة هدفه  
 ومرامه ، والوصول إلى غرضه ومبتغاه ، ولذا قالوا : (أنفذ من الرمية  
 كلمة فصيحة) .

وقد سئل النبى — صلى الله عليه وسلم : فيم الجمال ؟  
فقال : اللسان (يريد البيان) ، وقال — صلى الله عليه وسلم "إن من  
 البيان لسحرا" .

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه تحقيق المريان — مجلد / ٢ ص (٢٥) .  
 (٢) نفسه والصفحة نفسها .

ومن المعروف أن البيان ترجمان العلم ، والعلم رائد العقل ، والعقل رائد الروح ، كما يقول سهل بن هارون .  
يقول ابن عبد ربه :

"البيان بصر ، والعلم عمى ، كما أن العلم بصر ، والجهل عمى والبيان من نتاج العلم ، والعلم من نتاج الجهل" (١) .

وعلى قدر سمو مكانة الوافد بيانياً ، كان يرتفع قدره ، وترقى منزلته فى قومه ، مما يجعله مؤهلاً لهذه الوفادات ، بل المقدم والمفضل فيها ، ولا يعتد — إلى حد بعيد — بشكله وحجمه وتكوينه الجسدى ، فلماذا حدث ، وكان الوافد ممن تعكس هيئته إحساساً بالزراية أو الاحتقار رد ذلك على من ازدراه ، كما حدث فيما رواه الجاحظ من أنه : "لما دخل ضمرة بن ضمرة (وكان يقال له شقة) على النعمان بن المنذر ، زرى عليه للذى رأى من دمامته وقصره وقلته ، فقال النعمان : (تسمع بالمعدي لا أن تراه) .

**فقال (ضمرة) :** أبيت اللعن . إن الرجال لا تكال بالققران ، ولا توزن بالميزان ، وليست بمسوك يستقى بها ، وإنما المرء بأصغريه : بقلبه ولسانه ، إن صال صال بجنان ، وإن قال قال ببيان" .  
وبهذا القول لضمرة ، نصل إلى ما كان ينبغى أن يتحلى به الوافد من صفات : فهو شجاع جرىء فى الحق بقلبه ، وهو متحدث بارع ، مبين للحق مدحض للباطل بلسانه ، وروعة ببيانه (٢) .

ويسوقنا هذا إلى ما كانت العرب تحرص عليه من مدح للقدرة على الكلام والجلد والصرامة ، وقوة القلب والجرأة والشجاعة ، وكثرة الريق ،

(١) العقد الفريد ت/ العريان مجلد ٢ ص (٣٠٢) .

(٢) البيان والتبيين الجاحظ ١/ ١٧١ .

والعلو على الخصم ، أو للحديث أمام جمع من الناس خطيباً أو وافداً فقد قال موضحاً هذا الحرص من العرب: "...وكانوا يمدحون شدة العارضة ، وقوة المنة ، وظهور الحجة ، وثبات الجنان ، وكثرة الريق ، والعلو على الخصم ، ويهجون بخلاف ذلك"<sup>(١)</sup>.

\*\*\*\*\*

وسجل الشعراء هذه الصفات العالية التي يتحلى بها الوافد أو الخطيب ، وحكى الجاحظ في ذلك قول الأسلع بن قصاف الطهوى<sup>(٢)</sup>:  
هم أفحموا الخصم الذى يستقيدنى .-. وهم قصموا حجلوهم حقنوا دمي  
بأيديهم فرجن المضيق وألسن .-. سلاط وجمع ذى زهاء عرمرم  
إذا شئت لم تعدم لدى الباب منهم .-. جميل المحيا واضحا غير توأم

\*\*\*\*\*

ولا يشترط في الوافد أن يكون خطيباً ، فقد يكون شاعراً ، أو محاوراً ، وقد تحل قدرته البيانية محل الخطابة أو الشاعرية ، فقد كان ثابت بن عبد الله بن الزبير ، من أبين الناس ، ولم يكن خطيباً<sup>(٣)</sup> كما أخبر بذلك الجاحظ.

والوافد مرآة قومه ؛ فإذا كان نابهاً رفع من قدر ذويه ، وكان عامل اقتناع وكفاءة لمن يفد عليه . ولذا يلزم الوافد أن يكون حكيماً أريباً لبقاً عارفاً بجوانب القضية التي كلف القيام بالوفادة من أجلها .

(١) البيان والتبيين الجاحظ ١٧٦/١ .  
(٢) نفسه الجاحظ ١٧٧/١ .  
(٣) نفسه الجاحظ ٣٢٧/١ .

## الإسلام والوفادة والسفارة:

وبظهور الإسلام اهتز كيان المجتمعات القبلية والحضرية فى الجزيرة العربية بما جاء به من عقيدة جديدة ، ودعوة مجيدة ، ونظر العرب فإذا الإسلام ينتصر وينتشر ، ويمثل قوة عظيمة أخذت تنتشر مبادئ الدين الجديد ، وتدعو زعماء وشيوخ الجزيرة والقوى العظمى المحيطة بها إلى الانضواء تحت لواء الإسلام والإيمان، بما جاء به القرآن الكريم من دعوة لتوحيد الخالق ، والتحلّى بالمناقب والمحامد ، وترك ضلالات الكفر وعبادة الأوثان ، ونبذ الرذائل والأثام، فتوافدت الوفود من كل صوب وحذب صوب مكة ، ثم المدينة ، تسعى كلها إلى هدف واحد، هو لقاء حامل لواء الدعوة ، محمد - صلى الله عليه وسلم - وتواترت هذه الوفود بكثرة ، حتى أطلق على ذلك العام التاسع الهجرى: (عام الوفود) وقد سجل القرآن الكريم ذلك فى قوله تعالى: "إذا جاء نصر الله والفتح • ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا • فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا"<sup>(١)</sup>.

وقد وجدت هذه الوفود من الرسول - صلى الله عليه وسلم - ما من أجله توافدت: وجدت فيه شهامة العروبة المتمثلة فى حسن الاستقبال وكرم الضيافة، وسعة الصدر للمناقشة وحسن الاستماع ، وروعة الهداية والشرح والإقناع ونور البيان الموصل إلى الإيمان ، وانكشاف القناع عن المعنى الذى كان مستترا على قلوب وأفهام هؤلاء القوم ، فوصلوا بعقولهم وقلوبهم إلى حقيقة الإسلام وصدق هذا النبى العظيم فيما يدعو إليه من توحيد لخالق الكون ومديره ، وبقيين بما جاء به الكتاب الكريم من

---

(١) سورة النصر • الآيات ١ - ٣ •



آيات بينات ، وصدق ما بشر الله تعالى به نبيه عليه الصلاة والسلام من توافد الناس عليه ، ودخلهم في دين الله .

وقد كان المصطفى - صلى الله عليه وسلم - حريصا على لقاء الوفود ، وشرح تعاليم ما جاء به من عند ربه ، كما كان حريصا على أن ينقل أعضاء هذه الوفود ما يعلمهم إياه إلى أقوامهم ، وبيان ما تلقوه من الرسول الكريم إلى ذويهم ، حتى تنتشر تعاليم الإسلام ، وتتسع دائرة الإيمان في قلوب أهل الجزيرة .

ويعد عام الوفود أكبر دليل على أهمية هذه الوفود في نقل مبادئ الإسلام إلى الأماكن البعيدة ، والأفراد العديدة ، ممن بعدت عنهم الشقة وصعبت عليهم الرحلة ، فلم ييسر لهم الانتقال إلى مكة أو المدينة فحملت عنهم هذه الوفود مؤونة الانتقال ، وشرفوا بلقاء سيد الأنام - صلى الله عليه وسلم - وتلقى أنوار الهداية على يديه ، ثم عادوا إليهم وقد استضاءت أرواحهم بالإسلام ، وعمرت قلوبهم بالإيمان ، فأخذوا بأيدي ذويهم إلى رياض الهدى ، وأنوار التقى ، وصدق الله تعالى إذ يقول: "وما كان المؤمنون لينفروا كافة . فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين . ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون" (١) .

وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - في بيانه لهذه الوفود - يستخدم الخطابة أو الحوار ، ولم يثبت مطلقا أنه رد عليهم أو حاورهم بالشعر ، وإنما كان يستعين بالشعراء المسلمين في الرد على الشعراء من أعضاء الوفود . فقد استعان بحسان بن ثابت - وكعب - رضي الله عنهما - في الرد على شعراء الوفود - كما عرفناه من رد حسان على الزبرقان وغيره من وفد تميم .

---

(١) سورة التوبة الآية ١٢٢ .

فكان النبي - صلى الله عليه وسلم - تجيئـه وفود العرب ، فيخطب في كل وفد يدعوهم إلى الدين ، أو يبين لهم الأحكام الشرعية ، والآداب الدينية ، كما أمر رب العالمين بقوله تعالى: "وانزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم" وكما كان يقول لهم (صلى الله عليه وسلم): "ألا أخبركم بأحبكم إلى ، وأقربكم من مجلسا يوم القيامة ؟ أحاسنكم أخلاقا ، الموطأون أكتافا ، الذين يألفون ويؤلفون"<sup>(١)</sup>.

وكان المصطفى - صلى الله عليه وسلم - يخاطب أعضاء هذه الوفود ، بما لديهم من أساليب في العربية لم تنتشر في أنحاء الجزيرة ، مما أثار دهشة الصحابة من معرفته عليه السلام بهذه الأساليب ، فاندفع بعضهم يسأل النبي: (تراك تكلم العرب بما لا تعرف . فمن علمك ؟ فيجيبهم: علمني ربي فأحسن تعليمي ) أو: (أبني ربي فأحسن تأديبي) .

وكانت الخطابة إحدى وسائل النبي - صلى الله عليه وسلم - في مخاطبة الوفود التي شرفت بالاستماع إليه ، والأخذ عنه ، فتأثرت أساليبهم بما وجدوا من نصاعة بيانه ، وجمال لسانه ، وروعة بيانه فانعكس ذلك على لغتهم ، مما أثرى وشرف اللغة العربية ، وقضى على ما كان سائدا أيام الجاهلية بين العرب من أغراض خطابتهم ، وأساليب تعبيرهم ، فقضى على المفاخرة والمنافرة ، حيث كان من عادة الوفود الجاهلية أن يكون معها شعراؤها وخطباؤها ليفاخروا بأحسابهم وأنسابهم وليتحدثوا بلسان أقوامهم ، فلما جاء الإسلام نهى عن التفاخر والتفاخر ونهى عن الهجاء بالأغراض والأنساب ، والفحش من القول ، وجعل الفخر بالإسلام وقيمه وأخلاقياته ، والهجاء بالكفر والبذاءة وسوء العمل

(١) فصول من تاريخ الأدب العربي في عصر صدر الإسلام وعصر بنى أمية (١٠٦) د/أحمد عبد السلام صقر ، د/ ناجي فؤاد .

"وقد استجاب المسلمون لهذه المبادئ الكريمة ، وقد أثر عن بلال بن رباح الحبشى قوله:

أبى الإسلام لا أبى لى سواه .- إذا افتخروا بقيس أو تميم<sup>(١)</sup>

وهكذا نلاحظ أن هذه الخطابة — التى كانت إحدى وسائل مخاطبة الرسول — صلى الله عليه وسلم — لهذه الوفود ، نلاحظ أنها قضت على ما كان فى الجاهلية من اعتداد أو ازدراء للأحساب والأنساب من خلال المفازات والمنافرات . يقول الدكتور شوقى ضيف: "وطبيعى أن تقضى هذه الخطابة على كل لون قديم من الخطابة الجاهلية لا يتفق وروح الإسلام ، ولا نقصد سجع الكهان الذى كان يرتبط بدينهم الوثنى فحسب بل نقصد أيضا خطابة المنافرات ، فقد نهى الإسلام عن التكاثر بالأبواء والأنساب والأحساب ، وإن ظلت لذلك بقية فى حياة الرسول — صلى الله عليه وسلم — حين كانت تغد عليه وفود العرب ، على نحو ما نعرف عن وفد تميم ، وقيام خطيبهم عطار بن حاجب بن زرارة بين يديه مفاخرا بقومه ، وقد ندب له الرسول — صلى الله عليه وسلم — ثابت بن قيس بن الشماس ، فرد عليه مستوحيا هدى الإسلام ، ولم يلبثوا أن استجابوا لله ولرسوله"<sup>(٢)</sup>.

وكان الحوار الذى يدور بين الرسول — صلى الله عليه وسلم — وأعضاء الوفود يحمل من الفكر الإسلامى — والأسلوب الإيمانى والوضوح البيانى ، ما يؤدى الغرض من استعماله والتأثير بالإقناع لدى هؤلاء الأعضاء ، والخضوع لما جاء به الإسلام من دعوة للتوحيد

(١) نصوص مختارة من المصيرين الجاهلى والإسلام (١٢٧) د/ محمد عبد السلام صقر ، د/ السيد عويضة ط ١٩٨٦ .

(٢) تاريخ الأدب العربى (العصر الإسلامى) ١٠٧ د/ شوقى ضيف دار المعارف .

والإيمان بصديق رسالة محمد — صلى الله عليه وسلم — كما عكس الحوار مظهر حرية إبداء الرأي ، وسماحة الإسلام ونبيه في الاستماع لأعضاء هذه الوفود ، ثم تفنيد ودحض دعاوى أعداء الإسلام ، مما يمهد للإيمان سبيلا إلى القلوب ، فتدخل طائفة مفتتحة في هذا الدين العظيم .

وكان لسماحة النبي — عليه الصلاة والسلام — وسعة صدره وحسن استماعه ، وجلاء بيانه ، وروعة رده في حسن الاقتناع ، وصديق الإيمان ، الأثر الواضح في هذه الوفود .

وتسامعت القبائل على اتساع جزيرة العرب ، بما كانت الوفود تلقاه من تكريم الرسول والمسلمين ، وما كانت تتمتع به من حرية الحوار والمناقشة ، ثم ما يكون من اقتناعهم بالعقيدة السمحة ومبادئها ، ودخولها طائفة غير مجبرة أو مكرهة في هذا الدين ، فتكاثر الوفود ، حتى تخطى عددها السبعين في هذا العام — المسمى باسمها ، على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حتى دخل الناس في دين الله أفواجا .

• • • • •

ثم كان عهد الخلفاء الراشدين ، وفيه ارتبطت الوفاة بالأحداث التي كانت من حروب ردة ، ومن فتوح واتساع دولة ، ثم ما كان من صواع بين طوائف المسلمين من علويين وأمويين ، أو مذاهب كالشيعة والخوارج وغيرهما . ولكن الوفاة هنا لم تكن بالكثرة التي كانت عليها في عام الوفود — فوجدناها أقل في عهد أبي بكر — رضى الله عنه — نتيجة انشغاله بحروب الردة ، وتثبيت أركان الدعوة ، والمضى قدما في نشر الإسلام وفتح الممالك المجاورة، لإنقاذ أبنائها من ضلالات الشرك وملء قلوبهم بنور الإيمان . ولعل أشهر وفادة كانت في عهد أبي بكر — رضى الله عنه — هي وفادة أهل اليمامة، التي حدثت بعد انتصار سرية

المسلمين على عدو الله مسيئة ، والقضاء على فتنته ، فلما أتوه وسألهم كان رده عليهم بفساد المقولة التى فتنهم بها الكذاب ، وخدعهم بادعائه الزائف .

ثم تنشط الوفادة نوعا ما فى عصر عمر - رضى الله عنه - إذ يأتيه جبلة بن الأيهم مع قومه ، ولكن إسلامه كان رقيقا ، فلم تتغلغل روح الإسلام فيه ، فلما يخطئ يأتى دور الخليفة معلما ، ولكن الرجل يفر إلى دار الشرك ليعود إلى حزب الشيطان حتى يموت على كبريائه و غطرسته .

وتتعدد وفادات الأحنف بن قيس على عمر رضى الله عنه فى أهل البصرة والكوفة ومصر .

وهنا نجد الوفادة تنحو منحى جديدا ، غير ما كانت عليه فى أيام النبى صلى الله عليه وسلم - فالدولة استقرت ، والأرض فتحت ، والفاء يشكل عنصرا مهما من مصادر أموال الدولة المسلمة ، وهناك قوم يعيشون فى الصحراء ، وهم فى حاجة إلى أن تمد لهم الدولة يد العون بالمشاريع ، والمواد الغذائية التى يجدون فيها ما يسكون به رفقهم ويصلحون به أحوالهم ، وليس ما يطلبونه استجداء ، بل هو حق المسلم على الدولة فى رعاية مصالح الشعب ، والنهوض بحاجاته .

فالوفادة هنا وفادة مطالب الحاجة ، ورئيس الوفد عظيم قوم ، يطلب للناس ، لا لنفسه .

والخليفة لا يضيق صدره بمطالب الوفود ، بل يفتح قلبه لمزيد من مطالبهم واحتياجاتهم ، حتى يحقق لهم ما يرغبون فيه .

ومن الاتجاهات الجديدة للوفادة فى عهد عمر - رضى الله عنه - استخدام الوفود فى معرفة مدى بلاء المجاهدين فى سبيل الله لإجازتهم وتكريمهم .

ومنها أيضا معرفة أقدار الرجال ، لتولى الأصلح منهم إدارة الولايات الإسلامية .

فالأغراض من الوفادة هنا تعددت واستحدثت بعضها ، والملاحظ استقرار الأسلوب ناصعا جليا متأثرا بمنهج الإسلام ، والمعانى ليس فيها غموض ولا التواء ، بل تتجه مستوية إلى الأغراض والأهداف التى من أجلها أنشئت ، وقد "فسح عمر لخطابة الوفود فى مجالسه ، تستمع لأقوامها ، وتذكر حاجتها ، واشتهر الأحنف بن قيس سيد تميم وأحد قواد الفتح بغير خطبة ألقاها بين يديه"<sup>(١)</sup> .

وينتهى عهد عثمان - رضى الله عنه - باستشهاده على أيدي الثائرين الذين استحلوا دمه الشريف ، وأزهقوا روحه الطاهرة ، وهو ساجد بين يدي الله تعالى .

وبمقتله - رضى الله عنه - تطل الفتنة برأسها ، لتشتعل نار الخلاف بين المسلمين ، ويقع الانقسام بين أبناء الأمة الواحدة فيتفرقون إلى شيعة وخوارج وأمويين . ويحمل كل فريق سلاحه يرفعه فى وجه أخيه المسلم ، يزهق روحه ، ويريق دمه ، متهما إياه بتبعية جريمة لا يعلم إلا الله من ارتكبها .

وباشتعال الصراع تنشط الوفادة من جديد ، بعضها لإصلاح ذات البين ، ولم شعث المتفرقين ، وحقق الدماء ، وبعضها لإنهاء نار الفتنة وتحريك عوامل الإثارة والاضطراب .

---

(١) تاريخ الأدب العربى (العصر الإسلامى) ١٠٩: ١٠٥ شوقي ضيف .

ومن أشهر الوفادات التي تمثل هذه المرحلة ، وتعكس لنا بصدق مظاهر هذه الأحداث ، وتعبّر عنها أصدق تعبير ، وفادة الصحابين الجليلين: أبى هريرة وأبى الدرداء . رضى الله عنهما على معاوية وعلى رضى الله عنهما ، وهى وفادة ذات غرض نبيل ، وهدف إسلامى كريم وهو محاولة القضاء على الفتنة وحقق دماء المسلمين وهى وفادة فريدة لأنها تجئ فى مرحلة فاصلة بين عصرين : عصر الخلفاء الراشدين وعصر الدولة الأموية ، كما أنها تمثل بداية الأدب السياسى بما يحوى من خصائص فكرية ولغوية واتجاهات عقدية معينة "وقيل اندلاع الحرب كان يتبادل على ومعاوية الوفود ، وكان يخطب غير واحد بين أيديهما وعيناً تحاول الوفود لم الشعث"<sup>(١)</sup>.

وأسلوب هذه الوفادة يتسم بالقوة ، وعنف العبارة ، والتعبير بجرأة وشجاعة فى مواجهة الولاة ، والتصدى لهم بالوعظ والتخويف من عقاب الله تعالى ، والدعوة إلى التحلى بالعدل وإنصاف ذوى الحقوق كما استند الأسلوب إلى الحوار الفكرى الذى يعتمد على الجدل المنطقى الذى يقور حق الحاكم طبقاً لما أقره المجتمع الإسلامى ، استناداً إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه الكريم.

وكان هذا نتيجة لما أضفاه الإسلام من صراحة ، وما غرسه فى أفراد المجتمع من حرية فى جميع المجالات ، يستطيع بها الفرد المسلم من الرد والتصدى وإبداء رأى ، لا يخشى فى الحق لومة لائم . رأينا هذا فى الوفود التى وفدت من الرجال أو النساء فى عصر بنى أمية ، وبخاصة فى خلافة معاوية بن أبى سفيان ، الذى حفلت

خلافته بالكثير من الأحداث والمواقف ، التي أشعلت وزادت من الوفاة وفاعليتها ، ونوعت أغراضها ومراميها .

كان معاوية أكثر الخلفاء الأمويين حظا من هذه الوفادات ، فقد توافد عليه الرجال والنساء .

وقد تعددت أغراض هذه الوفادات ، فكان منها (وفد المصالحة) بين الحسن بن علي - رضى الله عنه ، ومعاوية بن أبى سفيان .

وكان أكثرها وفودا تلك التى حرص أصحابها على الإفادة من كرم معاوية الذى كان حريصا على أن يؤلف القلوب ، ويكسب حبها ورضاها ، والحصول على انضوائها تحت لواء بنى أمية ، والتأييد لما استحدث من مظاهر سياسية تمثلت فى تغيير نظام الحكم من شورى إلى وراثى ، والقسوة والشدّة فى معاملة الخارجين على الدولة من زبيريين وشيعية .

كما نجح الوافدون فى هز أريحية وكرم الخليفة ، واستمنحوه فنالوا من نداه ما أضاء لهم طريق الحياة فى رغد وبلهنية العيش .

وقد لجأ خطباء الوفود إلى العوامل التأثيرية فى أساليبهم التى يستمطرون بها كرم الأمويين ذوى الأصول العربية ، والنحوه الأصيلة البدوية ، فاستخدموا - أحيانا - السجع الذى كان قد انحسر بانحسار الجاهلية ، يقول الدكتور شوقى ضيف : "...نلاحظ فى هذا العصر أنه (أى السجع) كاد ينحسر تماما عن الخطابة ، إلا بقايا ظلت فى خطابة الوفود حين كانت تقدم على الخلفاء"<sup>(١)</sup>.

وأرى أن ظهور السجع فى أساليب أعضاء الوفود فى هذا العصر أمر عادى وذلك لأمرين:

(١) تاريخ الأدب العربى (العصر الإسلامى) ١١٣ .



**أولهما:** أن معظم أفراد الوفود كانوا يأتون من بيئات بدوية وبدوتهم هذه قد تكون متأثرة — إلى حد ما — بما كان سائدا في بيئاتهم من أساليب ، لا يزال السجع مؤثرا فيها ، لما نعلم له من أثر موسيقى في نفوس العرب .

**ثانيهما:** حرص الدولة الأموية على إثارة الكثير مما كان سائدا في الجاهلية من عصبية وعادات وتقاليد ، قد يكون السجع أحد ملامحها في أساليبهم ، كما أن من طبيعة أسلوب الخطابة في ذلك العصر كان أسلوبا فطريا يساق الطبع ، ويوائم السليقة ، فهو لين هادئ أو ثائر عاصف ، حسب مقتضيات الأحوال ، وكانت الوفود تقوم بدور مؤثر في الصلح بين العشائر أو المنافرة أو الحث على الحرب أو السلام ، وعن زيادة اهتمام معاوية بالوفود ، والحرص على استقدامها ، يحدثنا د/ شوقي ضيف قائلا: "وندخل في عصر بنى أمية ، فتتحول هذه الوفود إلى سيول تقصد قصور الخلفاء ، وقصور الولاة ، متحدثة في شئون قومها . واشتهر معاوية باستقدامه الوفود من الأمصار ، حين تعن له فكرة سياسية ، كفكرة تولية ابنه يزيد الخلافة من بعده . وكانت هذه الوفود تتوب عن أقوامها في بيعة الخليفة الجديد ، وفي بث شكواها حين يلم بها ما يوجب الشكوى"<sup>(١)</sup>.

كما نلاحظ أن هذا الاهتمام باستقدام الوفود ، وفتح خلفاء بنى أمية — وبخاصة معاوية — أبواب قصره لهم ، شجع هؤلاء الوافدين على الورد إلى ساحته ، طمعا في عطائه ، وتطلعا إلى كرمه وسخائه ، فجاءوا مهنئين مظهرين طاعتهم معلنين عن ولائهم ، أو عارضين ظلامتهم ، طالبين رفع ما يعانون ، أو عزل من لظلمه يتعرضون .

(١) تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي) ٤٠٧، ٤٠٨ .

وكان الخلفاء الأمويون حراسا على الاطمئنان إلى ولاء هؤلاء الوافدين وانضوائهم تحت اللواء الأموى — إضافة إلى ما جبل عليه الأمويون من كرم وذكاء ، وثناء نتيجة قعودهم على عيون المال واستقرار الثروة بين أيديهم بعد الجلوس على كرسي الخلافة ، وحرصهم على أن يظل هذا العرش من نصيبهم وحدهم دون غيرهم .

"وكان معاوية أول من فتح أبوابه على مصاريعها لتلك الوفود فكانت ترد تباعا إلى ساحته ، تعلن نارة تعرض ظلامه لها ، وهو دائم الحفاوة بها ، يضيف عليها من نواله الغمر ، وتبعه الخلفاء الأمويون من بعده ، يستنون سنته" (١) .

ولقد حرص معاوية على لقاء الكثيرين من أتباع على وابن الزبير والاستماع إليهم ، ومناقشة أفكارهم ، ومنحهم الأمن والسلام والطمأنينة على أرواحهم ليتكلموا بحرية وصراحة ، ويعبروا بحرية وشجاعة حتى يستطيع أن يعرف ما فى داخله نفوسهم فيراجعهم ويناقشهم ، ثم يعلن لهم عفوه ، ويقدم لهم عطاءه ورفده .

ولم يقتصر موقفه هذا على الرجال ، وإنما امتد ليشمل النساء وربما امتدت مظلة كرمه ليوفر لهن كل مظاهر الراحة والرفاهية أثناء سفرهن إليه ، كما فعل مع الزرقاء ابنة عدى بن غالب الهمدانية ، التى وصفت له رحلتها إليه بقولها: إنها كانت ربيبة بيت أو طفلا ممهدا .

وكان من مظاهر بره بهن ، وسعة صدره لما يبدر منهم ، وربما أساءه - أن يتقبل ما يقلن ، ويعفو عنه ، ويصلهن بعبثائه بعد انتهاء لقائهن ، كما حدث مع الكثيرات منهن ، نظرا لكبر سن بعضهن ، أو انكسار ودلة بعضهن .

فها هي سودة بنت عمارة . تظهر له ذلها وانكسارها بقولها (ملت الرأس . (بتر الذنب) وهما كنيستان عن فقد الناصر والمعين ، وذهاب مظهر العز والذب عن الحريم .

وقولها له أيضا: (إنك للناس سيد ، ولأمورهم مقلد) مما يبدى خضوعها واستسلامها ، واعترافها بصيرورة مقاليد الأمور إليه . ثم طلبها أن يرفع عن قومها ظلم ابن أرطاة ، الذى بسط سلطان الخليفة بحصادهم حصاد السنبل ، ودوسهم دياس البقر ويسومهم الخسيسة . ويسألهم الجليلة ، مما أذاقهم الهوان ، وسامهم الخسف والذل بقتل الرجال ، وأخذ الأموال . فيستجيب لمظلمتها ، ويكتب بالعدل لها ولقومها .

وهو أيضا يحسن معاملة بكارة الهلالية ، لكبر سنها ، وذهاب بصرها وضعف قوتها ، وهوان عظامها ، فيعاملها بالرفقة وحسن المعاملة ، ويناديها بالخالة تكريما وتعظيما ، ويرد عنها أسنة الحاضرين ممن لم يرعوا فيها العوامل السابقة . ويسمع لها ، ويكرمها وهو يقدر فى هؤلاء الوافدات وفاؤهن لعلى ، ويجله فيهن ولا يحق عليهن ، بل يكافئنهن ويجزل لهن العطاء .

ونجد فى اعتراف إحدى الوافدات على معاوية ، وهى أم سنان بنت خيثمة ما يؤكد ما ذهبنا إليه من سمات معاوية الطيبة وحسن معاملته

لوافدات ، حيث تعجب من مدحها له فقالت: (سبحان الله ! والله ما مثلك مدح بباطل ، ولا اعتذر إليه بكذب ، وإنك لتعلم ذلك من رأينا وضمير قلوبنا ) إشارة إلى استحقاقه المدح ، وذكائه وسعة خبرته وعلمه وإحاطته بصدق مخاطبه أو كذبه .

وكان معاوية يجيد المحاوره مع مخاطبيه ، وربما ساقه الحماس وسخونة الموقف إلى الإتيان بعبارة تجرح من يحاوره ، فتلهمه أريحتَه إلى استدراك ما قد يكون اعتري حوارهِ . من ذلك ما وقع بينه وبين دارمية الجحونية حين قال لها: (فلذلك انتفح بطنك وعظم ثدياك ، وربت عجزيتك) فغضبت ، وتناولت سيرة أمه ، فأسرع إلى شرح وإيضاح عبارته بقوله: (إنه إذا انتفح بطن المرأة تم خلق ولدها ، وإذا عظم ثديها تروى رضيعها ، وإذا عظمت عجزيتها رزن مجلسها) فهدأت وسكنت .

وكان معاوية بهذا الحلم والكرم مثلاً يحتذى لأبنائه وأحفاده ونموذجاً يقتدى ، فساروا مسيرته ، ونهجوا نهجه ، واستقبلوا الوفود ، وأفسحوا لهم ، وسمعوا منهم ، وحققوا لهم طلباتهم ، وأعادوهم إلى ذويهم وقد ابيضت وجوههم وتهللت أساريرهم بما نالوا من تكريم — ثم ظهر الجمع بين أكثر من غرض في عصر يزيد بن معاوية ، حيث وفد عليه عبد الله السلولى فجمع بين التهنية بالخلافة والتعزية .

وقال له: "...أجرك الله على الرزية ، وبارك لك فى العطية وأعانك على الرعية ، فلقد رزئت عظيما ، وأعطيت جسما ، فاشكر الله على ما أعطيت ، واصبر على ما رزئت..."<sup>(١)</sup> .

(١) زهر الاداب الحصرى ٤٩/١ .

والعمل على إرضائهم ، وبخاصة النساء ، وقد كانت ليلي الأخيلية ذات شأن يذكر - كما بينا - فى وفادتها على الحجاج وسؤاله لها عما استقدمها عليه ، فوصفت له سوء الحال ، وقلة الرزق ، وفساد الجو وأن الفجاج مغيرة ، والأرض مقشعة ، والمبرك معتل ، وذو العيال مختل ... والناس مسنتون ... أصابتهم سنون مجحفة لم تترك لهم عافطة ولا نافطة ، وقد أذهبت الأموال ، وأهلكت العيال . ثم أنشدت له شعرا تستميحه به ، وتمدحه ، وتصف كرمه وشهامته وشجاعته . فأكرم وفادتها وبالغ فى إكرامها ، وزودها بما يرد عن قومها ما هم فيه من حاجة ومسألة .

واستن الحلفاء الأمويون بعد سنة سابقهم ، وزادوا فأصلحوا بين القبائل المتناحرة ، ودفعوا عنهم الديات ، وجلس بعضهم يستمع ويحاور من يقدون عليه .

ويأتى عبد الملك بن مروان بعد معاوية فى كثرة الوافدين عليه ويبدو أن حبه للشعراء والأدباء كان وراء هذه الكثرة ، وأنه كان يستمع لشعرهم ويستحسنه ، ويطرب له ، ويتمايل إعجابا وتأثرا ، ويستجيب لمطالبهم ، ويزيد فى عطائهم . وفى وفادة الأعشى عليه ما يصور بصدق كرم هذا الخليفة ، واستجابته للشعراء الذين يمدحونه فينالون ويستزيذونه فيحصلون .

ولم تقف الوفادة عند الاستجداء ، أو طلب العون ، بل تعدته إلى الحث والتحريض على قتال أعداء الدولة ، كما حدث بين أعشى بنى ربيعة وعبد الملك ، فقد حاربه ودفعه إلى الخروج لقتال ابن الزبير والنيل منه ، حيث قال:

قوموا إليهم لا تناموا عنهم .: كم للغواة أطلتموا إمهالها  
إن الخلافة فيكمو لا فيهمو .: ما زلتمو أركاتها وثمالها  
أمسوا على الخيرات قفلا مغلقا .: فاتهض بيمينك فافتتح أفعالها

وممن وفد عليه من الشعراء أيضا الشاعر الأجرد في جماعة من  
الشعراء واستمع إليه وأجازه .

كما وفد عليه كثير ، وأنشده ، مما جعله يتعجب من فصاحة لسانه  
وقوة جنانه ، وطول عنانه ، مع قلة بنيانه .

وكان الكميت بن زيد من أشهر الشعراء الذين وفدوا على يزيد بن  
عبد الملك ، وقد نصحه - شعرا - في إحدى وفاداته بشراء جارية  
وصفها له بشعره فقال :

هي شمس النهار في الحسن إلا .: أنها فضلت بقتل الظراف  
غضة بضة رخيـم نعوب .: وعثة المتن شخـطة الأطراف  
زاتها دلها وثغر نقى .: وحديث مرتل غير جافى  
خلقت فوق منية المتمعنى .: فاقبل النصـح يا بن عبد مناف

فضحك يزيد ، وقبل نصحه واشترى الجارية ، وأجاز الكميت  
بجائزة سنية .

ونصل إلى عصر الخليفة عمر بن عبد العزيز فنجد أكثر الخلفاء  
الأمويين شيها بمعاوية في كثرة الوفود . التي وجدت في إسلامه الغزير  
وأدبه الوفير ، وخلقـه السامى ، وتواضعه العالى ، ما حقق لأدب الوفادة  
التقدم والتطور والرقى .

## أدب الوفادة فى عصر الخليفة عمر بن عبد العزيز

لأدب الوفادة فى عصر الخليفة عمر بن عبد العزيز مذاق خاص نظرا لما كان يتمتع به هذا الخليفة من سمات ، أفردته ومازته عن بقية الخلفاء الأمويين ، مما دفع كثيرا من المؤرخين ، والمهتمين بالحضارة الإسلامية العربية ، أن يلحقوه بعصر الخلفاء الراشدين ، فلقبوه بالخليفة الخامس ؛ نظرا لما تحلى به هذا الخليفة المسلم العربى من عدل واتزان فى تصريف الأمور ، وخشية لله تعالى ، أفرزتها فيه عوامل الوراثية عن جده العظيم ، الخليفة العادل عمر بن الخطاب. رضى الله عنه .

ولشد ما تشابه عصره بعصر جده العظيم ، من سير على خطته وانتهاج لمنهجه ، وحرص على إحقاق الحق ، وإزهاق الباطل ، وإقامة لشرع الله تعالى ، وتطبيق لما يدعو إليه كتاب الله ، وما تحويه سنة رسوله صلى الله عليه وسلم . مما يرقى بالمجتمع الإسلامى ، ويسمو بأخلاق الفرد المسلم ، ومما جعل عصره بحق عصر العدالة الاجتماعية بكل أبعادها .

أضف إلى ذلك ، حب هذا الخليفة العظيم للأدب العربى ، وحفظ ما جرى على ألسنة الشعراء العرب من أبيات ، تغنوا بها فى ساحات الشعر العربى ، فى مناسبات مختلفة ، وما تحويه دواوينهم من عيون البيان العربى ، وحكمته البالغة ، وسحره الحلال .

من هذه التركيبة الرائعة لهذا الخليفة العظيم ، كان لأدب الوفادة فى عصره لون متميز ، ومذاق خاص .

فها هو يستقبل الوافدين عليه ، مع اختلاف مشاربهم العقديّة، وتعدّد ألوانهم السياسيّة والمذهبيّة ، التي قد تختلف معه في اتجاهاته ، فيشعشع للجميع ، ويرحب بهم ، ويسمع عنهم ، ويناقش مطالبهم ، فما رآه حقاً أجازّه ، وما أحس فيه شبهة تخلط بين الحق والباطل رفضه ، وبرئ إلى الله منه ومن أصحابه

وكم كانت حكمته واعترافه بالحق ، حين يفد عليه أهل العراق وفيهم شاب صغير السن، يتطلّع إلى الحديث دون شيوخه ، فيلفت الخليفة نظر هذا الشاب إلى أن في الوفد من هو أسن منه ، وأحقّ بالحديث عنه وهو خلق إسلامي عربي ، يؤخذ منه توقير الكبير ، ولكن الشاب يرد بحكمة وأدب ، مقرأ أن الله تعالى قد يؤتي صغير السن ما يؤهله للتصدّي لمثل هذا الموقف ، مستشهداً بالخليفة نفسه ، فيأذن له عمر بالتحدث ، داعياً له بالرحمة من الله ، فيعرض الشاب في بلاغة هدف الوفد من زيارتهم للخليفة ، فهم قد جاءوا ليقدموا لخليفتهم الشكر على ما حققه لهم من أمن وأمان .

وتتجلى حكمة هذا الخليفة العادل ، وحرصه على إزالة أسباب التوتر في دولته فيما حدث مع وفد الخوارج ، فزاه يسألهم عن سبب خروجهم على حكمه، ونقمتهم عليه ، فيجيبون بأنهم ما خرجوا عليه لعيب فيه أو في أخلاقه ، ولكنهم حاروا في أمر خالف فيه من قبله من أهل بيته ، وطالبوه بلعنهم والتبرؤ منهم. فيرد عليهم بأنه يعلم صلاح أمرهم غير أنهم أخطأوا الوسيلة ، وناقشهم مستدلاً بمواقف السلف الصالح من الخلفاء الراشدين وغيرهم، وأن الاختلاف من طبيعة البشر لا يوجب التبرؤ منهم ، أو الخروج عليهم، كما أن تمسكك



عمر بن عبد العزيز بحب الآخرة ، والزهد فى الدنيا ، جعل الوعاظ يكثرون الوفاة عليه ، يقول الحصرى : " ولم يكثر الوعاظ على باب كثرتهم على باب عمر بن عبد العزيز " (١) ومنهم خالد بن صفوان وعبدالله بن الأهم (٢) ومحمد بن كعب القرظى (٣) .

وكان ابن عبد العزيز أدبياً ، يحفظ الكثير من شعر الشعراء ، ويفهم أسرار عبارته ، وعمق معانيه ، ودلالته على مدى إيمان صاحبه ، كما كان — فى الوقت نفسه — حريصاً على بيت مال المسلمين ، وعدم منح الشعراء منه دون حاجة ، وكم شاعر أنشده وخرج دون عطاء ، لا لبخل منه ، ولكن حرصاً على مال المسلمين ، وعدم إنفاقه فى غير محله . ويدل على كرمه وعدم بخله قصة دكين الراجز الذى وفد عليه وهو وال فى المدينة ، فأمر له بخمس عشرة ناقة كراماً صعباً — فلما مات سليمان بن عبد الملك ، وولى عمر بن عبد العزيز النقى دكين بجريـر الشاعر ، فلما سأله من أين أتيت؟ قال : من عند أمير يعطى الفقراء ويمنع الشعراء .

ثم يفد عليه جمع من الشعراء فيهم كثير والأحوص ونصيب فيقيمون عنده أربعة أشهر ، لا يسمح لهم باللقاء . فلما دخلوا عليه ما كان يسمع لأى منهم ، إلا بعد أن يطلب منه أن يكون صادقاً فيما يقول ، ثم نجده يلم إماماً دقيقاً واعياً ، فهو يرد ابن أبى ربيعة لغزله بالمرأة ، كذا يرد جميل ابن معمر ، ويرفض دخوله عليه أبداً ، كذا يرفض دخول كثير عزة لقوله عن رهبان مدين ، واصفاً إياهم فى نصف بيت — عند سماعهم حديث

---

(١) زهر الأداب الحصرى ٧/١ .  
(٢) البيان والتبيين الجاحظ ١١٧/٢ .  
(٣) البيان والتبيين الجاحظ ٣٤/٢ وعيون الأخبار ٣٤٣/٢ ، ٣٧٠ .

عزة ( خروا لعزة راكعين سجودا ) ويطلب إبعاد الأحوص الأنصارى داعيا عليه بأن يبعده الله ويمحقه ، ويرفض دخول همام بن غالب ، لفخره بالزنا ، كما يرفض دخول الأخطل التغلبي لرفضه صيام رمضان ، وعدم التزامه بمبادئ الإسلام — وأخيرا يسمح لجريز بن الخطفي ، فلما مثل بين يديه طلب منه أن يتقى الله ولا يقول إلا حقا ويمنحه مائة هي ثلث ما بقى له مما يملك — وخرج من عنده وهو يقول لمن وراءه لا يسوءكم خرجت من عند أمير يعطى الفقراء ويمنع الشعراء .

وهكذا سيطرت هذه النزعة الإيمانية الصادقة على هذا الخليفة المؤمن العادل ، فحرص على مال المسلمين ، ولم يبعثه كما فعل من سبقوه ، بل ذهب إلى مراجعة مخصصات أمراء بني أمية من هذا المال مما أثار حفيظتهم ضده ، واتهام بعضهم له ، ولذا نراه يمحس مواقفه تجاه التصرف في مال المسلمين ، ويدقق في الاتفاق منه ، والتصرف فيه ، خوفا من الله عز وجل ، فهو يوجه هذا المال إلى مصلحة المسلمين ولا يخرج منه درهما إلا لمن يستحقه ، فهو يعطى الفقراء ، ويضن على الشعراء ، الذين تجرعوا على أخلاق الإسلام ، وتمردوا على مبادئه وجاء في أقوالهم ما دفع هذا الخليفة المسلم إلى أن يرفض دخولهم عليه مبررا موقفه بما جاء في أشعارهم مما يرفضه دينه وخلقه .

وتمضى بنا الوفاة إلى العصر العباسي ، حيث تصور لنا اهتمام الخلفاء العباسيين بالشعراء ، واتخاذهم حلية لمجالسهم ، وتقريبهم والاحتفاء بمدائحهم ، وتقديم المنح والعطايا لهم ، واجزال الجوائز والهبات إليهم ، مما ارتقى بالشعر خاصة ، ودفع الشعراء إلى قدح زناد

أفكارهم ، والتعمق فى معانيهم والتعبير بأجمل الصور ، وأدق الألفاظ والعبارات ، حتى ينالوا إعجاب الخلفاء والولاة ، فيجزلوا لهم العطاء .

وكان الرشيد من أكثر خلفاء بنى العباس حرصا على إكرام وفادة الشعراء ، رغم انشغاله بهوموم الحرب ، ومواجهة أعداء الدولة ، ويصور لنا أشجع السلمى وفادته على الرشيد ، وقد شخص إليه من البصرة إلى الرقة ، ويدخل السلمى إلى الرشيد — ضمن وفد من الشعراء — ويبدأ فى إنشاده بقوله :

إلى ملك يستغرق المال جوده .: مكارمه نثر ، ومعروفه سكب

وفيها :

متى تبلغ العيس المراسيل بابيه .: بنا ، فهناك الرحب والمنزل الرحب

ويدرك الرشيد حرص أشجع على نوال عطائه ، وأنه ترك الغزل فى مستهل أبياته ، فيضحك ويقول له : خفت أن يفوت وقت الصلاة فينقطع المديح عليك ، فبدأت به وتركت التشبيب . وطلب منه أن يبدأ بالتشبيب ، فأنشده ، ونال ضعف ما أخذه كل شاعر .

وهذا يصور لنا مدى كرم الرشيد وأريحيته ، وحرصه على التمتع باستماع شعر الشعراء ، ومكافأتهم ، وإحزال العطاء لهم .  
وكما حرص الرجال على الوفود إلى خلفاء العباسيين وكبار رجال الدولة ، نجد النساء يفتدن إلى خلفاء بنى العباس ، فهذه امرأة تفد على المأمون ، تشكو إليه ظلامتها شعرا ، تصور أنها عدى عليها ، واستلب مالها ، ولم يترك لها شئ ، وفى المجلس ارتفع صوتها على خصمها وهو ابن الخليفة ، فلما طلب منها أحمد بن أبى خالد ألا ترفع صوتها فى

حضرة الخليفة ، قال له المأمون: دعها ، فإن الحق أنطقها وأخرسه ، ثم قضى لها برد ضيعتها ، والكتابة إلى عامله ببلدها ، أن يرد لها أملاكها ويحسن معاملتها .

**ومن الوفادات في ذلك العصر :** وفادة إبراهيم بن المهدي على المأمون ، حيث دخل عليه ، يستعطفه ويطلب عفوه وصفحه ، مقرا بأحقية الخليفة في الثأر ، وامتلاكه العفو ، فإن شاء انتقم ، وإن تعطف عفا. وأنشد بين يديه، معترفا بعظم ذنبه ، وأن الخليفة أعظم من هذا الذنب ، ويخول إليه الأخذ بهذا الحق ، أو العفو عنه ، فيرد الخليفة بأن العفور مع القدرة يشفى الصدور ويحطم ما يلهب نار الغيظ ، وأن العفور حيب إليه مرضاة الله تعالى. وعفا عنه ، ورد إليه ضياعه وأمواله فاستحق بذلك حب الله ومرضاته ، وشكر الشاعر وثناءه .

وإذا حاولنا أن نقيس مدى انتشار أدب الوفاة في العصور العباسية فإننا سنلاحظ قلة الوفود في عصور الدولة ، وبالتالي قلة النصوص الأدبية المتعلقة بهذه الوفود ، عما كان مفروضا أن تكون عليه، من حيث امتداد رقعة دولة بني العباس من ناحية ، واتساع رقعتها الزمانية من ناحية أخرى ، وكثرة الأحداث وحدثها من ناحية ثالثة ، ولكننا نفجأ بقلة الوفود والنصوص ، مما لا يتناسب مع ما أشرت إليه . ولمعرفة الأسباب المؤدية إلى تراجع الوفود نجد أنفسنا أمام عوامل عديدة ، أرى أن لها أثرا مباشرا في ذلك:

**أولها:** ما اضطبغت به دولة الخلافة العباسية من مظاهر حضارية نقلها إليها الفرس الذين تغلغل نفوذهم إلى كل شأن من شئون الدولة فعملوا على إلباسه المظاهر الفارسية ، بما في ذلك الخلفاء ومجالسهم

ونظام المثل بين أيديهم ، حيث أقاموا الحجاب ليحولوا بين الخليفة والداخلين عليه إلا بائن ، عاملين على الحيلولة بين العرب وما اعتادوه من الدخول على خلفاء المسلمين إبان عصرى الخلفاء الراشدين فالأمويين، حيث لم يعد العرب يدخلون على الخلفاء كلما أرادوا ، كما كان الشأن فى عصر بنى أمية ، بل لابد لهم — قبل الدخول عليهم — من استئذان هؤلاء الحجاب<sup>(١)</sup> .

ونلاحظ هنا أن الخطابة السياسية قد ضعفت ، كما ضعفت الخطابة الحفلية ، لارتباطهما كليهما بما كان متاح للمتحدثين من أعضاء الوفود فى بلاط الخلافة ، فقد حيل بينهم وبين ما كانوا يتمتعون به من شرف المثل والكلام فى حضرة الخلفاء ، بعد أن عملت الحجابة عملها بحجبهم — أو بمعنى أوضح — حجب الغالبية منهم عن المثل بين يدى الخلفاء .

يقول الدكتور/ شوقى ضيف:

"وعلى نحو ما ضعفت الخطابة السياسية ، ضعفت الخطابة الحفلية التى كنا نعهدها فى عصر بنى أمية ، لسبب طبيعى ، وهو أن وفود العرب لم تعد تغد على قصور الخلفاء وبالتالى لم يعد خطابوها يفدون عليهم ، فقد أسدلت الحجب بين الخليفة والرعية ، ولم يعد يلقى خطاباءهم المفوهين"<sup>(٢)</sup> واقتصرت الخطابة الحفلية على (بعض) مناسبات ، كأن يموت للخليفة ابن أو بنت فيقف (بعض) الخطاباء لتعزيته ، أو كأن يموت خليفة ، ويتولى خليفة جديد فيجمع (بعض) الخطاباء بين التعزية والتهنئة

---

(١) تاريخ الأدب العربى (٣) العصر العباسى الأول ص ٢١٠ د شوقى ضيف دار المعارف ط ١٩٦٦ .

(٢) تاريخ الأدب العربى — العصر العباسى الأول ٤٥٠ د شوقى ضيف .

من مثل قول ابن عتبة للمهدى بهنثه بالخلافة ، ويعزيه فى أبيه المنصور :

"أجر الله أمير المؤمنين على أمير المؤمنين قبله ، وبارك لأمر المؤمنين فيما خلفه له أمير المؤمنين بعده ، فلا مصيبة أعظم من فقد أمير المؤمنين ، ولا عقبى أفضل من ورائة مقام أمير المؤمنين •

فاقبل يا أمير المؤمنين من الله فضل العطية ، واحتسب عنده أعظم الرزية (١) " .

ثانيها : تعدد الدواوين التى أنشئت ، كديوان الجند ، وديوان الخراج وديوان الحرب ، وديوان الرسائل وكان لكل منهما كاتب ينظر فى أمره ويدير شؤنه •

وكانت هذه الدواوين تتلقى ما يتصل بها من حاجات المواطنين وتعمل على حلها ؛ تخفيفا من مسئولية الخليفة ، وحرصا على راحته وحفاظا على وقته ، وأمنه ، وحدا من تنفق زوى الحاجات على ساحته •

وكان القائمون على هذه الدواوين من خاصة الكتاب الذين يختارون بعد اختبار صعب ، وامتحان عسير ، وتدريب شاق ، وإتقان للغة ومعرفة بأساليبها ، وأسباب وضوحها وجمالها •

وقد وصف الجاحظ ما كان عليه هؤلاء القائمين بأمر الدواوين مشيدا بقدرتهم البيانية " إنهم لا يقفون إلا على الألفاظ المتخيرة والمعانى

---

(١) البيان والتبيين ١٩٢/٢ الجاحظ •

المنتخبة ، وعلى المخارج السهلة ، والديباجة الكريمة ، وعلى الطبع  
والتمكن ، وعلى السبك الجيد ، وعلى كلام له رونق ، وعلى المعانى التى  
إذا صارت فى الصدور عمرتها وأصلحت لها من الفساد  
القديم وفتحت للسان باب البلاغة ، ودلت الأقلام مدافن الألفاظ وأشارت  
إلى حسان المعانى" (١) .

### ثالثها: مجالس الخلفاء:

فقد حرص الخلفاء على أن يزينا مجالسهم بالشعر ، ويعطروا  
جوها بروح السمر والمرح ، وأن يحيطوا أنفسهم بأزاهير الشعراء  
وكذلك حرص أمراؤهم ووزراؤهم وسراةم على أن ينقلوا إلى قصورهم  
ومجالسهم ما يدور فى حضرة خلفائهم ، فاتخذوا لهم مجالس كمجالسهم  
وسمرا كسمرهم ، فأجزلوا العطاء للشعراء وأجروا عليهم المرتبات  
والعطايا والهبات .

وأصبحت هذه المجالس هنا وهناك مثل الندوات العلمية والأدبية  
وارتادها العلماء والشعراء ، يتناظر كل فريق منهم أمام الخليفة ، ويهتم  
كل منهم بتقديم أرقى وأفضل ما جمع من ذخائر فن الكلمة والمعرفة  
ويتسابق كل منهم ليحصل على حظوة الخليفة أو الأمير أو الوزير لينال  
رفده وعطاءه .

ولقد اكتظلت هذه المجالس بالشعراء ، مما فتح مجال ارتقاء الشعر  
سدة الهيمنة ، فجال الشعراء بفهم ، وصالوا فى كل ميدان ، مما حد من  
مجالات الخطابة بفنونها المعروفة وبخاصة فى مجالى الخطابة السياسية

(١) البيان والتبيين ٢٤/٤ الجاحظ .

والحفلية ، وقد اشترطوا فى النديم أن يحسن فن المسامرة فكان لمجالس الخلفاء والوزراء وعلية القوم أيضا آدابها ، وهى تعرف بأدب المسامرة وكان لا بد للنديم من إحسانها حتى يخف على قلب منادمه<sup>(١)</sup> وهيات الظروف لهؤلاء الندماء أن يصل بعضهم للمناصب العليا فى الدولة أو الحصول على الصلات والمنح والعطايا السنية .

رابعها: ثراء الدولة: فقد كانت الدولة العباسية ترفل فى ثياب العز والنساء ، نظرا لاتساع رقعة البلاد ، وكثرة خيراتها ، وارتقاء أسباب العيش فيها ، واطمأن الخلفاء والوزراء إلى بلهنية العيش ، وسعة الرزق فانخرطوا فى سلك الحياة الرغدة ، وبالغوا فى الإنفاق ، وسكنى القصور الفارحة ، والحدائق الغناء ، وامتلاك الجوارى والإماء ، وسلكوا فى حياتهم مشارب لم يكن الإسلام يسمح بها لحكامه ، من شرب الخمر واللهو والعبث ، والإقبال على الدنيا ومفاتها ، وتعيم الحياة وزخرفها والابتعاد عن كل ما ينغص حياتهم أو يكدر صفو عيشتهم .

وقد عاش الشعراء منعمين فى ظل هذا الثراء ، وأجريت عليهم المرتبات والعطايا ، وسمح بعض الأمراء باصطحاب الشعراء لهم فى مغازيهم وحروبهم ، ووصف بطولاتهم وأمجادهم ، فقربهم وأكرمهم وأقطع بعضهم شعراءه جزءا من إماراتهم ، مكافأة لهم كما حدث من سيف الدولة الحمدانى لأبى الطيب المتنبى .

والمعروف أن الرشيد الذى ولى الخلافة سنة ١٧٠هـ — وامتدت خلافته إلى ١٩٣هـ — "ويعد عصره العصر الذهبى للخلافة العباسية ، بما

---

(١) تاريخ الأدب العربى — العصر العباسى الأول ٥٣ .



بلغته من أبهة الملك وفخامته ، ولا تزال نكراه حية فى نفوس العرب إلى اليوم ..... وحفلت (دولته) حينئذ بالعلماء من كل صنف والمترجمين والأطباء والشعراء والمغنين والمغنيات والجوارى من كل جنس وعلى كل لون ... كان كلغا بالسماع والمتاع بنعيم الحياة ، مع إعطاء الدين حقوقه ، ولم ير خليفة أسمح منه بالمال ، وكان يحب الشعر والشعراء ويميل إلى أهل الأدب والفقه<sup>(١)</sup> .

### **خامسها : تعدد الاتجاهات المذهبية والسياسية:**

بدأت الأمة الإسلامية منذ مقتل الخليفة عثمان بن عفان - رضى الله عنه - تواجه أزمة طاحنة ، ظهرت معها عوامل الفتنة الكبرى بين المسلمين ، وأخذ الصراع بين معاوية وعلى حول هذه القضية يتصاعد ويتعقد حتى انتهى باستشهاد الإمام على رضى الله عنه ، بعد مأساة التحكيم ، فانقسم المسلمون إلى ثلاث فرق: شيعة وخوارج وأمويين "رفع كل فريق راية التحزب فى عهد معاوية ومن جاء بعده ، وتعالّت الأصوات فى الجدل الدينى والسياسى . واتسعت رقعة الدولة ، وكثر القواد والولاة ، واشتعلت الحرب الداخلية بين بنى أمية وخصومهم . وزاد المد الإسلامى فى كل المسارات الخارجية ، وظهر خطباء بارزون فى السياسة والدين والاجتماع من دعاة الأحزاب ، والقائمين بالثورات فى العراق وفارس وغيرها ، وسائر الفرق الدينية ذات الآراء المختلفة بما لديهم من أفكار وآراء يطرحونها فى المحافل والمناسبات المختلفة بأساليب متنوعة"<sup>(٢)</sup> .

---

(١) تاريخ الأدب العربى - العصر العباسى الأول ٣٦ وما بعدها د/شوقى ضيف  
(٢) من صحائف الأدب العربى فى العصر الإسلامى ١٠٤ د/ السيد محمد ديب  
١٩٩٤ م .

وظلت هذه الفرق والأحزاب فى صراع دموى من أجل نشر بادئها وآرائها ، وقتال شرس من أجل إثبات حقها فى انتزاع كرسى خلافة ، والسيطرة على تلك المساحات الشاسعة التى احتوتها الدولة المتمتع بالثروات الهائلة التى تجببها .

ومما ساعد على إذكاء الصراع ضعف خلفاء بنى أمية فى الفترة الأخيرة، وانصرافهم إلى رعاية مصالحهم الخاصة ، وغفلتهم عما يدور حولهم من مشاكل وما تتردى إليه الدولة من انهيار ، أضف إلى ذلك ما كان من صراع بين أفراد البيت الأموى أنفسهم، ولم يكد القرن الأول الهجرى ينتهى حتى كان الدعاة إلى الدولة الجديدة ينتشرون فى أرجاء البلاد ، يدعون الناس إلى الرضا من آل البيت . يخفون شخصيته تحت ستار الخوف عليه ، إلى جانب التعمية على الناس، بعضهم يظنه من العلويين ، والآخرين يحسبونه من العباسيين، مستغلين ما أحدثته سياسة الأمويين فى الناس من استياء، ثم ظهرت حقيقة الدعوة ، وأنها للبيت العباسى ، ونشط أتباع العباسيين ، وكان على رأسهم (أبو مسلم الخراسانى) الذى نهض بأمر الدعوة فى خراسان ، واستطاع أن يفرق بين العناصر العربية التى اتفقت على مناصرة بنى أمية ، وقتال أبى مسلم وأعوانه ، واستطاع بذكاء ودهاء أن يفرق بين هذه العناصر ، مما قوى شوكته ، ومهد له سبيل النصر والغلبة .

وأخذ أبو مسلم يزحف بأعوانه ، داعيا للدولة الجديدة ، منتصرا على جيوش بنى أمية بقيادة آخر الخلفاء الأمويين (مروان بن محمد) الذى هزم فى موقعة (الزاب) وفر إلى مصر حيث قتل عند قرية (أبو صير) بجنوب مصر .

وفى الثانى عشر من ربيع الأول سنة ١٣٢هـ أعلن أبو العباس السفاح بالجامع الكبير فى الكوفة ، بدء قيام الدولة العباسية<sup>(١)</sup> .

وبدأ خلفاؤها فى تصفية حساباتهم ، وكان الرجل الذى قامت على أكتافه الدولة الجديدة (أبو مسلم) أول من اغتاله خلفاء بنى العباس على يد أبى جعفر المنصور ، مفتحين بذلك صفحاتهم السوداء التى دفعت الكثيرين إلى الثورة ، ومناهضة العباسيين، فظهر العلويون مطالبين بحقهم فى الخلافة ، وهم يعتقدون أنهم أصحاب الحق فى ذلك ، كما أطل بعض الأمويين أملين فى استرداد بعض مجدهم ، كما صدم البرامكة بغدر بنى العباس بهم ، فحلت (نكبة البرامكة) بهذه الأسرة الفارسية التى أخلصت ، وقدمت الجهد والعرق من أجل الدولة ونهضتها ، ولكن التأمر والدرس والغدر كلها كانت الأسلحة التى استغلها المتسلقون والمستغلون .

وتوالت الثورات على أيدي القرامطة والزنج وغيرهم ، كما توالى بطش الخلفاء بالفرس، والاستعانة بالترك الذين تلاعبوا بخلفاء بنى العباس، وسملوا عيون بعضهم ،وعينوا وعزلوا كما يشاؤون. حتى دمروا هذا الكيان الذى كان يوما أغنى وأقوى وأعز دولة . حتى هاجم المغول بغداد وأسقطوا الدولة .

يقول الدكتور شوقى ضيف مصورا مدى تدخل الأتراك فى شئون الدولة ، مما كان سببا فى ضعف الدولة وضياعتها: "استولى الأتراك منذ

---

(١) الأدب العربى فى العصرين العباسى الثانى والأندلسى ص ٦٠ د/محمد إسماعيل ١٩٨٣ م .

قتل المتوكل على المملكة ، واستضعفوا الخلفاء ، فكان الخليفة فى يدهم كالأسير ، إن شاعوا أبقوه ، وإن شاعوا خلعوه ، وإن شاعوا قتلوه<sup>(١)</sup> .

وهكذا نجد أن دولة الخلافة — رغم ثرائها — كانت تموج بالاضطراب والمشاكل والثورات ، وكانت تزخر باللهو والطرب والمجون ، وكان على الجانب الآخر فقراء معدمون ، فظهرت طائفة من الزهاد والوعاظ — أما الشعراء فهم الطبقة التى وجدت فى بلاط الخلافة طلبتهم من الثراء ، والجاه والسلطان ، وتقرّبوا إلى ذوى المناصب العليل فى الدولة ، وارتقى الشعر ، وسلك أغراضاً جعلت هذا العصر بحق: العصر الذهبى للأدب العربى .

---

(١) تاريخ الأدب العربى — العصر العباسى الثانى ص ١٣ د/شوقي ضيف دار المعارف ط ٣ .

### تعدد الحواضر والمراكز الثقافية: كانت دمشق فى عصر

الأمويين حاضرة البلاد ، التى إليها يقد الأدياء ، ثم كانت بغداد فى العصر الأول هى حاضرة الدولة ، مركز النشاط الأدبى واللغوى ، ثم تعددت الحواضر ، وكثرت المراكز الثقافية ، وبعد أن كان الأديب يقصد (بغداد) وحدها ، على سبيل المثال ، انفسح أمامه المجال ، إذا تعددت تلك الحواضر ، وكثرت تلك المراكز الثقافية ، من أدبية ولغوية ، وأصبح أمام الأديب أكثر من مكان يقصده ويفد إليه ، يعرض فيه فنه ، وينشر فيه معرفته وعلمه . فاتجهت وفودهم إلى حيث يجدون طلبتهم ، إذ تسقط الطير حيث ينتثر الحب . فاتجهوا إلى (حلب) و(الرى) و(القاهرة) و(بخارى) و(نيسابور) وغيرها .

وكان لتعدد تلك الحواضر دور آخر ، إذ اتسمت كل حاضرة بوجه صاحبها وفكره ، وتسابق هؤلاء الأمراء - كل يبغي أن تظهر إمارته على غيرها من الإمارات ، وتتحدى بهذه الكوكبة من شعراء العصر ، فعمل كل منهم على اجتذاب هذه الصفوة من الشعراء ، ونافس كل أمير نظيره من الأمراء الآخرين ، بكثرة من يقدمون عليه ، ويقدمون على بلاطه من الشعراء والأدياء .

لذا أقبلت وفود الشعراء على هؤلاء الأمراء ، ولازموهم فى مجالسهم ، وأكثروا من مدائحهم ، لنيل عطايتهم ، وتسابقوا إلى سلاحتهم كما حدث من (أبى الطيب المتنبى ) الذى لزم (عضد الدولة ) ثم (سيف الدولة ) ثم (كافور الإخشيدى) وخص كلا منهم بمدائحه ، ولازم سيف الدولة فى معاركه ، فوصفها وأشاد بشجاعته وجراته. فأفاض عليه سيف الدولة من بره وجوده ، وهكذا كان بلاط هذا الأمير العربى مقصد الوفود

من الشعراء المتطلعين إلى عطائه ونواله ، كذا كان الحال في مكة التي وفد إليها الشعراء من نجد والبادية ، والمدينة التي ضمت شعراء الحجاز والجزيرة ، وكان المتنبي من أكثر الشعراء نشاطا وتنقلا من أجل تحقيق مراده ، فنجدته (في سنة ٣٣٦هـ يتجه إلى ولاية سيف الدولة في حلب فيمدح أبا العشائر - ابن عم سيف الدولة - والي أنطاكية ، فأجزل له العطاء . وفي العام التالي يقدم سيف الدولة أمير حلب فيمدحه المتنبي ويعجب كل منهما بصاحبه ... وظل المتنبي في بلاط سيف الدولة أثيرا لديه تسع سنوات<sup>(١)</sup> .

وفي سنة ٣٤٦هـ ، يغادر المتنبي حلب مغضبا ، فيقصد "كافور الإخشيدى بمصر ، وهو يرجو أن ينال من كافور إمارة أو ولاية يغيظ بها الذين كادوا له في حلب وأخرجوه منها ، فمدحه بقصائد عظيمة ، ولكنه لم يظفر منه بشئ"<sup>(٢)</sup> فيحتال للخروج من مصر ، وأخيرا يفر منها ليلة العيد ، ويهجو كافورا بقوله:

لا تشتر العبد إلا والعصا معه .: إن العبيد لأكجاس مناكيد  
وكانت حياة المتنبي كلها ارتحالا من مكان إلى آخر ، منذ بدايته شبابه. يقول د/ طه حسين: "وكان المتنبي حين أغار القرامطة على الكوفة في الرابعة عشرة من عمره ، وكان المتنبي حين جلا القرامطة عن العراق في الخامسة عشرة من عمره . ونلاحظ أنه في ذلك الوقت بعد جلاء القرامطة عن العراق لم يستقر في الكوفة ، وإنما يحدثنا الرواة أنه ارتحل عنها ، وارتحل معه أبوه إلى بغداد بعد جلاء القرامطة عن الكوفة ... وإقامة المتنبي في بغداد لم تتصل ... إنما أقام ببغداد فترة

---

(١) نصوص من الأدب العباسي (العصر الثاني) ٩ / ١ أ.د/ حسن الكبير .  
(٢) السابق ١١ / ١ أ.د/ حسن الكبير .

قصيرة ، ثم ارتحل عنها إلى الجزيرة وشمال الشام<sup>(١)</sup> . وكما أشرت  
انتقل بعدها إلى مصر .

وهكذا كان تعدد الحواضر ميدانا متسعا أمام الأدباء للتثقل والشدو  
والنيل وتحقيق الثراء والمجد ، "ومن الملاحظ أن الوطن العربي الفسيح  
رغم تقسمه وتقسخه وقتئذ ما كان إلا وطننا واحدا مفتوح الأبواب أمام  
العلماء والأدباء ، يسبحون فيه كما يشاءون ، ويتفلقون كما يريدون ، ولا  
أدل على ذلك من تنقل المتنبي بين الشام ومصر والعراق وما جاوره ،  
ثم توزيع مدائحه على سيف الدولة وغيره من ال حمدان<sup>(٢)</sup> .

ونلاحظ أن الميدان هنا كان للشعر أكثر ، فازدهر وأتى ثماره  
وتفوق على غيره من ألوان البيان ، وصور التعبير .

وظل هذا الازدهار الأدبي في عصر الدويلات الأولى كالبويهيين  
ومن جاورهم ، ولكنه بدأ في الاضمحلال والتراجع في عصر السلاجقة  
الذين لا يحسنون العربية ولا يتذوقون أدبها ، ولا يفهمون شعرها  
وشغلتهم دنياهم المملأ بالتأمر والتشاحن وحب المال إلى إهمال الأدب  
وصد الشعراء ، وكف أيديهم عن عطائهم ، وكانت كيوه الأدب والشعر  
على أيديهم .

---

(١) مع المتنبي ٤٦ د/ طه حسين دار المعارف ط١٣ لسنة ١٩٨٦ .  
(٢) الثعالبي ناقدا في يتيمة الدهر أ د/ حامد محمد الحطيب ص٥٦ مطبعة الأمانة  
سنة ١٩٨٨ ط١ .

### ب - السفارة:

أما السفارة . فقد علمنا وجودها منذ العصر الجاهلي ، وعرفنا ما كان من أمرها بين النعمان وكسرى ، وكيف حاول المتغطرس الفارسي أن ينال من العرب وأخلاقهم وعاداتهم ، وأن يحقر من شأنهم ، ويحبط من أقدارهم ، أمام وفود الأمم الأخرى ، وكيف تصدى له الملك العربي يرد عن قومه ما ألحقه بهم هذا الدعي المتغطرس ، المغرور بمظاهر ملكه ، المحتمي بحراب جنده ، ففند له النعمان كل تهمة ، ودحض له كل فكرة ، وأعلى قدر العرب ، ورفع شأنهم ، وأبطل كل تهمة حاول المغرور إلحاقها بهم .

ولم يكتف النعمان بما كان ، وإنما جمع بعد عودته إلى أرضه جماعة من خير رجال العرب ، وأشجعهم ، وأبينهم ، وزودهم برسالتهم إلى الطاغية ، للرد عليه وإفحامه ، فكانوا خير سفراء عن أمتهم بما واجهوا به هذا الحاكم المتغطرس . وذهبوا في الدفاع عن أمتهم مذهب الشجعان ، واستعدوا للقاء والنود مسلحين بالهيئة التي ترد على المغرور غروره ، والبيان الذي يفسد عليه ادعاءه ، وقد أحسن النعمان اختيارهم ، وشرح لهم أبعاد سفارتهم وشرف رحلتهم ، وعرفهم بمهمتهم ، فلما وصلوا إلى ساحته كانوا عن أمتهم خير ذادة ، وبسطوا أمام يديه عظمة أمة العرب ، وطيب أرومتها ، وأصالة شرفها ، ورفعوا رايات عزها وأنها أمة تأبى الضيم ، وترفض المهانة والذل .

خرج أكثم بن صيفي وحاجب بن زرارة التميميان ، والحارث بن عباد وقيس بن مسعود البكريان وخالد بن جعفر وعلقمة بن معد يكرب الزبيديان ، والحارث بن ظالم المري . وقد زودهم النعمان بشحنة من



العاطفة والفكرية ، وهى لهم سبيل توصيل الرسالة المهمة إلى كسرى وأن الكلمة العربية هى خير وسيلة لصد هجمات كسرى الظالمة المتعنتة ضد الأمة التى تحفظ جوارحه ، وتصون أمنه ، وتعمل على استقرار دولته ، وترتب النعمان لسفراته أدوارهم فى الكلام ، وكساهم بما هم أهل له من العظمة فى قومهم ، فكانوا أكرم سفراء ، لأشرف مهمة .

وقد زودهم النعمان برسالة يتقدمون بها إلى كسرى . وهى فى قيمتها تشبه ما نعرفه اليوم بـ ( أوراق الاعتماد ) التى يقدمها السفراء بين يدى ملوك ورؤساء الأمم التى يسفرون إليها .  
وقد أدى كل سفير من هؤلاء الرجال دوره المنوط به ، وطبعت كلمته أثارها المحموده فى نفس كسرى ، وأثارت إعجابه بحسن المنطق وروعة الحكمة المنطلقة مع اللفظ ، ودقة الكلمة المعبرة عما يجيش فى صدور الناطقين بها . ورقى الفكر ، والسمو به .

"وكانت القبيلة إذا نبغ فيها شاعر (توافدت) القبائل إليها ، فهنأتها بهذا النبوغ ؛ لأنه وسيلة رفعتها بين القبائل ، (سفير) لها لدى جيرانها ولدى ملوك الدول من حولها"<sup>(١)</sup>.

وتشرق شمس الدعوة الإسلامية ، ويتطلع الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الأمم المجاورة ، وكبار القبائل العربية ، وبدأ لون من الجهاد النبوى الكريم لنشر رسالة التوحيد والإيمان ، بتوجيه رسائل نبوية مشرفة ، مع رجال نوى صفات سامية ، وأخلاق عالية ، ونعرف أن "إيفاد الرسل أمر معروف منذ أقدم العصور لدى مختلف الدول والشعوب

---

(١) الشعر العربى . ضوابطه وموسيقاه (المقدمة) أ.د/ محمد أحمد سلامة ط  
المحمدية - القاهرة ١٩٩٧ م .

ولقد عرف اليونان والرومان هذا الضرب من الاتصالات الدولية ، وكذلك عرفته الحضارة الصينية القديمة ، وعرفه من قبل قدماء المصريين ، ثم أخذ يتطور ويتأهل تدريجاً في العصور المتأخرة حتى أصبح من أهم ضروب الاتصالات الدبلوماسية المعروفة في العصور الحديثة ، فالملوك والرؤساء يوفدون الشخصيات الممتازة في مهام معينة حاملين رسائل موجهة إلى ملوك الدول المختلفة ورؤسائها ، تنطوي على آراء أو مطالب معينة<sup>(١)</sup> .

ويتمتع هؤلاء السفراء بحماية مخصوصة متعارف عليها إذ لا يستطيع أحد أن ينالهم بسوء ، مهما يكون مضمون الرسالة التي يحملونها" وقد يدفع الصلف وسوء الخلق إلى النيل من السفير - كما سنرى بعض السفارات ، ثم إن هؤلاء السفراء يختارون بدقة وعناية من بين "الأشخاص الذين يتمتعون بالعلم الواسع ، والذكاء الخارق ، والسمعة الطيبة والمظهر اللائق ، والرونق الشائق ، والمنطق اللطيف ، والبديهة الحاضرة ، حتى يكون لكلامهم أجمل وقع ، ويبلغوا رسالاتهم على أحسن وجه"<sup>(٢)</sup> .

أضف إلى ذلك ما كان عليه سفراء النبي - صلى الله عليه وسلم - في تكوين الشخصية الإسلامية التي تحلت بأخلاق الإسلام في حياة الرسول ، وما جبلت عليه من شجاعة نادرة ، وحب للشهادة في سبيل الدعوة الإسلامية ، انطلاقاً من تشبعها بروح الإيمان والتوحيد وامتلائها بنور الجهاد في سبيل الله ، وتأثرها بشخصية سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

(١) سفراء النبي عليه السلام وكتابه ورسله ص ٦ . د . مختار الوكيل .

(٢) نفسه ص ٧ . د . مختار الوكيل .

وقد تمتع هؤلاء السفراء بأدائهم البطولى من أجل الإسلام وبخاصة أنهم كانوا يكتبون ، ويحسنون الكتابة . حيث كان عدد الكتاب فى المدينة بلغ "أحد عشر شخصا"<sup>(١)</sup> وأوصلهم بعض المؤرخين إلى ثلاثة وأربعين كاتباً .

حكى الطبرانى عن المسور بن مخرمة رضى الله عنه قال: خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على أصحابه ، فقال: إن الله بعثنى رحمة للناس كافة ، فأدوا عنى - رحمكم الله - ولا تختلفوا كما اختلف الحواريون على عيسى عليه السلام ، فإنه دعاهم إلى مثل ما أدعوكم إليه - فأما من بعد مكانه فكرهه ، فشكا عيسى بن مريم ذلك إلى الله عز وجل ، فأصبحوا وكل رجل منهم يتكلم بكلام القوم الذين وجه إليهم . فقال لهم عيسى : هذا أمر قد عزم الله عليكم فافعلوا .

فقال أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نحن يا رسول الله نؤدى إليك ، فابعثنا حيث شئت . فبعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عبد الله بن حذافة رضى الله عنه إلى كسرى ، وبعث سليط بن عمرو - رضى الله عنه - إلى هوزة بن على صاحب اليمامة ، وبعث العلاء بن الحضرمى - رضى الله عنه - إلى المنذر بن ساوى صاحب هجر ، وبعث عمرو بن العاصى - رضى الله عنه - إلى جيفر وعباد ابنى الجلندى ملكى عمان ، وبعث دحية الكلبي - رضى الله عنه - إلى قيصر ، وبعث شجاع بن وهب الأسدى - رضى الله عنه - إلى المنذر بن الحارث ابن أبى شمر الغسانى ، وبعث عمرو بن أبى أمية الضموى

(١) السابق ص ٧ وانظر العقد الفريد ١٥٧/٤ ، والطبقات الكبرى ج ٣ ص ٢٤ - ١٤٨ .

— رضى الله عنه — إلى النجاشى ، فرجعوا جميعا قبل وفاة رسول الله  
— صلى الله عليه وسلم — غير العلاء بن الحضرمى — فإن رسول الله  
— صلى الله عليه وسلم . توفى وهو بالبحرين<sup>(١)</sup> .  
وزاد أصحاب السير: أنه بعث المهاجر بن أبى أمية بن الحارث بن  
عبد كلال وجريرا — رضى الله عنهما — إلى ذى الكلاع ، والسانب —  
رضى الله عنه إلى مسيلمة ، وحاطب ابن أبى بلتعة — رضى الله عنه —  
إلى المقوقس<sup>(٢)</sup> .

ومن المعلوم أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم ، قد بعث إلى  
النجاشى — ملك الحبشة — رسالة ، يوصيه فيها بالمسلمين الذين هاجروا  
إلى الحبشة فى العام الثامن قبل الهجرة (الخامس للبعثة) .  
وقد أخرج البيهقى عن ابن إسحاق ، قال: بعث رسول الله — صلى  
الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمرى — رضى الله عنه — إلى  
النجاشى فى شأن جعفر بن أبى طالب وأصحابه رضى الله عنهم ، وكتب  
معه كتابا:

"بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله ، إالى النجاشى  
الأصحم . ملك الحبشة . سلام عليك . فإنى أحمد إليك الله الملك القدوس  
المؤمن المهيمن .....

(وفيه يقول)

"وقد بعثت إليك ابن عمى جعفرا ومعه نفر من المسلمين ، فإذا  
جاءوك فاقرهم"<sup>(٣)</sup> .

(١) حياة الصحابة ١/١٠١ ، ١٠٢ محمد يوسف الكاندوهلى مطبعة دار المعارف

العثمانية حيدر آباد ، الهند وانظر: كتب السير .

(٢) السابق ص ١٠٢ .

(٣) السابق ص ١٠٣ .

وقد رد النجاشي على خطاب الرسول - صلى الله عليه وسلم محبياً ومجيباً ومؤمناً وجاء في رده "وقد عرفنا ما بعثت به إلينا ، وقرينا ابن عمك وأصحابه ، فأشهد أنك رسول الله صادقاً ومصداقاً....." (١) .  
وتعد مكاتبات الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى الملوك وشيوخ القبائل أول مظهر من مظاهر تكوين الدولة الإسلامية ، وهى بمثابة البداية الأولى لديوان الرسائل الذى سيتم إنشاؤه بعد .

كما أن كتابه وسفراءه يمثلون اللجنة الأولى للمظهر السياسى للدولة وإن كان ذلك لم يتبلور ، ويظهر بصورة رسمية ؛ لأن الدعوة إلى الدين كانت الأساسى الذى يشغل أذهان الجميع ، ويستولى على كيانهم وتفكيرهم ، فلما استقر الأمر فى عهد عمر - رضى الله عنه - ظهرت هذه الدواوين إلى الوجود فى صورتها المثالية ، معبرة عن حضارة الإسلام ورقى المسلمين .

كذلك كان النبى - صلى الله عليه وسلم - أول من سجل معاهداته وأول من أملى موافيقه ، فكان أول عهوده المكتوبة ما دونه فيما يمكن تسميته ( معاهدة التعايش ) بين فئات مجتمع المدينة من مهاجرين وأنصار مع اليهود .

وهى تعد أول معاهدة مكتوبة فى الإسلام ، وأقدم دستور مسجل فى العالم ، مما يؤكد حضارة الإسلام ، وحبه للعيش فى سلام .  
"كذلك كان النبى عليه الصلاة والسلام أول من أملى كتب العهود والمواثيق ، ومنها عهده عليه الصلاة والسلام لنصارى (أيلة) القدس:

وكان بخط علي بن أبي طالب - رضى الله عنه ، فقد كان متخصصا في كتابة المعاهدات<sup>(١)</sup> .

وقد حرص النبي عليه السلام على أن يلم أصحابه باللغات الأجنبية حتى يترجموا له ما كان يأتيه من مكاتبات غير العرب ، فتعلم زيد بن ثابت رضى الله عنه العبرانية - وقيل السريانية - فى سبع عشرة ليلة . وكان يعرف أيضا - الفارسية والرومية والقبطية والحبشية ، مما جعله يسمى (ترجمان الرسول) .

وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يستعمل من يفد عليه معلنا إسلامه سفراء إلى قومهم ، يحملهم رسائله يدعوهم فيها إلى الإسلام وربما ولى عليهم هذا الوافد السفير .

من ذلك ما حكاه الطبراني عن عمير بن مقبل الجذامي عن أبيه قال: وفد رفاعة ابن زيد الجذامي على رسول الله - صلى الله عليه وسلم فكتب له كتابا ، فيه:

"من محمد رسول الله ، لرفاعة بن زيد . إني بعثته إلى قومه عامة، ومن دخل فيهم يدعوهم إلى الله وإلى رسوله. فمن آمن ففى حزب الله وحزب رسوله ، ومن أدبر فله أمان شهرين". فلما قدم على قومه أجابوه<sup>(٢)</sup> .

ولم تقف وظيفة هؤلاء السفراء بحمل الرسائل وإيصالها ومعرفة الرد ، بل نجدهم يقومون بمهام أخرى ، من أجل نشر الإسلام والتعريف

(١) سفراء النبي عليه السلام وكتابه ورسله ص ١٠ د/ مختار الوكيل .

(٢) حياة الصحابة ١/ ١٢٤ .

به ، وتعليمهم قراءة القرآن ومعرفة أحكامه ، والصلاة بهم ، والعمل على هدايتهم . من ذلك ما أخرجه أبو نعيم<sup>(١)</sup> في الحلية .

عن عروة بن الزبير - رضى الله عنهما (وفيه) أن الأنصار بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - أن ابعث إلينا رجلا ممن قبلك فيدعو الناس إلى كتاب الله ، فإنه أدنى أن يتبع ، فبعث إليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مصعب بن عمير رضى الله عنه - أخا بنى عبدالدار ، فنزل بنى غنم على أسعد بن زرارة ، يحدثهم ويقص عليهم القرآن ، فلم يزل مصعب عند سعد بن معاذ يدعو ويهdy الله على يديه حتى قل دار من دور الأنصار إلا أسلم فيها ناس لا محالة.....".

كذلك بعث الرسول - صلى الله عليه وسلم - أبا أمامة إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام كذلك أوفد عليه الصلاة والسلام أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى اليمن ، وذلك عند انصرافه عليه الصلاة والسلام من تبوك ، ثم أوفد إلى اليمن كذلك على بن أبى طالب كرم الله وجهه. كما أوفد جرير بن عبد الله البجلي إلى ذى كراع وعمرو بن أمية الضمري إلى مسيلمة الكذاب. وبعث عليه الصلاة والسلام إلى فروة بن عمرو الجذامي. وكان عاملا لقيصر فى معان يدعو إلى الإسلام<sup>(٢)</sup>.

فالسفارة سبيل دعوة إلى دين الله ، والسفراء الكرام جند هذه المعركة المشرفة ، فأندهم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يختارهم بعين فاحصة ، يقدريهم ويزودهم بنصائحه الشريفة ، وتوجيهاته الدقيقة النافعة ، يتجلى ذلك فى توجيهه لمعاذ بن جبل فى سفارته إلى

(١) الحلية (أبو نعيم) ١٠٧/١ و/ حياة الصحابة ٩٠/١ .

(٢) سفراء النبى عليه السلام وكتابه ورسائله ص ٥٣ د/ مختار الوكيل .

اليمن، يسأله المصطفى - صلى الله عليه وسلم - بم تحكم بينهم ؟ فيقول معاذ: بكتاب الله . فيقول له الرسول. فإن لم تجد. فإيرد معاذ. بسنة رسول الله. فيقول له النبي: فإن لم تجد. فيقول معاذ: أجتهد رأيي ولا ألو. (أى لا أقصر). فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم: الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى الله ورسوله . أخرج ابن منده وابن عساكر عن عبد الرحمن بن عائد رضى الله عنه قال: "كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا بعث بعثا قال: تألفوا الناس ، ولا تغيروا عليهم حتى تدعوهم ، فما على الأرض من أهل بيت مدر ولا وبر إلا تأتوني بهم مسلمين أحب إلى من أن تأتوني بنسائهم وأولادهم وتقتلوا رجالهم<sup>(١)</sup> .

كذا فى الإصابة جـ ٣ ص ١٥ والترمذى جـ ١ ص ١٩٥ وعن بريدة - رضى الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - إذا بعث أميرا على سرية أو جيش أوصاه بتقوى الله فى خاصة نفسه وبمن معه من المسلمين خيرا ، وقال: إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال - أو - خلال . فأيتها أجابوك إليها فاقبل منهم وكف عنهم. ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوا فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وأعلمهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين ، وأن عليهم ما على المهاجرين ، فإن أبوا واختاروا دارهم فأعلمهم أن يكونوا كأعراب المسلمين يجرى عليهم حكم الله الذى كان يجرى على المؤمنين..... الحديث".



فهؤلاء الدعاة السفراء ينطلقون لأداء مهمتهم على هدى وبصيرة من الله ورسوله. وتشبه هذه السفارة ما نعرفه اليوم باسم (الملحق الثقافي).

وهناك مهمة ثالثة قام بها هؤلاء السفراء الكرام ، تشبه ما يعرف اليوم باسم (الوسيط الحربى). فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم — يبعث بسفرائه الكرام قوادا على رأس السرايا التى كان يوجهها إلى بعض القبائل أو بعض المناوئين للإسلام ، فقد أرسل عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل . وكان عبد الرحمن — رضى الله عنه — على رأس سرية .

كما بعث عمرو بن العاص إلى بنى بلى ، وخالد بن الوليد إلى أهل اليمن ، الذين لم يسلموا يومها ، وأرسل على بن أبى طالب إلى همدان التى أسلمت ، وأرسل خالد بن الوليد إلى بنى الحارث بن كعب بنجران .

"ذكر ابن إسحاق: أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعث خالد بن الوليد — رضى الله عنه إلى بنى الحارث بن كعب بنجران وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثا ، فإن استجابوا فاقبل منهم ، وإن لم يفعلوا فقاتلهم ، فخرج خالد حتى قدم عليه ، فبعث الركبان يضربون فى كل وجه يدعون إلى الإسلام ويقولون: أيها الناس : أسلموا تسلموا. فأسلم الناس ، ودخلوا فيما دعوا إليه. فأقام فيهم خالد . يعلمهم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه — صلى الله عليه وسلم — كما أمره رسول الله — صلى الله عليه وسلم إن هم أسلموا ولم يقاتلوا .

ثم كتب خالد بن الوليد — رضى الله عنه — إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم :

بسم الله الرحمن الرحيم . لمحمد النبي رسول الله . من خالد بن الوليد . السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته .  
فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو .

أما بعد — يا رسول الله صلى الله عليك — فإنك بعثتني إلى بنى الحارث بن كعب وأمرتني — إذا أتيتهم — ألا أقاتلهم ثلاثة أيام ، وأن أدعهم إلى الإسلام فإن أسلموا قبلت منهم ، وعلمتهم معالم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه ، وإن لم يسلموا قاتلتهم .

وإني قدمت عليهم ، فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم — وبعثت فيهم ركبانا . يا بنى الحارث: أسلموا تسلموا فأسلموا ولم يقاتلوا ، وأنا مقيم بين أظهرهم أمرهم بما أمرهم الله به وأنهاهم عما نهاهم الله عنه ، وأعلمهم معالم الإسلام وسنة النبي — صلى الله عليه وسلم — حتى يكتب إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم .

والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته" .

فكتب إليه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — :

"بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد النبي رسول الله ، إلى خالد بن الوليد .

سلام عليك . فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو .  
أما بعد .

فإن كتابك جاءني مع رسولك يخبر أن بنى الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم ، وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام

وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وأن قد هداهم الله بهذا  
فيشرهم وأنذرهم ، وأقبل ، وليقبل معك وفدهم .  
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته<sup>(١)</sup> .  
فأقبل خالد وأقبل معه وفد بنى الحارث بن كعب إلى رسول الله -  
صلى الله عليه وسلم .

\*\*\*\*\*

مما سبق نستنتج أن السفارة في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم كانت لأهداف محددة ، هي:  
**أولاً:** حمل رسائل النبي صلى الله عليه وسلم - للأكاسرة والفياصرة  
والملوك ورؤساء القبائل ، وكان ذلك داخل الجزيرة وخارجها .  
**ثانياً:** الدعوة إلى الإسلام ، والدخول في دين الله تعالى ، وتعليم هؤلاء  
الناس أمور دينهم ، وتعاليم نبيهم ، وتعليمهم القرآن الكريم وأحكامه .  
**ثالثاً:** قيادة السرايا التي كانت تتصدى للمشركين أو المرتدين لستردهم  
إلى حظيرة الإيمان والإسلام .

\*\*\*\*\*

وينتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى ، ويبدأ  
عصر الخلفاء الراشدين ، وتظهر حركة الردة ، فينبى الخليفة الأول -  
أبو بكر الصديق - رضى الله عنه ، متصدياً لها ، عاملاً للقضاء عليها  
ويجرد إحدى عشرة سرية للقتال ، ويعقد لكل قائد سرية لواء ، ويوجهه  
هذه الألوية مزودة برسالة منه يحملها قائد كل لواء ، يدعو المرتدين إلى  
دين الله ، وتأدية ما أمر الله به من صلاة وزكاة ، ويوصى أصحاب  
الألوية بعدم حربهم إلا بعد الامتناع عما دعاهم إليه .

ومن رسائله - رضوان الله عليه - التي بعث بها إليه ، وقد فرغ ابن الوليد من حرب اليمامة<sup>(١)</sup> " من عبد الله أبي بكر - خليفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى خالد بن الوليد والذين معه من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان. سلام عليكم - فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو .

أما بعد . فالحمد لله الذي أنجز وعده ، ونصر عبده ، وأعز وليه وأذل عدوه ، وغلب الأحزاب فردا ، فإن الله الذي لا إله إلا هو قال: "وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم" وكتب الآية كلها ، وقرأ الآية ، وعدا منه لا خلف له ، ومقالا لا ريب فيه وفرض الجهاد على المؤمنين ، فقال: "كتب عليكم القتال وهو كره لكم" حتى فرغ من الآيات . فاستتموا بوعد الله إياكم ، وأطيعوه فيما فرض عليكم ، وإن عظمت فيه المؤونة ، واستبدت الرزية ، وبعدت الشقة وفجعتم في ذلك بالأموال والأنفس ، فإن ذلك يسير في عظيم ثواب الله فاغزوا - رحمكم الله - في سبيل الله "خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم" وكتب الآية .

ألا. وقد أمرت خالد بن الوليد بالسير إلى العراق ، فلا يبرحها حتى يأتيه أمرى فسيروا معه ولا تتناقلوا عنه ، فإنه سبيل يعظم الله فيه الأجر لمن حسنت فيه نيته ، وعظمت فيه الخير رغبته ، فإذا وقعتم العراق فكونوا بها حتى يأتيكم أمرى ، كفانا الله وإياكم مهمات الدنيا والآخرة . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(١) السابق ص ٤٢٢ / ١ ، وانظر سنن البيهقي ج ٩ ص ١٧٩ .

وكذا أرسل أبو بكر - رضى الله عنه - إلى أهل اليمن يستنفرهم للجهاد فى سبيل الله<sup>(١)</sup> ، وتستمر رسائله إلى قواده وأمرأه جنده .  
"وتلقانا له منذ هذا التاريخ كتابات وعهود مختلفة . وكان آخر ما كتبه عهده لعمر وفيه يقول : "إني استعملت عليكم عمر بن الخطاب ، فإن بر وعدك علمى به ، ورأى فيه ، وإن جار وبذل فلا علم لى بالغيب والخير أردت ، ولكل امرئ ما اكتسب ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون"<sup>(٢)</sup> .

وفى عهد عمر - رضى الله عنه - ينهض الخليفة إلى تنظيم الدولة ، فينشئ الدواوين التى تهتم بأمور كل قطاع . فمنها ديوان للجند وآخر للخراج ثم ديوان الرسائل ، الذى يتولى القيام بإرسال الرسائل إلى الدول والملوك والقبائل والأفراد ، يبحث بها أفرادا أخذوا مهمة السفارة وظيفه لهم ، وأصبح هذا الديوان قائما على طبقتين من الموظفين : طبقة الكتاب . الذين كانوا يختارون بدقة من الماهرين فى الكتابة وأساليبها ، وصحة العبارات ، وروعة البيان .  
طبقة المراسلين : وهم الذين كانوا يقومون بمهمة نقل هذه الرسائل إلى الأماكن والأفراد الذين توجه إليهم هذه الرسائل .

وقد نتج عن ذلك أن أصبحت الرسائل نفسها ذات صبغتين ، عرفت كل منهما بصفات خاصة ، وسمات معينة ، وتطورت - فيما بعد - فعرفت بالديوانية والإخوانية . وكان عمر - رضى الله عنه - يكتب إلى قواده يرشدهم ويوجههم ، ويبحث برسائله هذه مع سفراء مخصوصين

(١) انظر : حياة الصحابة ٤٢٥/١ .

(٢) تاريخ الأدب العربى - العصر الإسلامى ١٣٢ د . شوقى ضيف .

إلى من يرسلها إليهم ، من ذلك رسالته إلى سعد بن أبي وقاص<sup>(١)</sup> فقد أخرج أبو عبيد عن يزيد بن أبي حبيب قال: كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص - رضى الله عنهما: إني كنت قد كتبت إليك أن تدعو الناس إلى الإسلام ثلاثة أيام ، فمن استجاب لك قبل القتال ، فهو رجل من المسلمين ، له ما للمسلمين ، وله سهم فى الإسلام ، ومن استجاب لك بعد القتال ، أو بعد الهزيمة ، فما له فى المسلمين لأنهم كانوا قد أحرزوه قبل إسلامه ، فهذا أمرى وكتابتى إليك".

ومن السفراء الذين ذكرهم التاريخ عند تواجده جيش المسلمين وجيش رستم الفرس : المغيرة بن شعبة. الذى أرسله سعد بن أبي وقاص إلى رستم ، ثم: "بعث إليه سعد - رضى الله عنه - رسولا آخر بطلبه ، وهو ربيع بن عامر....."<sup>(٢)</sup>.

ثم بعث إليهم (حذيفة بن محصن) ثم (المغيرة بن شعبة) . وقد كتب عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - إلى أبى موسى الأشعرى - وقد ولاه القضاء<sup>(٣)</sup> .

"بسم الله الرحمن الرحيم.

من عبد الله عمر بن الخطاب - أمير المؤمنين - إلى عبد الله بن قيس.

أما بعد. فإن القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة ، فافهم إذا أدلى إليك ، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له ، أس<sup>(٤)</sup> بين الناس فى وجهك

(١) حياة الصحابة ٢٠١/١ وانظر: الكنز ج ٢ ص ٢٩٧ .

(٢) السابق ٢٠٣/١ .

(٣) فصول من تاريخ الأدب العربى ص ١١٦ د/ محمد عبد السلام صقر . د.أ/

ناجى فؤاد .

(٤) أس : سر .

و عدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف فى حيفك<sup>(١)</sup> ، ولا يياس ضعيف من عدلك. البينة على من ادعى ، واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين المسلمين ، إلا صلحا أحل حراما ، أو حرم حلالا، لا يمنعك قضاء تقضيه اليوم فراجعت فيه نفسك ، وهديت فيه لرشدك ، أن ترجع إلى الحق ، فإن الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل .  
الفهم فيما يتلجلج فى صدرك مما ليس فى كتاب ولا سنة ، ثم أعرف الأشباه والأمثال ، فقس الأمور عند ذلك ، واعمد إلى أقربها إلى الله ، واشبهها بالحق".

• • • • •

وهى رسالة تصور بصدق ، وتتطق بحق ، مصورة عدالة عمرو ، رضى الله عنه ، وحرصه على أن يقوم قاض مسئول برعاية حسق الله فيما يقضى به بين الناس ، مصدرا رسالته بأهمية القضاء ومسؤولية من يتولاه ، فهو فريضة مقننة بأحكامها ، مدعمة بسنة يلزم اتباعها ، وأن الأحكام واجبة النفاذ ، فإذا حكمت بحكم فتابع تنفيذه وتحقيقه ، حتى ينال صاحب الحق حقه ، فلا تقوم للظلم قائمة ، كما تبين الرسالة ما ينبغى أن يتحلى به القاضى من تسوية بين المتقاضيين من إقباله عليهما كليهما فى مجلسه وعدله بينهما ، وفى ذلك قضاء على ما قد يلجأ إليه بعض ذوى الشأن ، فتزول المحسوبية أو الاتحياز ، وبين له بعد ذلك ما يستدل به على أحقية صاحب الحق من بيته ، وأن على المنكر الحلف ، وإذا تيسر الصلح فهو خير ، ما دام فى مرضاة الله .

وإذا أحس القاضى بشئ فى حكمه ، وتردد ذلك فى صدره ، فلا حرج فى المراجعة والعودة إلى الحق ، حتى يستقيم ميزان العدل

---

(١) حيفك : ظلمك .

وأوضح له أساس الحكم من الكتاب والسنة ، فإذا لم يكن فيهما جاء دور الاجتهاد بما يوائم أقرب ما فى حكم الله .

وقد أبلى كل منهم بلاء حسنا وجادل يزجر - بما رباهم عليه الإسلام من عزة وأنفة واعتداد بالنفس ، وإعزاز لها ، ثم كان النصر حليفا للمسلمين . كذا كان عمرو سفير المسلمين إلى أقباط مصر ، ودار بينهم الحوار ، ثم فتح الله مصر للمسلمين .

وهكذا تمضى السفارة فى عهد الخلفاء الراشدين ، وبخاصة بعد أن نظمت الدواوين فى عهد عمر - رضى الله عنه -

\*\*\*\*\*

وفى عصر الدولة الأموية كان من أوائل ما عتوا بهم تسجيل أخبار آبائهم وأجدادهم ، واهتم الأدياء - والشعراء بخاصة - بتدوين نتائجهم ويصف الجاحظ مدى ما يصور هذا الاهتمام فيما يحكيه عن أبى عمرو | بن العلاء ، فيقول: 'كانت كتبه التى كتب عن العرب الفصحاء . قد ملأت بيتا له ، إلى قريب من السقف' (١) .

ثم يأمر عمر بن عبد العزيز بتدوين سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فتتخذ الكتابة منزلة سامية ، ويرقى الكتاب أسمى مكانة ويعمل الأدياء لشرف نيل هذه المنزلة .

ويقبل خلفاء بنى أمية على تشجيع الكتابة والكتاب ، مما أفرز طائفة من الكتاب المتخصصين فى الفنون المختلفة ، كالتاريخ والمغازى والسير وتاريخ الأمم ، فظهر ابن النديم صاحب الفهرست ووهب ابن منبه ومحمد بن السائب الكلبى وابن اسحاق .



وتمثل اهتمام الخلفاء بالكتابة فى عصر الأمويين فى عناية معاوية "إذ استقدم عبيد بن شربة الجرهمي ليحدثه فى مجالسه عن أخبار ملوك العرب الماضين ، وأمر معاوية بعض علمائه بكتابة ما كان يسرده من تاريخهم ، فتألف من ذلك كتابه (أخبار الأمم الماضية) <sup>(١)</sup> .

وتتسع حركة التدوين نتيجة اهتمام الخلفاء ، وظهور الكثيرين من الأدباء والعلماء ، الذين يكتبون فى فنون وعلوم متعددة ، وترقى الكتابة ويدون المسئولون رسائلهم السياسية ، وكان الحجاج حين ولى العراق يرسل برائله مهتدا متوعدا ، ويتلقى منه الرد على هذه الرسائل .

وقد كتب الحجاج إلى قطرى:

"سلام عليك. أما بعد، فإنك مرقت من الدين مروق السهم من الرمية وقد علمت حيث تجرثمت ذاك ، أنك عاص لله ولولاة أمره ، غير أنك أعرابى جلف ، أمدى تستطعم الكسرة ، وتستشفى بالتمرّة ، والأمر عليك حسرة خرجت لتتال شعبة ، فلحق بك طغام ، صلوا بما صليت به من العيش ، فهم يهزون الرماح ، ويستششون الرياح ، على خوف وجه من أمرهم وما أصبحوا ينتظرون أعظم مما جهلوا معرفته ، ثم أهلكهم الله بنزحتين والسلام" <sup>(٢)</sup> .

وأجابه قطرى:

"سلام على الهداة من الولاة الذين يرعون حريم الله ويرهبون نقمه ، فالحمد لله على ما أظهر من دينه وأظلم به أهل السفال ، وهدى به من

---

(١) تاريخ الأدب العربى - العصر الإسلامى ٤٥٤ د . شوقى ضيف .  
(٢) جلف: جاف تستطعم: تسال الطعام . تستشفى: تطلب الشفاء . الشبهة: ما يشبع . طغام: أرادل . يستششون الرياح: كناية عن الجوع . ترحنين: هزيمتين . أظلم: من الظلم وهو العز . السفال: سفول الخلف . متيه: مضلل . الجيلة: السحبة مطلخم: متعجرف .

الضلال ، ونصر به عند استخفافك بحقه ، كتبت إلى تذكر أنى أعرابى جلف ، أمى ، أستطعم الكسرة ، وأستشفى بالتمر .

ولعمري يا بن أم الحجاج ، إنك لمتيه فى جبلتك ، مطلخ فى طريقك ، واه فى وثيقتك ، لا تعرف الله ، ولا تجزع من خطيئتك ، ينست واستياست من ربك ، فالشيطان قرينك ، لا تجاذ به وثاقك ، ولا تنازعه خناقك .

فالحمد لله الذى لو شاء أبرز لى صفحتك ، وأوضح لى صيلعتك ، فوالذى نفس قطرى بيده ، لعرفت أن مقارعة الأبطال ليس كتصدير المقال ، مع أنى أرجو أن يدحض الله حجتك . وأن يمنحنى مهجتك <sup>(١)</sup> .

ولتعدد المذاهب والفرق ، كثرت المراسلات ، وقوى أسلوبها ، وكان كل فريق يحرص على الدفاع عن معتقده ، ويفند آراء الآخرين ويطلبها فنشأ ذلك الصراع الفكرى الذى أثرى هذه المراسلات ، وكان أكثر هذه المذاهب مراسلة هو المذهب الشيعى ، وأول رسائلهم التى بعثوا بها رسالة استدعاء أهل الكوفة للحسين .

كذلك كانت هناك مراسلات بين ابن الزبير وأعوانه ، ومعاهدات بين الدولة وولايتها . ولنلاحظ أن هذه المراسلات كان يحملها سفراء ، وقد كثرت هذه المكاتبات السياسية " وكانت الكتب لا تزال ذاهبة آية بينهم وبين ولاتهم فى كل كبيرة وصغيرة ، وكان قوادهم كلما فتحوا بلدا واستجاب إليهم أهلها عقدوا معهم المعاهدات " <sup>(٢)</sup> .

(١) أوضح صيلعتك: كناية عن الذلة وانكشاف الأمر . تصدير المقال: تسطيحه وتحبيره .

(٢) تاريخ الأدب العربى - العصر الإسلامى ٤٦٠ .

ولم تكثر الرسائل السياسية بين الخلفاء وولاتهم كما كثرت فى عهد عبد الملك، وخاصة بينه وبين الحجاج لكثرة الفتن والثورات التى تشببت فى العراق وخراسان".

ومن أبرز الملامح الأدبية فى عصر بنى أمية انتقال راية الأدب للنثر ، الذى نجده يحمل أعباء الفكر ، وينهض بالدعوة الجديدة لبنى أمية، ويبين مزاياها ، ويكشف أسرارها ، ويدحض دعاوى مناوئيهـا ويجادلهم بالكلمة التى لا تقل عن حدة السيف ، ويبصرهم بروعة الإسلام ومحاسنه ، ويحذرهم وينذرهم إذا فكروا فى التصدى لنظام دولتهم. وقد كتبوا ذلك كله إلى أمرائهم وولاتهم وبعثوا به مع سفرائهم.

ويقدر ما اتخذت الدولة من اتجاهات ، ويقدر ما تعددت ألوان الفكر فيها ، وتشعبت مظاهرها أنظمتها ، يقدر ما تهيأ للنثر من وسائل الانتشار والرقى ، واقتضت الحياة المتنوعة التى اصطبغت بها الدولة الأموية إلى تعدد ألوان الرسائل، مما ترتب عليه اندراجها تحت لونين مشهورين هما:

#### ١- الرسائل الديوانية: التى كانت تصدر من الخليفة أو أحد دواوين

الحكومة ، وتوجه إلى ديوان حكومى آخر ، أو إلى أفراد من أبناء الأمة ، وتتضمن أمورا تتعلق بمسيرة الدولة ومصالحها. وتندرج تحتها الرسائل السياسية التى ألمحت إليها سابقا . ولا تحمل أى عواطف ، بل يغلب عليها الجدة والصرامة. وقد حلت هذه الرسائل تدريجيا محل الخطابة ، وانتزعت منها أغراضها فى الردع والتحذير ، أو التلميح والاستمالة . وأصبح من يقومون بحملها إلى ذويها بمثابة موظفى الدولة الذين يقومون بتوزيع البريد مقابل أجر يتقاضونه من الدولة. ومن أبرز كتابها ابن مقلة وابن الفرات .

٢- الرسائل الإخوانية: وهى التى يبعث بها الأفراد العاديون إلى نظرائهم وأصدقائهم لتصوير عواطفهم وأشواقهم ، وعلاقاتهم الإنسانية ، وما يعرض لهم من حاجات ، أو مجاملات كتهنئة أو تعزية .

وكانت هذه الرسائل تفيض بالعواطف الجياشة ، ويؤدى الخيال فيها دورا فاعلا ، وعباراتها وألفاظها تخضع لاختيار الأديب بكل دقة ، وتمثل منهجه الأدبى تمثيلا صادقا .

ومن أشهر الكتاب الذين كانوا يتولون ديوان الرسائل : ابن العميد .

• • • • •

وفى العصر العباسى الأول: وهو ما يعرف بالعصر الذهبى للأدب العربى ، نشطت الحركة الأدبية ، وكان لاستقرار الأوضاع ، وهيبة الخلفاء ، وسلطة الدولة ، وقدرتها على بسط سلطاتها الشرعية ما هيا للأدب مناخا رائعا ، رفرت فيه ألوية الشعر فى ساحات الخلفاء ومجالسهم ، ونال الشعراء مكانة كانت - أحيانا - أرقى من مكانة الوزراء ، وقد سبق أن ذكرت أن الشعر كان أكثر تقدما ، وأنضر ازدهارا من النثر ، وبخاصة فى مجال الكتابة ، وظهر شعراء سابقوا التاريخ فسبقوه ، كالبحتري وابن الرومى ودعبل وابن المعتز والمتنبى وهكذا استمر ازدهار الثقافة العربية فى العصر العباسى حتى نكب الأدب بالفتن والاضطرابات التى أصابت الدولة فى مقتل - حين سيطر السلاجقة على مقدرات الخلفاء ، فقضوا على هيبتهم ، واستهانوا بسلطانهم ، مما هيا لأوربا المسيحية أن تهاجم الدولة الإسلامية التى تمزقت أوصالها بالخلافات والانقسامات ، فانتزع الصليبيون أجزاء من الأراضى الغربية على ساحل المتوسط ، وقام هولاكو بانتزاع الأجزاء الشرقية من دولة الخلافة ، وأطبق على بغداد .

وأفلت الشمس في المشرق العربى ، وردمت الأنهار ببدائع الأفكار ، وديست الدماء المسلمة بسنابك الخيل ، ولكن الله هياً لأمة الإسلام أرضاً أشرق فيها دعوة التوحيد ، وعبر الإسلام مياه المتوسط لتركض خيول المسلمين خلف أوروبا المسيحية ، يزحونها عن شبه جزيرة إيبيريا التى عرفت ببلاد الأندلس ، التى حملت المشعل تبدد به غياهب ظلمات الشرك ، وتنتشر أضواء الإسلام التى أزالته عن أوروبا عصور الظلام ومهددت لها عوامل النهضة ، ندعو الله أن يعيد الأندلس إلى الإسلام والمسلمين .

## **الفصل الثانى**



## **الدراسة الفنية**

## الفصل الثانى

### الخصائص الفنية

#### لأدب الوفاة والسفارة

أدب الوفاة والسفارة من ألوان الأدب العربى التى كان لها دور مؤثر فى مسيرة الحياة العربية ، لما قام به من تعبير عن الواقع العربى على مدى التاريخ منذ العصر الجاهلى ، ولا يزال يقوم بهذه الوظيفة حتى اليوم .

وهذا الأدب الذى ورد على ألسنة الأفراد ، حكاما ومحكومين تميز عن غيره بسمات وخصائص ، تجعلنا نقف أمامه دارسين له وباحثين خلال نتاجه عما يحوى من هذه السمات والخصائص ولنحدد ملامح تطوره .

ومن خلال جولتنا مع هذا الأدب ، نصل إلى ما يلى :

١- اتسم أدب الوفاة بأنه أتى على صورتى التعبير المعروفتين وهما : النثر والشعر .

فراينا الكثير من الوافدين يتخذون النثر وسيلتهم فى عرض ما أتوا لأجله ، أو ما يؤملون فى الحصول عليه .

ولقد جاء النثر نفسه على طريقتين من طرق التعبير ، فجرى على طريق الحوار ، كما اتخذ من الخطابة طريقا آخر .

وكانت المواقف هى التى تفرض وسيلة التعبير ، فتدفع الوفد — أو من يتحدث عنهم — إلى سلوك هذه الوسيلة أو تلك .

وجاءت بعض الوفادات مزيجا من الأسلوبين : الحوار والخطابة :  
أ - ويمثل النوع الذى يقوم على المحاورة : وفادة قس بن ساعدة  
الإيادى على قيصر ، حيث دار الحديث عنهما حوارا ، نمتل فى سؤال  
قيصر لعدة أسئلة كان قس يجيب على كل منها •

وقد دار الحوار أيضا - بين كسرى وقيس بن مسعود ، فى وفادته  
ضمن الوفد الذى بعث به النعمان ليرد على العرب ما ألصقه بهم كسرى  
من صفات الزراية والاحتقار •

وكما رد قس بن ساعدة على كسرى ، رد قيس عليه بل إن رد  
قيس كان أعنف وأشد ، وأدحض للدعاء وأبين للحقيقة •  
فكان كسرى كلما قال ما يريد به أني يستدل على صحة ما ادعاه  
فى حق العرب ، كان قيس يأتى بما يقيم الحجة على عكس ما قال كسرى  
فى حق أهله •

وكذا دار الحوار بين كسرى وعامر بن الطفيل ، ووصل الحد إلى  
إظهار عامر لقوته الشخصية وصفاته البطولية ، مما أثار عجب كسرى •

ومن الوفادات التى كان الحوار والجدل من أسلوبها وفادة قريش  
على سيف بن ذى يزن ، الذى دار الحوار بينه وبين عبدالمطلب بن  
هاشم - جد النبى صلى الله عليه وسلم - وهو حوار شيق تتجلى فيه  
علامات العزة والإباء والشهامة التى عرف بها العرب •

ومنها وفادة الصقعب النهدي على النعمان بن المنذر ووفادة عامر  
بن جوين الطائى على النعمان أيضا وفى الأخيرة يظهر الحوار مدى  
جرأة المحاور ونكاهه وتحديه إظهارا لما يعرف عنه من إقدام وخطورة  
عند اللقاء •



وفيها نلاحظ أن السائل يطلب معرفة الأفضل من عدة أمور ، كما نلاحظ مدى إلمام الواقف بحقيقة المسئول عنه ، مما يهيئ له سبيل الرد والافئاع<sup>(١)</sup> .

ونجد ذلك الأسلوب الحوارى — أيضا — فى بعض وفادات القبائل العربية على رسول الله صلى الله عليه وسلم — يسألونه عن حقيقة الدين الإسلامى وأحكامه ، ويطلبون معرفة أمور خفيت عليهم ، أو أشكلت .

فكان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يرد عليهم ، موضحا وشارحا ومزيلا لأى شبهة قد تخالطهم .

ولعل أشهر الوفادات التى اتخذت الحوار سبيلا فى عهد سيدنا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وفادة بيعة العقبة ، التى كانت بين وفد الأوس والخزرج من المدينة ، الذين دار الحوار بينهم من ناحية وبين الرسول عليه السلام وعمه العباس من ناحية أخرى<sup>(٢)</sup> .

وتمثل وفادة لقيط بن عامر ، وبين رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حيث أخذ يسأله عن أمور منها : علم الغيب ، فيرد عليه الرسول بأن الله تعالى حجب خمسا منها عن خلقه .

وسأله عن البعث ، وكيف يتم ؟ فرد عليه الرسول مقنعا ، متخذا من الأرض الميتة يبعث الله إليها الماء فتنبث وتمتلئ بالحياة — مثلا . وهكذا يمضى الحوار . لقيط يسأل ، والرسول — صلى الله عليه وسلم — يجيب ، حتى مد لقيط يده وأسلم وباع .

---

(١) انظر ص ١٩ من الكتاب .

(٢) انظر ص ٩٩ من الكتاب وما بعدها .

(٣) انظر : ص ٣٢ وما بعدها .

وفي خلافة الصديق أبي بكر - رضى الله عنه - يكون الحوار مجالا طبييا لإقناع من يعنون عليه ، فهذا وفد اليمامة يحاور أبابكر ويحاورهم ، مقتعا إياهم حتى تهدأ نفوسهم ، ويستقر الإيمان فى قلوبهم .

\*\*\*\*\*

وفي عهد عمر يكون الحوار بينه وبين جبلة بن الأبهم الذى لم يدخل الإيمان الصحيح قلبه ، فيتعالى ويتكبر ويفر مبتعدا عن الإسلام ومبادئه المتلى ويموت كافرا فى أرض الكفر .  
وكان الأحنف بن قيس كثير الوفادة على عمر - رضى الله عنه - وكثيرا ما دار الحوار بينهما حول حاجة أهل الأحنف وطلباتهم ، وكان عمر - رضى الله عنه - دائم الإجابة له ، والتوسيع عليه ، وعلى أهله وقبيلته .

وفي عصر بنى أمية ؛ يكون الحوار سيد الموقف ؛ فقد ثار الجدل بين مختلف الأطراف ؛ فالخليفة - وبخاصة معاوية - يحاول أن يستل سخيمة الصدور ويقضى على ما يطرأ من خلاف ؛ أو ما يكون موروثا فى بعض النفوس ؛ وقد كان حليما واسع الصدر ؛ نكيا يعمل على إرساء دعائم دولته ؛ التى حولها إلى نظام وراثى ؛ يخالف ما تعارف علىه شعوب الأمة من حكمها بالشورى فأراد أن يؤلف القلوب حوله ؛ ويسترضى النفوس بما استحدث ؛ إلى جانب أنه كان كريما ؛ يداوى ببلسم العطاء ما قد يكون لاثلا بالقلوب من كراهية أو حقد ؛ فوجد فى الحوار سبيله إلى الإقناع والاستمالة وكثيرا ما استوفد المخالفين لرأيه المناوئين لنظامه وحكمه ؛ المنكرين عليه حقه ، وناقشهم ، وحاورهم ، بل وناورهم حتى يلينوا .

وفى حواراه مع عقيل بن أبى طالب رضى الله عنه ، وقد شخّص إلى معاوية يطلب عطاءه ورفده ، ما ينهض دليلا على ما أقول (١) .

كذا فى لقائه مع صمصعة بن صوحان الذى وفد إليه ، فأخذ معاوية يسأله عن نسبه ، وكلما رد عليه سؤالا بادره بآخر يستجليه صفات وسمات أولئك الرجال الذين يسأله عنهم، ثم وصله وأبره (٢) .

\*\*\*\*\*

• ومن الوفادات التى قامت على الحوار • وفادة سعيد بن العاص على معاوية (٣) .

• ومن جميل المحاورات ما رواه المدائنى قال : وفد أهل العراق على معاوية رحمه الله (٤) .

ولعل فى وفادات النساء على معاوية ، وحرصه على محاورتهن ما يظهر أهمية الحوار سبيلا ومنهجا فى هذه الوفادات ، اهتماما منه بمعرفة أحوالهن ، خصوصا إذا عرفنا أن أكثر الوفادات عليه كن على خصومة مع نظامه ، وكن حريصات على التصدى والتحدى — بألفاظ جافية ، وعبارات قاسية ، يهاجمن بها بنى أمية ، ويتهمنهم بسلب حق أبناء على فى الخلافة ، والا ستيلاء على ما ليس من حقهم .

وقد تظهر إحداهن سوء حالها ، وذهاب المعين والعائل لها ، كما كان الحال مع سودة ابنة عمار (٥) التى ابتكرها معاوية محبباً مسلماً وسألها عن حالها وعن شعر قالته تحمس ضده ، وتحرض على قتالسه

---

(١) انظر : ص ١٧٧ .

(٢) انظر : ص ١٧٨ وما بعدها .

(٣) انظر : ص ١٨٤ .

(٤) زهر الآداب (٥١/١) وانظر : ص من الكتاب .

(٥) انظر : ص ٩٥ وما بعدها .

وحر به ،فنجدها تظهر فقرها وضعفها ، وسوء حالها ،وتبدل أيامها  
وتطلب صفحة ونسيانه .

وتصل المحاوره إلى قمتها ، حين تذكر بين يديه عز قومها  
ومنعهم ، فيرد عليها متسائلا : إياي تهددين بقومك ؟ ويتوعدها .  
ثم يسألها عن سبب حبها لعل بن أبي طالب ، فتجيبه بإنصاف على  
لها وتكرمه إياها ، وإنصافها من ظالمها ، فيتأثر معاوية لكلامها  
ويأمر بالإنصاف لها ولقومها .

\*\*\*\*\*

أما بكارة الهلالية<sup>(١)</sup>، فقد وفدت إلى معاوية ، وقد أسنت وضعفت  
ولما جلست بين يديه ، أخذ الجالسون يحرضون عليها بما أشدت في  
شبابها من شعر تستعدى على بنى أمية . ونجدها بشجاعة وجرأة  
تعترف بنسبة ما قالوا من الشعر لها . وتتصرف بعزة وإباء مبتعدة عن  
مجلس الخليفة وندمائه .

\*\*\*\*\*

وتأتى الزرقاء ابنة عدى الهمدانية ، إلى معاوية — وقد أكرم  
وفادتها — وعندما تواجه بما قالته يوم صفين — تحمس الناس على قتال  
بنى أمية ، وتشعلها ضدهم حربا ضروسا . وتظهر ضعفها الآن ، غير  
أنه يتهمها بالاشتراك مع على في دماء القتلى يومئذ ، فتقابل اتهامه  
بثبات وقوة نفس ، وتضحك فيظهر معاوية عجبه من حبها عليا — رغم  
موته — وإخلاصها له بعد رحيله ، ويأمر لها بجوائز وكسا<sup>(٢)</sup> .

---

(١) انظر : ص ١٩٨ .

(٢) انظر : ص ٢٠٠ ، ٢٠١ .

وكذلك كان الحوار سيد الموقف فى لقاء أم سنان بنت خثيمة على معاوية . وما كان موقف أروى بنت عبدالمطلب<sup>(١)</sup> ، بأقل من سابقتها الوافدات على معاوية بل كان حوارها قويا عنيفا جريئا ، وكانت أغلظ الوافدات . هاجمت معاوية بلسان أحد ، واتهام أشد ، وفضلت عليا ومجده ، وأظهرت حقه فى الخلافة وأيدته ، واتهمت بنى أمية بسلب هذا الحق ، ودعت على بنى أمية ، وابتهلت إلى الله بأن يتعسهم ويخذلهم ، وما خافت من معاوية ولا ارتعدت فلما هاجمها عمرو بن العاص — لوحث له بسيرة أمه ، فخذلته ، وحاول مروان أن يصددها فاستدارت له ، وحولت الاستهزاء والسخرية إليه ، واتهمته بعدم أصالة نسبه ، فأفحمته .

ثم استدارت إلى معاوية ، واتهمته فى نخوته ، وعدم حمايته لها وهى بمحضره . ثم أكرم وفادتها وحقق لها ما طلبت .

\*\*\*\*\*

وهكذا كان الحال مع بقية خلفاء بين أمية والوافدين عليهم — اتخذوا من الحوار سبيلا ومنهجا لاستمالة الوافدين عليهم ، وقد أفردت للخليفة عمر بن عبدالعزيز مبحثا خاصا فى حوارهم مع الوافدين عليه ، وبخاصة الشعراء ، الذين نجده يرفض دخولهم عليه ، مبررا مسلكه هذا تجاههم لما بدر منهم فى أشعارهم من أقوال يأباهها دينه وخلقه .

\*\*\*\*\*

وفى عصر الدولة العباسية يتوارى الحوار خلف السدوف والحجب التى أقامها الفرس بين الخليفة ورعاياه من العرب ، ولا نكاد نسمع حوارا بين الخليفة ووافد عليه ، إلا لماما .

(١) انظر : ص ٢١٠ وما بعدها .

### ب. وكانت (الخطابة) في المظهر الثاني في أدب الوفادة (مثلاً)

والعرب عرفوا الخطابة وأجادوها ، ولونوا في أنواعها وقسموها وقد " اتخذوا من مجالسهم في مضارب خيامهم ، ومن أسواقهم ، ومن ساحات الأمراء ، ووفادتهم عليهم ميادين لإظهار براعتهم وتقننهم في المقال وحوك الكلام ، وأسعفتهم في ذلك ملكاتهم البيانية ، وما فطروا عليه من خلاصة ولسن ، وبيان وفصاحة وحضور بديهة .

وكثيراً ما كانوا يخطبون في وفادتهم على الأمراء ، إذ يقف رئيس الوفد بين يدي الأمير من الغساسنة أو المناذرة ، فيجيبه متحدثاً بلسان قومه<sup>(١)</sup> .

والخطابة هي حديث يقصد به إثارة المشاعر وإلهاب العواطف ، والتأثير والإقناع .

ففي العصر الجاهلي كان الخطباء من نوى المكانة واليسار في قبائلهم ومجتمعاتهم ، واستغلت الخطابة لحل مشاكل الناس ، والعمل لصالح القبيلة أو غيرها ، مما أدى إلى ارتفاع مكانتها بمكانة أصحابها ، وحازت الخطابة شرف الغاية وشرف الموقف .

وقد أدى إلى انتشارها وتغلغلها في المجتمع الجاهلي ما كان يقع في ذلك المجتمع من خصام وقتال وحروب ، كداحس والغبراء ، وما كان يلجأ إليه بعضهم من مفاخرات ومنافرات وخطب وإملاك ، وكانوا يهرعون إلى خطبائهم في الملمات ، يستصرخونهم لإلهاب الحماس وإنكاء نيران العصبية ، أو الدعوة إلى مكارم الأعمال ومحاسن الخصال والنهي عما يفرق ويمزق ، أو يورث الكراهية والثأر .

---

(١) تاريخ الأدب العربي — العصر الجاهلي ٤١٠ ، ٤١١ د / شوقي ضيف .

كانوا يخطبون فى وفادتهم على الملوك والأمراء ، يدعون إلى المحامد والمآثر ، أو مهنئين بنصر أو معزين فى فقيده .  
كما كانوا يخطبون فى الزواج والخطبة ، وبخاصة فى زواج من يضيف إليهم بمصاهرته شرفا أو عزا ، أو يشيدون ويفخرون بمن يصهرون إليهم ، ومن أشهر خطبائهم : أكثم بن صيفى ، وقس بن ساعدة وقيس بن عاصم . وهانىء بن قبيصة وعمرو بن الأهتم ، وقد مرت بنا - خطبة النعمان بن المنذر بين يدى كسرى مفاخرها بالعرب ، ومناقضا ومدافعا عنهم (١) .

كذا خطب الوفد الذى بعث به النعمان إلى كسرى للغرض ذاته (٢)  
وكان الخطيب ينال التشريف والتكريم ممن يفد إليه ، إذا لم يكن يرمى بوفادته إلى استمناح أو طلب مساعدة ، وقد مر بنا إلى أى مدى نال عبدالمطلب ابن هاشم تكريم سيف بن ذى يزن ، لما ذهب وفد قريش لتهنئته " وخطب عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف - جد النبى صلى الله عليه وسلم - وأعجب به سيف بن ذى يزن ، ولم يعجب بغيره من خطباء الوفود الأخرى لأنهم جميعا أتوه طالبين ، أما عبدالمطلب فقد أخلص خطبته للتهنئة " (٣) .

وكانت الأسواق التى تتعقد فى مكة وغيرها - كسوق عكاظ وذى المجنة وغيرها ، تشبه المهرجانات أو المؤتمرات الأدبية فى أيامنا ، ويفد إليها عظماء الخطباء ، ولا أدل على ذلك من اهتمام سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد وفد إليه (الجارود) فى جماعة وفد عبد قيس فيسأله الرسول " يا جارود . هل فى جماعة عبد قيس من يعرف لنا قيسا

(١) انظر : ص ٩٩ وما بعدها من الكتاب .

(٢) ينظر : ص ١٠٨ وما بعدها من الكتاب .

(٣) العقد الفريد (٢٤٢/١) ابن عبدربه .

( أى قس بن ساعدة ) قالوا : كلنا نعرفه يارسول الله . وتكلم الجارود فنكره بما يعرف ، وأنشد شعرا له . فقال النبى - صلى الله عليه وسلم - : " على رسلك يا جارود ، فلست أنساه بسوق عكاظ على جمل أورك وهو يتكلم ما أظن أنى أحفظه " .

فقال أبو بكر - رضى الله عنه - يارسول الله فإنى أحفظه ، كنت حاضرا ذلك اليوم بعكاظ ، فقال فى خطبته :

" أيها الناس . اسمعوا وعوا ، وإذا وعيتم فانتفعوا ، إنه من عاش مات ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت . مطر ونبات وأرزاق وأقوات ، وآباء وأمهات ، وأحياء وأموات ، جمع وأشتات ، وآيات بعد آيات .

إن فى السماء لخبرا ، وإن فى الأرض لعبرا ، ليل داج وسماء ذات أبراج ، وأرض ذات رتاج ، وبحار ذات أمواج .  
مالى أرى الناس بذهبون فلا يرجعون ؟ أرضوا بالمقام فأقلموا ؟ أم تركوا هناك فناموا ؟

أقسم قسما لاحتنا فيه ولا أنما . إن الله ربنا هو أحب إليهم من دينكم الذى أنتم عليه ، يوبيا حان حينه ، وأظلمكم أوانه ، فطوبى لمن آمن به فهداه ، وويل لمن خالفه وعصاه . ثم قال : تبأ لأرباب الغفلة من الأمم الخالية ، والقرون الماضية .

يامعشر إياد : أين الآباء والأجداد ؟ وأين المريض والقواد ؟ وأين الفراعنة الشداد ؟ أين من بنى وشيد ؟ وزخرف ونجد ؟ وغره المال والولد ؟ أين من بغى وطغى ، وجمع فأوعى ، وقال أنا ربكم الأعلى ؟ .  
ألم يكونوا أكثر منكم أموالا ؟ وأطول منكم أجالا ؟ وأبعد منكم آمالا ؟ طعنهم الثرى ومزقهم بتطاولة ، فتلك عظامهم بالية ، وبيوتهم خاوية ، عمرتها الذئاب العاوية .



كلا ، بل هو الواحد المعبود ، ليس بوالد ولا مولود ، ثم أنشد  
يقول:

من القرون لنا بصائر	في الداهيين الأولين
للموت ليس لها مصادر	لما رأيت موارد
يمضى الأكابر والأصاغر	ورأيت قومي نحوها
يبقى من الباقيين غابر	لا يرجع الماضي ولا
أيقنت أنى لا محال	(م) لة حيث صار القوم صائر <sup>(١)</sup>

وتعد خطبة قس بن ساعدة المثل الأوفى للخطبة في العصر الجاهلي  
لاشمالها على كل الخصائص التي كانت تتحلى بها الخطبة يومئذ  
فالخطبة تضم بين عباراتها :

- ما كان يستخذه الخطيب من وسائل التأثير والإقناع ، كالفكرة  
الصائبة التي لا تحتمل جدلاً أو معارضة ، بما يأتي به الخطيب  
من قضايا فكرية يقر بها السامعون .
- وترتيب هذه الأفكار (بما يشبه القضايا المنطقية : من مقدمات  
وننتائج ) ليصل الخطيب بسامعيه إلى درجة متقدمة من  
الإقناع .
- واستخدام الوسائل المؤثرة من حيث السماع ، بما تحويه  
العبارات والفقرات من تنغام صوتي مؤثر ، (كالتناسب  
الصوتي) بين الحروف فيما نعرفه بالسجع والجناس ، والتلاؤم  
بين الحروف والحركات في التوازن .

(١) البيان والتبيين ٣٠٨/١ و: العقد الفريد ، و: الأملاني ٢٧٣/١ .

وإعجاز القرآن للباقلاني ١٢٤ .

وجريدة الأهرام ١٢١٧٥ / ٩٥ مقال للدكتورة / بنت الشاطئ (عود على بدء) .

- استخدام الألفاظ المناسبة للمعاني ، واستخدام كل نوع منها بما يلائم المعنى المراد ، فترق في موضع الرأفة والرحمة والعطف ، وتخشن وتغلظ في مواطن الإثارة والتحريض .
- المزاجية في الأساليب بين الإنشائية والخبرية ، واستخدام الاستفهام المثير للتعجب أو النفي أو الاستنكار ، إثارة لأذهان المستمعين .
- اللجوء إلى الأساليب البيانية ، واستخدام الاستعارات والكنائيات والتشبيهات ، كذا نلاحظ لجوء الخطيب إلى السجع ، للتأثير بجرسه في النفوس .
- كثرة المقابلات التي تؤثر في الفكر ، وتثير كثيرا من عوامل استقرار المعنى في نفس السامع .
- استخدام المؤكدات المختلفة ، فيما يلزم تأكيده .
- استخدام الصور التجسيدية التي تقوى عوامل الإثارة لحواس المتلقى وتوجهها نحو ما يبغى الخطيب ، والتأثير على مدركاته النفسية والعقلية .
- أما الخطيب فنلاحظ فيه : شدة العارضة ، وقوة المنة ، وظهور الحجة وثبات الجنان ، وكثرة الريق ، والعلو على الخصم<sup>(١)</sup> ولا يصل إلى هذه السمات إلا من اكتسب الخبرة والدربة ، وأصبح مشهودا له بين قومه مقنما على أقرانه .
- وأن يكون أيضا مشهودا له بالحكمة ، وبراعة العقل ، ورجاحة الحلم ، واتساع العلم والصواب في الحكم ، وسلامة الرأي .

---

(١) البيان والتبيين ١٧٦/١ الجاحظ .

- نقاء اللغة وصفائها ، وعدم مخالطتها للغات الأخرى ، أو الاقتباس من ألفاظها وتعبيراتها فاللغة العربية فى بيئتها الأصلية وعلى ألسنة أبنائها الخالص .
- الاعتماد على الجمل القصيرة ، قوية النبر ، شديدة الجرس عالية التأثير — التى تحمل رغم قصرها — معانى كثيرة ومدلولات فكرية متكاملة .
- وهذه الجمل القصيرة لكل منها معنى مستقل ، ولكن جميع تلك الجمل بكامل معانيها تصب فى فكرة أساسية واحدة .
- تكرار المعانى ، ومقابلتها بضدها — للتأكيد عليها .
- " التنسيق بين مخارج الحروف ، لإشاعة جو شبيه بموسيقى الشعر ( فى النثر) ولكنها ليست موسيقى كاملة البناء ، كما هى الحال فى الشعر" (١) .
- اعتماد الخطيب على براعة الاستهلال بحسن الافتتاح .
- استعمال الأمور المعروفة فى البيئة — بخاصة الحسية منها — كما فى الطبيعة وظواهرها المختلفة ، للاستشهاد والاستدلال والتشبيه .
- "لم تكن ذات موضوع ، ومن ثم كانت تأخذ شكل أقوال متناثرة لارابط بينها" (٢)
- ثم يعم الكون نور الإسلام ، وتشرف الكون برسالة سيد الأنام محمد — صلى الله عليه وسلم — فيكون للخطابة شأن أعلى وأرقى وتغدو ظاهرة إيمانية ، تؤدى بها العبادة ، وتشرف بأن تكون وسيلة خاتم الأنبياء ، ينطق بها لسانه الشريف فى خطبة الجمعة ، وخطبتي العيدين

(١) دراسات فى الأدب العربى على مر العصور من ٢٦ .

(٢) تاريخ الأدب العربى — العصر الإسلامى ١١٤ د/ شوقي ضيف .

وتكون وسيلته صلى الله عليه وسلم فى شرح الدين القويم ، وبيان أركانه ومعتقده .

وكذا كان صحابته الأطهار — رضوان الله عليهم •  
وسارت الخطابة فى عهده — صلى الله عليه وسلم — وعهد خلفائه  
الراشدين ، وعصر الدولة الأموية •

\*\*\*\*\*

كانت خطابته صلى الله عليه وسلم — كقطعة من ذاته الشريفة  
تفيض صدقا وإيمانا ، وتنتشر حولها اليقين والضياء تتاضل وتجاهد فى  
سبيل الله ، ونشر دينه ، وتجلو ظلمات الجهل ، وتبديد علامات الشرك  
وتمحوها ، وتثبت فى القلوب والنفوس آيات توحيد الله ، وتصديق رسوله  
وتأخذ بيد البشرية إلى طريق الهداية ، ومحو آثار الضلال والغواية •

• كانت خطابته — صلى الله عليه وسلم — هى البيان الصافى  
والتعبير النقى الطاهر ، واتخذها أداة للدعوة إلى الدين الحنيف •

• كان — صلى الله عليه وسلم — " لا يسجع فى خطابته ، وكان  
ينفر منه حين يلهج به أحد محدثيه ، كراهية للتشبه بالكهان فى  
سجعهم وسار على هديه الخلفاء الراشدون وغيرهم من جلة  
الصحابة ، يدل على ذلك ما يروى عن أن عمر بن الخطاب  
— رضى الله عنه — سأل صحارا العبدى ، حين قدم عليه من  
غزو (مكران) الفارسية عن شأنها وشأن العرب هناك ،  
فأجابته : " أرض سهلها جبل ، وماؤها وشل

( قليل ) وثمرها دقل ( ردىء ) وعدوها بطل ، وخيرها قليل

وشرها طويل . . . . . (١)

فقال به عمر — رضى الله عنه — أسجعا كسجع الجاهلية؟!

\* كانت وسيلته فى التشريع للأمة ، ورسم سياستها ، وتنظيم حياتها وعلاقاتها ، ووضع الحلول لمشاكلها ، وكانت (خطبة الوداع) التى ختم بها حياته الشريفة دستورا للأمة حتى تقوم الساعة .

\* اتسمت خطابته — وخطابة المسلمين من بعده — بسمات خاصة فهي تبدأ بحمد الله تعالى ، وشهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، والاستئناس بأيات من القرآن الكريم ، وما يناسب من الأحاديث النبوية ، ثم تناول الموضوع ، فالخاتمة وتحوى الدعاء والإكثار منه .

\* وعلى هذا النهج سار الخلفاء الراشدون بعده ، ثم بنو أمية وبقية المسلمين . ومن ترك ما بدأ به الرسول خطبته ، فترك الحمد أو التشهد أطلقوا على خطبته ( البترء ) ، ومن ترك الاستشهاد بالقرآن والحديث أطلقوا عليها ( الشوهاة ) .

• وبذلك وضع الرسول صلى الله عليه وسلم — المنهج النبوى للخطابة

• قضت الخطابة الإسلامية على ما كان شائعا عند الجاهليين من خطب المفازرات والمنافرات والعصبيات .

- وفى عهد أبى بكر — رضى الله عنه — اتجهت الخطابة إلى درء الخطر الذى كاد يهدد الدعوة ، بانشقاق المسلمين عند وفاة النبى — صلى الله عليه وسلم — وفى حروب الردة •
- اتسعت رقعة الخطابة ، وزاد نموها وتطورها بكثرة الوافدين على الرسول — صلى الله عليه وسلم — والداخلين فى دين الله أفواجا فى أرجاء الجزيرة العربية وما جاورها •
- أسهمت فى نشر اللغة العربية ، إذ دفعت المسلمين من غير العرب ، إلى تعلم لغة القرآن الكريم ، واتخاذها لغة العبادة والتعامل • يقول الدكتور/ محمد عبدالسلام صقر •
- وفى عام الوفود • دخل أكثر سكان الجزيرة العربية فى الإسلام بما فيهم الشعراء والخطباء ، ومن اشتهروا فى أقوامهم بفصاحة الكلمة وطلاقة اللسان<sup>(١)</sup> •
- اتسمت بالمعانى الجديدة ، والقيم والمناهج التى يحتويها الدين الإسلامى الحنيف ، وتخلت عن الجاهلى من النزعات الحسية وتشبيهات واستعارات فى المحسسات ، وهجرت الاستقصاء فى الموصوفات الحسية والجسدية
- انتفت المعازلة والنفاق والسب من الخطبة الإسلامية ، وحفلت بالنصح والوعظ والإرشاد •
- استحدثت الخطابة الإسلامية ألوانا جديدة منها الخطابة السياسية والخطابة الاجتماعية ، وهما لوانان لم تعرفهما الخطابة العربية قبل •

---

(١) نصوص مختارة من العصرين الجاهلى والإسلامى ١٠٣ •

- ازدهرت خطابة الوفود فى عهود عمر بن الخطاب ومعاوية وعمر بن عبدالعزيز - رضى الله عنهم - لسماحهم لأفرادها بالتحدث والطلب .
- ازدهرت الخطابة الوعظية ، ونمت وانتشرت فى الأمصار الإسلامية لظهور طائفة من الوعاظ ، استمدت من كتاب الله وسنة نبيه منبعاً ثراً ، ومصدراً فياضاً لمواعظهم وخطابهم ومما زاد فى ازدهارها أن هؤلاء الوعاظ كانوا يجبرون خطبهم ويعدونها إعداداً جيداً .
- نظراً لما كان يقوم به الرسول - صلى الله عليه وسلم - من قيامه بنفسه بخطبة الجمعة وخطبتي العيدين ، وفى المواقف المهمة ، ثم قيام الخلفاء الراشدين من بعده بالخطبة فى الجمعة والعيدين ، وفى المواقف المهمة ، حرص حكام المسلمين من بعدهم بأن يكونوا خطباء مفوهين ، فعملوا على التزود بما يمكنهم من ذلك فحفظوا القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول وتقفوا الثقافة الإسلامية العربية ، مما كان منهاجاً للخطباء من خلفهم ، فارتفع مستوى الخطابة ، وبخاصة فى عصر بنى أمية .
- كان للأحداث المؤسفة التى تعرضت لها الأمة الإسلامية العربية من انقسام واختلاف وحروب ، والآثار الفعالة فى الخطابة ، وبخاصة خطابة الودود التى كانت تتبادل بين الفرق المتناحرة ، وأيضاً خطباء الجيوش الذين كانوا يحمسون الجنود ، ويحيون إليهم الاستشهاد فى سبيل الله .
- كان لظهور الفئات والطوائف المختلفة دورها المؤثر فى ظهور فئات متعددة من الخطباء المدافعين عن مذاهبهم وآرائهم ،

ودحض آراء الفرق الأخرى ، من شيعة وخوارج وأمويين  
وعلويين وعباسيين .

• خلت الخطابة النبوية من التعبير باستعمل الأسلوب المناسب  
في موضعه الصحيح ، فالبسط في موضع البسط ، والقصر في  
موضع القصر ، إذ لكل مقام مقال .

- كذا هجر الوحشى الغريب من الكلام ، فكلامه حف بالعصمة ، وشيد  
بالتأييد ، ويسر بالتوفيق ، وهو الكلام الذى ألقى الله عليه المحبة وغشاه  
بالقبول ، وجمع له بين المهابة والحلاوة ، وبين حسن الإقحام وقلة عدد  
الكلام ، مع استغنائه عن إعادته ، وقلة حاجة السامع إلى معاودته . لم  
تسقط له كلمة ، ولا زلت له قدم ، ولا بارت له حجة ، ولم يقم له خصم  
ولا أفحمه خطيب ، بل يبدأ الخطب الطوال بالكلم القصار ولا يلتبس  
إسكان الخصم ، إلا بما يعرفه الخصم ، ولا يحتج إلا بالصدق ولا يطلب  
الفلج (الفوز) إلى بالحق ، ولا يستعين بالخلافة ، ولم يسمع الناس بكلام  
قط أعم أحسن ، ولا أقصد لفظا ، ولا أعدل وزنا ، ولا أجمل مذهبا ،  
ولا أكرم مطلبا ولا أحسن موقعا ، ولا أسهل مخرجا ، ولا أفصح معنى  
ولا أبين فحوى من كلامه (ص)<sup>(١)</sup>

- سار الخلفاء الراشدون على هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم -  
في خطاباتهم لما تمتعوا به من فصاحة وبلاغة استمدوها من بيان  
القرآن وسنة النبي ومواعظه وتشريعاته .

- فكان أبو بكر يلهج بفصيح الكلام وجزل اللفظ ومتخيره ، وكان  
عمر - رضى الله - عنه ذا مرتبة رفيعة من البلاغة والفصاحة ،  
وقوة العقل وسداده ، وفى عهد على رضى الله عنه - كانت الفتنة



الكبرى التى انقسم العالم الإسلامى على إثرها إلى أقسام ثلاثة ، كلن لكل فريق خطبائه - كما سبق أن أشرت مما عمل على إنماء الخطابة الحربية وانتشارها ، ثم أفرزت لونا سياسيا بين هـ الأحزاب المتصارعة .

وفى عصر بنى أمية . نشطت خطابة الوفود ، والخطابة السياسية والوعظية واكتست الخطابة رداء الجدال والإقناع وتقرير الأدلة فى عقول الناس .

- وكان للترجمة دور فاعل ، بما نقلته من آثار الفلاسفة والمناطق فاصطبغت به أساليبهم وطرق تعبيرهم ، مما أدى إلى تطور جديد فى الخطابة وأساليبها "دعمت فيها الأدلة ، ودقت المعانى ، واستتمت شعبا كثيرة من خفياتها ودقائقها" (١) .

- ظهر أسلوب جديد أطلقوا عليه اسم (الأسلوب المولد) جاء نتيجة تعدد شعوب الأمة الإسلامية ، وهو أسلوب يغلب عليه عدم الارتفاع عن الموالى وعدم الهبوط عن العرب وفئاتهم الخاصة .

- ظهر أسلوب السجع من جديد ، لجأ إليه الوعاظ والقصاصون ، وشاع أسلوب يجمع بين الازدواج والترادف ، جاء ذلك كله نتيجة ضيق معانى الوعظ ، وحتى يمكن توصيل المعنى المراد ، والتأثير فى السامعين .

#### وفى العصر العباسى :

\* سرى ذوق محافظ له مستوى راق من الأداء يتناسب مع مجالس الخلفاء والوزراء ، الذين كانت تعقد فى ساحاتهم لقاء العلماء والأدباء .

\* ظهور النحاة والبلاغيين من العلماء ، أثرى أساليب الخطباء وطبعها بطابع الاهتمام والرعاية وحسن اختيار اللفاظ والأساليب .

(١) تاريخ الأدب العربى - العصر الإسلامى ٤٤٣ د . شوقي ضيف .

- اتسعت دائرة الترجمة ، مما انعكس أثره ، وزاد تأثيره فى أساليب الخطباء ، فاتسعت دائرة الخطابة . وشملت كل الميادين .
- كان لازدهار دولة الخلافة العباسية انعكاسه على الآثار الأدبية فشغل الخطباء بحسن مطلع خطبهم ، وأبدعوا فى استهلالها ، فوشوها بالبديع واهتموا بذلك إلى حد بعيد .
- اتسمت الخطابة فى ذلك العصر بدقة التفكير نتيجة إقبال الأدباء بعاهة على ما نقل إليهم من تراث الأمم الأخرى ، والأخذ منه وإخضاع بعض عباراتهم لما تأثروا به من هذه الثقافات الواردة .

- لعب الخيال دورا كبيرا فى إبراز المعانى وإيصالها للسامعين
- بلغت اللغة أرقى ما يمكن من رشاقة وعذوبة ونعومة .
- لم تقف المسألة عند احتفاظها بالقوالب العربية ، وأوضاعها اللغوية، وتيسير هذه القوالب والأوضاع ، وتذليلها للمعانى العلمية والفلسفية العميقة وأدائها بخفيات حدودها ، ورسما رسما دقيقا ، بل امتدت إلى استحداث أسلوب مولد جديد ، أسلوب يحتفظ للغة بكل مقوماتها ، كما يحتفظ بالوضوح والتجافى عن الألفاظ الغامضة ، والمعانى المبهمة ، بل إنه ليحرص على الأداء البليغ بحيث يروق المتكلم والكاتب والمترجم والسامع بعذوبة لفظة بل بحيث يلذ الأذان حين تستمع إليه ، كما يلذ العقول والقلوب ، وهو أسلوب قلم على هجر كثير من الألفاظ البدوية الحوشية الجافية التى تنبؤ على ذوق أهل الحاضرة ، كما قام على الارتفاع عن الألفاظ العامية المبذلة ، مع العناية بفصاحة اللفظ وجزالته ورسانته والملاءمة الدقيقة بين الكلمة والكلمة فى الجرس الصوتي<sup>(١)</sup>

(١) تاريخ الأدب العربى - العصر العباسى ٤٤٣

نتيجة لنظام الحجابة ، الذى حرص عليه الفرس ؛ ليحولوا بين الخليفة ودخول عامة الشعب عليه - كما كان متبعاً قبل - لم يجد الواقدون من الخطباء فرصتهم فى الدخول على الخليفة - ضعفت ألوان من الخطابة كالخطابة السياسية والخطابة الحفلية .

### ج - السبيل الثالث الذى سلكته الوفادة هو الشعر .

١ كان الشعر فى العصر الجاهلى يجرى على خصائصه المعروفة فى ذلك العصر ، من سلامة . اللغة ، وقوة تعبيرها ، وسلامة ألفاظها ودقة أسلوبها ، ووضوح معانيها ، وحسية تصويرها وتشبيهاتها .  
كانت البيئة الجاهلية بكل ما فيها من كائنات ، عناصر يقوم عليها ذلك الشعر فهو يستمد منها كل مظاهر صوره ، من جبال صلبة شاهقة ، إلى وديان سهلة منبسطة ، ووحوش كاسرة ، إلى حيوانات مستأنسة وطيور جارحة ، وأخرى داجنة ، قبائل قوية معتدية ، وأخرى ضعيفة مستتلة . من كل ذلك أخذ الشاعر الجاهلى صوره وتشبيهاته .

- اكتست الألفاظ والأساليب بصورة طبيعة البيئة ، فهى جافة غليظة لدى الشاعر ينظر حوله ، فإذا رأى ما يناسب المعنى الذى يدور فى ذهنه ، وصادف هوى لديه ، نظم من أبياته ما تمنحه هذه البيئة من صور وألفاظ .

\* اتسم شعرهم الجاهلى - أيضاً - ببراعة النظم ، وقوة العاطفة وذكاء القريحة ، والسليقة ، فكان الشعر يجرى على ألسنتهم منذ صغرهم ، لا يجدون فى ذلك غضاضة أو مشقة .

- \* من حيث الأبواب جرى الشعر وقتئذ - وفق مستلزمات الحياة البدوية كالفخر بالأحساب والأنساب والصفات • كما جرى على الهجاء والثناء والمديح والغزل والخمریات •
- \* اتسع مجال الموسيقى الشعرية وتنوع ، وكانت هذه الموسيقى تجرى على أشعارهم قبل تحديد بحورها المعروفة على يد الخليل بن أحمد •
- \* زخر شعرهم بالكثير من القصص والأمثال والوصايا والحكم •
- \* كان للأسواق دور فاعل في رقي الشعر ، وظهر من يعرفون بعبيد الشعر •
- \* ألف شعراء الجاهلية نظم قصائدهم على طريقة وحدة القافية والوزن وكانوا يبدعون القصيدة بما يشبه المقدمة الموسيقية من ذكر الديار القديمة والتأثر لما سلف من أيام " (١) ثم تتعدد الأغراض بعد ذلك في القصيدة الواحدة •

---

(١) نصوص مختارة من العصرين الجاهلي والاسلامي ١٣ ، ١٤ ، د.أ. محمد عبدالسلام صقر •

- كان الشعر - فى أدب الوفادة فى الجاهلية - أقل من النثر ، الذى  
تمثل فى الحوار والخطابة ، كما سبقت الإشارة إليه .

وأشرق نور الإسلام ، فالتزم الشعر الإسلامى بتعاليم الإسلام  
ومبادئه .

- سلك الشعراء المسلمون سبيل الدعوة يدافعون عن عقيدتهم

ويردون عن الرسول صلى الله عليه وسلم - مفآخرات  
المشركين ومفآفراتهم

- سلك الشعر الإسلامى منهجا قويا ، يتعرف الشعراء فيه تاريخ  
من يتصدون لهم ، ومثالبهم ، من حيث النسب والأخلاق ، وقد  
أهاب بهم النبى - صلى الله عليه وسلم - أن ينصروه بلسانهم  
كما نصروه بسلآهم

- قضى الإسلام على بعض الأغراض كالمفآخرة والمنفآرة  
وإظهار أمجاد الأجداد وأحسابهم ، ولم يبق من ذلك إلا القليل  
الذى اقتضته أذواق بعضهم وطبائعهم .

- تخلص الشعر من الألفاظ الجافة والغليظة ، التى جبلت عليها  
طبائع المشركين من الفظآظة والعنف ، لأن الإسلام دين خلق  
وقيم سامية

- احتفظ الشعر بقواعد بنائه القديمة فى النظم ، القائمة على وحدة  
التفعيلة التى ينتج منها الهيكل العام للقصيدة ، وهو ما سآعد  
الباحثين فى هيكل الشعر العربى ، مما اكتشفه الخليل بن أحمد  
فيما بعد ، وسمآه بالبحور ، وما وجد فيه من نهايات خاصة  
بالأبيات : ( القافية ) .

- قام كل بيت على وحدة خاصة به - كما كان الحال فى الشعر جاهلى ولم تجر القصيدة على الوحدة الموضوعية وإن كان غلب عليها ك فى غرض الرثاء ، وظهر ما يشبه الوحدة الموضوعية من خلال تباطؤ الشاعر بفكرة الإيمان والدفاع عن الإسلام ورسوله ، ولكنها ليست حدة موضوعية كاملة<sup>(١)</sup> .

- تأثر الشعر بالقرآن الكريم والحديث الشريف ، فاقنيس الكثير من معانيهما وصورهما وألفاظهما ، كما تأثر فى تشبيهاته واستعاراته وأساليبه ، وصور بيانه بهما . مما ارتقى بالشعر وأكسبه صفات جديدة ، جعلته بحق شعرا إسلاميا .

- مهما استقلت الأبيات بالأفكار والموضوعات الخاصة ، فإن كلا منها يعبر عن موضوع واحد ، وهو موضوع الساعة آنذاك ، وهو موضوع الدعوة ، التى كان لها أكبر تغيير فكرى فى حياة الناس وأسلوب معاشهم وكلامهم

- لأن الشعر ديوان العرب يومئذ ، أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعدم النظم فى الخمر لأنها محرمة فى الإسلام ، فلا داعى للحديث عنها وعن ساقيتها ، وعن مجالس الأنس والطرب التى كانت تعقد لها .

كذلك نهى الرسول عليه السلام عن الهجاء الفاحش الذى يمس أعراض الناس وشرفهم ، وجعل الهجاء بالكفر والضلال وسوء الأخلاق ، وجعل الفخر بالإسلام وروح الإيمان . وهذا ما حدث مع حسان فى رده على شعراء الوفود الذين فخروا بأبائهم وأجدادهم وبمآلهم من مواقف ومعارك انتصروا فيها بالسيف ، حتى ولو كانوا ظالمين ، على حد قولهم فى الفخر بقومه:

(١) دراسات فى الأدب العربى على مر العصور ٣٥

قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم طاروا إليه زرافات ووحداً  
لا يسألون أخاهم حين يندبهم في الثنابات على ما قال بر  
- اشترط الإسلام في الشعر الصدق ، فلا ينبغي للشاعر المسه  
أن يقول إلا صدقاً وحقاً ، ولعل في رأى عمر - رضى الله  
في شعر زهير ، وتعليقه عليه بقوله :

" كان لا يعاظم ، ولا يصف الرجل إلا بما فيه ... " . أقول : ف  
في رأى عمر - رضى الله عنه أصدق دليل على فضيه الص  
والالتزام في الشعر الإسلامى .

- أضاف الإسلام إلى الشعر أغراضاً جديدة - إلى جانب ما أنه  
من الأغراض الجاهلية - منها : مدح الإسلام والثناء علم  
وعلى مبادئه والتحريض على قتال المشركين ، والحث على  
الاستشهاد فى سبيل الله .

- أضاف الإسلام معانى وأخيلة جديدة ، كذلك أضاف ألفاظ  
جديدة استحدثها الإسلام .<sup>(١)</sup>

- تشبعت روح الشعراء بما غرسه فيهم القرآن الكريم وأحاديث  
الرسول صلى الله عليه وسلم واستمدوا صورهم وأخيلتهم .  
تعبير آيات القرآن الكريم ، وتعبيرات رسول الله - صلى  
عليه وسلم -

### وفى العصر الأموى

- سار الشعر على ما كان عليه فى عصر النبوة والخلفاء  
الراشدين ، من حيث قوة الأسلوب وورصاته وحسن سبيل  
وبراعة تشبيهاته واستعاراته

<sup>(١)</sup> نصوص مختارة من العصرين الجاهلى والإسلامى ١٠٥ - ١٠٧ اد/ محمد عبد  
السلام صقر

- استحدثت فى بعض عواصم الدولة كمكة والمدينة الشعر الذى  
يجرى على ألسنة المغنين والمغنيات ، من شعر الغزل وارتقى  
رقيا كبيرا ، ولجأ الشعراء إلى الأوزان القصيرة تمثليا مع  
ألحان غنائهم

- انتشر شعر المديح ، واتسعت مجالاته ، بما لجأ إليه الشعراء  
من تصوير الخلفاء والأمراء والوزراء ، تطلعا لعطائهم  
وطمعا فى الحصول على الحظوة عند ممدوحهم .

- عادت العصبية القبلية فى عصر بنى أمية إلى الإطلال برأسها  
من جديد ، ويبدو أن الدولة شجعت هذا الاتجاه ، وعملت على  
إذكائه ، وكان الإسلام قد نهى عن هذه العصبية . وتمثلت هذه  
العصبية بين قيس من جهة وكتب وتغلب من جهة أخرى .

- نتيجة لتعدد الاتجاهات المذهبية ، من شيعة وأمويين وخوارج  
تعددت اتجاهات الشعراء ، إذ لكل طائفة شعراؤها الذين  
يدافعون عن اتجاه طائفتهم ومعتقداتهم السياسية ، مما أفرز لنا  
عرف بالشعر السياسى ، كما كان للمعارضين شعرهم الذى  
يصور اتجاهاتهم ، فالكميت الأسدى مثلا

- على الرغم من كونه من بنى أمية- كان له شعره الهاشمى  
وتأتى قصيدته التى أولها  
طربت وما شوقا إلى البيض أطرب

ولا لعبا منى وذو الشيب يلعب

مثالا صادقا لهذا الشعر الذى يعارض فيه أصحابه سياسة الدولة .  
- كان لقسوة الحياة البدوية فى نجد وبوادر الحجاز وما أشبهها فى  
رقى الجزيرة دور فاعل فى نزوح كثيرين من شعرتها للوفود على



الخلفاء والولاة طالبين عونهم . مما أثرى هذا اللون من الشعر ، السدى  
يمكن تصنيفه تحت أدب الوفاة .

• ضعفت بعض الأغراض كالهجاء والفخر - وبخاصة فى البيئات  
البدوية وقويت أغراض أخرى كالمديح والغزل ، وظهر شعراء أثروا  
الحركة الشعرية فى هذين الغرضين ، وبخاصة فى الغزل ، ويعد غزل  
النجديين من أروع صور الغزل العربى ، لما أشاعوا فيه من نبل وسمو  
وطهارة ونقاء ، وعادة ينسب الأدباء إلى بنى عذرة ، لكثرة ما أنتجت فيه  
، فيقولون غزل عذرى ، وهو غزل يمسح عليه الإسلام وما أحاط به  
المرأة من جلال ووقار ، وما حرم من الآثام ظاهرة وباطنة " (١)

• اختلط العرب بغيرهم من شعوب الأمم الأخرى - التى فتحتها الإسلام  
وتمثل الاختلاط فى الحياتين الاقتصادية والاجتماعية أكثر ما يكون ، فقد  
خالطوهم فى التجارة والصناعة والزراعة ، كما خالطوهم بالزواج  
والمصاهرة ، وكان من نتيجة ذلك الاختلاط تسرب الكثير من العادات  
غير العربية إلى العرب ، وبخاصة الفرس ، وكذلك تسربت بعض  
الألفاظ الأجنبية إلى العرب ، وجرى بعض هذه الألفاظ على ألسنة  
الشعراء . كما أخذ يظهر بسبب الامتزاج بالموالى تطور ثان فى لغة  
التقام ، فإن العرب عمدوا إلى استخدام تعبيرات مبسطة حتى يفهم  
عنهم الموالى ، ويلوكوا ما يلفظونه بسهولة " (٢)

وقد أدى ذلك التداخل فى اللغات - بين العربية وغيرها - إلى

انتشار اللحن ، مما مهد لظهور النحاة واللغوين بعد .

• تعددت الحروب بين الأمويين ومناوئهم كالزبيريين والشيعية  
والخوارج ، مما هيا لشعر الحماسة سبيل القوة ، كما أن شعر الرثاء

(١) تاريخ الأدب العربى - العصر الإسلامى ١٥٠ د/ شوقي ضيف

(٢) تاريخ الأدب العربى - العصر الإسلامى ١٧٠ د/ شوقي ضيف

للقتلى ازدهر أندهارا كبيرا نتيجة صدق عاطفة الشعراء تجاه من يربونهم وفى المقابل أيضا - كلين انصراف كثير من الشعراء عن هذه الحياة الملأى بصليل السيوف ، وقعقة السلاح وجرى الدماء أنهارا - إلى حياة الزهد والدعوة للعمل الصالح ، مما أثرى هذا النوع من الشعر وسجل الشعراء فى ذلك قصائد من أروع ما احتوه ديوان العرب .

اتصل العرب بالثقافات الأجنبية ، ولعبت الترجمة دورا مهما فى نقل الفكر اليونانى والهندي إلى العربية ، وكان المنطق والفلسفة من أكثر العلوم التى اهتم بها العرب ، وحرصوا على قضيتهما مما لا يتفق مع روح الإسلام ، والأخذ بهما فى رد خصوم الإسلام ، وتأثر بعض الشعراء بذلك ، وأجروه على أساليبهم فى الشعر .

■ اتجه بعض الشعراء إلى الزهد ، كأثر عكسى مباشر ، لما انتشر فى الأمة - نتيجة الفء والغنائم من الفتوح - من مظاهر الثراء والترف لهو والمرح يعظون الناس ، وينكرونهم بالآخرة والحساب والعقاب جنة والثواب والنعيم المقيم ، وظهر لون من الشعر القصصى الملىء مواعظ والعبر . ولم يكثر الوعاظ على باب كثرتهم على باب عمر بن د العزيز" (١)

■ عاش بعض الشعراء جزءا من عمرهم فى الجاهلية وجزءا آخر فى ظل الإسلام ، وهم من أطلق عليهم ( المخضرمون ) وقد طبع الإسلام شعر هؤلاء المخضرمين بطوابع جديدة ، نجدها تتمثل فى : التطور اللغوى ، والرقعة اللفظية والوضوح المعنوى ، والتفرد

بالتفحات الدينية التي أسبغها عليهم الإسلام والتعبيرات القرآنية التي اتخذت لها مدلولاً جديداً<sup>(١)</sup>

- كثرت المقابلات في شعر تلك الفترة ، انعكاساً لما كان فيها من تناقضات فكرية وسياسية ، فجاءت المقابلة بين الجنة والنار ، والثوب والعقاب والضلالة والهدى والحسنة والسيئة ، فعبرت عن تلك الفترة تعبيراً صادقاً لأن الشعر مرآة عصره .
- ظلت ( الصورة الشعرية ) محتفظة بطابعها القديم إلى حد بعيد ، لأنها مستمدة - غالباً - من البيئة ، ومصور لها ، فكان الشعراء - وبخاصة البدويون ، والذين لم يشاركوا في الحروب - مرتبطين ببيئتهم ، يغترفون منها لصورهم ، حيث عاشوا مرتبطين بها . وقد جاءت صورهم تفيض حياة ، وتمتلئ بالحركة ، وتلبس العديد من صور التشبية والكنائية والاستعارة ، مما يجعل صورهم حية تتقراها الأيدي باللمس ، لما تشيعه من ألوان وحركات .
- كان للسليفة العربية - أثر كبير في تعبير الشعراء الذين حازوا من بلاغة المنطق وحسن البيان ، وجودة الإفصاح والإفهام ، فاستطاعوا أن ينالوا من سامعهم حسن الإصغاء والمتابعة والتأثر والإعجاب بديبا جاتهم الرائعة ، ورونقهم الرائق البديع ، وتميزت أشعارهم بغخامة اللفظ وشدة الأسر واحتذاء النماذج التراثية الأصيلة .

(١) فصول من تاريخ الأدب العربي في عصر الإسلام بنى أمية ٨٩ هـ / محمد عبد السلام صقر

جاء الشعر فى وفادات العصر الأموى خلال خطب الخطباء ، ولم  
 ١٠ء مستقلا كما رأيناه فى العصر النبوى ، حيث جاءت وفود بنى تميم  
 لبلباء وشعراء ، وبعد أن انتهى الخطباء من خطبهم ، بدأ الشعراء  
 دب لهم النبى صلى الله عليه وسلم - حسان بن ثابت الذى أبلى فى  
 . الميدان بلاء حسنا .

#### ب- السفارة

يقول ابن عبد ربه : هى مقامات فضل ، ومشاهد حفل ، يتخير لها  
 الكلام ، وتستعذب الألفاظ وتستجزل المعانى "لابد للوفد عن قومه  
 : أن يكون عميدهم وزعميهم ..... فهو واحد يعدل قبيلة ، ولسان  
 يعرب عن ألسنة ... وما ظنك بوفد قوم يتكلم بين يدى النبى  
 (صلى الله عليه وسلم ) أو خليفة ، أو بين يدى ملك جبار فى  
 رغبة أو رهبة ، فهو يوطد لقومه مرة ، ويتحفظ ممن أمامه أخرى ،  
 أنراه مدخرا نتيجة من نتائج الحكمة ، أو مستقبيا غريبة من غرائب  
 الفطنة ، أم تظن القوم قدموه لفضل هذه الخطبة ، إلا وهو عندهم  
 فى غاية ( الحذقة واللسن ، ومجمع الشعر والخطابة ، ألا ترى أن  
 قيس بن عاصم المنقرى لما وفد على النبى ( صلى الله عليه وسلم )  
 بسط له رداءه ، وقال : هذا سيد الوبر " (١)

من هذه المقولة ، نجد أن السفير :

- ١- مقامه مقام فضل ، يحتفى به ، ويستقبل استقبالا عظيما وينزل  
 منزلة كريمة ، فهو ممثل أمة ، وسفير دولة ، له كل الاحترام  
 وعليه تعلق الآمال ، فى الخير والسلام ، والمودة والوثام .

٢- ينبغي أن يكون ذا منزلة فى قومه ، كأن يكون عميدهم أو زعيمهم ، منه يستمدون قوتهم ، وله تكون طاعتهم ، فكره فكرهم وهدفه هدفهم ، تعدل عظمتهم فيهم عظمة القبيلة ، لأنه المتكلم باسمهم ، الناطق بإرادتهم ؛ ولذا أوجب الرسول صلى الله عليه وسلم تكريمه فقال "إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه "

٣ - يلزم فيه أن يكون ممن يحسنون الكلام ، ويجيدون النطق ويختارون اللفظ ، ويقومون العبارة ، ويستعذبون الصياغة ويستصوبون المعنى .

٤ يحسن مقابلة الملوك والرؤساء ، فيتخلى بالحكمة والكياسة ويجيد التعامل مع ذوى المناصب والرياسة ، ليحقق لأمره ما تصبوا إليه من حسن السياسة وتوطيد أركان العلاقات مع من يبتعث إليهم بالحلقة واللسن فينزلق إليهم بسحر البيان الذى يمازج الروح لطاعة ويجرى مع النفس رقة . والكلام الرقيق مصائد القلوب وإن منه لما يستعطف المستشيط غضبا ، والمندمل حقدا ، حتى يطفىء جمره غيظه ، ويسل دفائن حقه " روى أن المهلب لما فرغ من قتل عبد ربه الحرورى دعا بشير بن مالك فأنفذه بالبشارة إلى الحجاج فلما دخل على الحجاج قال : ما اسمك ؟ قال : بشير بن مالك . فقال الحجاج بشارة ومالك : كيف خلفت المهلب ؟ قال : خلفته وقد أمن ما خاف . وأدرك ما طلب قال : كيف كانت حالكم مع عدوكم ؟ قال : كانت البداة لهم والعاقبة لنا . قال الحجاج : العاقبة للمتقين . ثم قال : فما حال الجند ؟ قال : وسعهم الحق وأغناهم النقل ، وإنهم لمع رجل يسوسهم سياسة الملوك ، ويقاثل بهم قتال الصعلوك ، فلهم منه بر الوالد ، وله منهم طاعة الولد .

قال :فما حال المهلب ؟ قال : رعاة البليات حتى يؤمنوه . وحماة السرح حتى يردوه .

قال : فإيهام أفضل ؟ قال : ذلك إلى أبيهم . قال : وأنت أيضا .  
فإني أرى لك لسانا وعبرة . قال : هم كالحلقة المفرغة لا يدرى  
أين طرفها ؟ قال : ويحك . أكننت أعددت لهذا المقام هذا المقال ؟  
قال : لا يعلم الغيب إلا الله .

٥- يكون ملما بأداب قومه ، حافظا لأشعارهم ، عارفا بأسباب  
ثقافتهم ، ملما بأساليب خطابتهم جامعا لغرائب فطنتهم .  
٦- يتحلى بالشجاعة ، والثقة بالنفس ، فلا يخشى ولا يخاف فهو  
يتسم بالحصانة (١) .

ولن يتعرض لأى من ألوان الأذى أو التعذيب أو القتل فله الأمن  
والأمان والحماية ، مهما كان مضمون الرسالة التى يحملها ، ومهما  
كانت طبيعة العلاقات بين دولته والدولة المبتعث إليها من سلم أو  
حرب فالرسول لا يعاقب كما حكى صاحب الأغاني (٢) .

لما قتل ابن الزبير ، حج خالد بن يزيد بن معاوية ، فخطب رملة  
بنت الزبير بن العوام ، فأرسل إليه الحجاج حاجبه عبيد الله بن  
مواهب ، وقال له : ما كنت أراك تخطب إلى آل الزبير حتى  
تشاورنى ، وكيف خطبت إلى قوم ليسوا لك بأكفاء ؟ وكذلك قال  
جندك معاوية ، وهم الذين قارعوا أباك على الخلافة ، ورموه بكل  
قبيحة ، وشهدوا عليه ، وعلى جندك بالضلالة . فنظر إليه خالد  
طويلا ، ثم قال له : لولا أنك رسول ، والرسول لا يعاقب لقطعتك

( زهر الآداب ٢/ ٧٨٧ ، ٧٨٨ الحصرى )  
العقد الفريد مجلد ٢/ ص ٢ تحقيق / المريان .  
العقد الفريد مجلد ١٠ ص ٥ ابن عديريه .  
(٢) الأغاني جـ ١٧ ص ٣٤٣ ابن عبد ربة

إربا إربا ، ثم طرحتك على باب صاحبك ، قل له : كنت أرى أن الأمور بلغت بك إلى أن أشاورك فى خطبة النساء .

٧- يلزم - غالبا - الإمامه بمضمون الرسالة التى يحملها ، حتى يستطيع الرد أو المناقشة إذا اضطر إليها ، أو سئل بشئ يتعلق بها وهو مؤتمن على ما يحمل من رسالة ، كما نلاحظ اختلاف مضمون الرسالة بحسب الموقف الذى ترسل فيه

٨- ينبغى أن يكون ذا سمت حسن ، وصورة طيبة ، وهئية رفيعة تليق بمقام من ابتعثه ومن أرسل إليه . يرتدى من الملابس أحسنها وأرقاها ، وقد مر بنا أن النعمان لما هجر سفراءه إلى كسرى جهزه أحسن تجهيز ، وألبسهم أفخر الثياب " ودعا لهم بما فى خزائنه من طرائف حلل الملوك ، كل رجل منهم حلة وعمامة وختمه بياقوتة ، وأمر لكل منهم بنجبية مهربة وفرس نجبية " (١)  
٩- يغلب أن يكون رجلا ، أما فى الوفادة ، فيجوز أن تمثل المواة بواحدة أو أكثر

١٠- يحمل رسالة مكتوبة ، أو شفوية ، أما فى الوفادة فلا يحملون مكتوبا ويكون السفير واحدا ، أما فى الوفادة فيكونون جمعا أو واحدا ويكلف بسفارته من ملك أو زعيم ، أما فى الوفادة فلا يكلفون وإنما تكون وفادتهم بدافع ذاتى أو شخصى .

يستقبل السفير - غالبا - بالتقدير والتكريم وحسن الهيئة . حدثنا عبد الله بن عمرو ابن زهير عن محجن بن وهب عن أبى يسرة الجهنى ، عن جندب ابن مكيث ، قال : " كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا قدم الوفد لبس أحسن ثيابه وأمر عليه القوم بذلك " فلقد رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم قدم وفد

كندة ، وعليه حلة يمانية وعلى أبى بكر وعمر مثل ذلك .<sup>(١)</sup> —  
وينبغى للسفير — غالباً أن يلم بلغة من يسفر إليهم ، وقد مر بنا أن  
الرسول — صلى الله عليه وسلم — طلب من سفرائه أن يتعلموا  
لغات الأمم المجاورة .

أما من حيث ( أدب السفارة ) فينبغى أن يكون تصويراً صادقاً  
للعصر بما يحوى من مظاهر سياسية واجتماعية واقتصادية  
ودينية . فعبارات الرسائل تعكس أسلوب العصر ومزاياه ، وهى  
مراة صادقة لما يجرى على ألسنة القوم من ألفاظ جزلة ، وعبارات  
قصيرة قوية ، وصور مستمدة من البيئة ، تعكس طبيعتها القاسية  
الجافية فى البادية ، أو يسرها وليونتها فى الحضر ، وهى أيضاً  
تعكس ما يشغل أذهان مسئوليهي من علاقات سياسية مع جيرانها  
ورغبتهم فى إقامة حسن جوار ، معهم ، وإرادة صادقة لحل ما  
يعترض مسيرة حياتهم من مشكلات . وقد مر بنا ما حدث بين  
النعمان وكسرى ثم ما كان بين سفراء النعمان إلى كسرى كما  
تعبّر الصور عن الواقع الاجتماعى ، بما فيه من عادات وتقاليده  
وظروف حياة من فقر أو ثراء كما تصور العوامل النفسية التى  
يعيشها الإنسان العربى من اعتداد بالنفس واعتزاز بالانتماء إلى  
الأمّة العربية ، وتقاليدها فى التعايش فيما بينها أو مع غيرها .

#### ٥. العصر الإسلامى

كان لأدب السفارة رسالة أشرف وأعظم ، فقد اتخذها الرسول —  
صلى الله عليه وسلم — وسيلة لنشر الدعوة ، كما اتخذها طريقاً إلى  
تأمين المسلمين وحمايتهم فى مهجرهم بالحيشة ، حينما حاولت  
قريش أن تنال من المهاجرين الأوائل من المسلمين ، الذين وجههم



الرسول — عليه الصلاة والسلام — إلى النجاشي فلما أرسلت قريش عمرو بن العاص لتأليب النجاشي على المسلمين وطردهم ، بعث له النبي — صلى الله عليه وسلم — رسالته لتأمين المسلمين وقراهم ، وقد استجاب النجاشي لتوصية الرسول صلى الله عليه وسلم — وأكرم وفادة المسلمين ، ورفض مطلب وفد قريش بتسليم المسلمين لهم .

ونلاحظ هنا :

١- أن بعض الرسائل كانت للدعوة إلى الإسلام ، والدخول فيه وترك الشرك وعبادة الأصنام أو الأديان الأخرى ، التي جاء الإسلام فأبطلها .

٢- بعض الرسائل الأخرى كانت بمثابة عهود وعقود ومعاهدات أمن من الرسول — صلى الله عليه وسلم — لحاملها أو لقبائلهم .

٣- بعض الرسائل كان شفها ، حمله الرسول السفراء إلى ذويهم . ويمكن القول : إن رسائل النبي — صلى الله عليه وسلم — كانت رسائل سياسية ، ومن أبرز خصائصها :

١- تحمل كل رسالة طابعا خاصا ، فهي لا تتشابه ، لاختلاف وقتها ، وظروفها ومن ترسل إليه .

٢ - تشترك رسائله — صلى الله عليه وسلم — من الناحية الشكلية . إذ تبدأ بالبسملة ، يليها ذكر المرسل ، وهو النبي — صلى الله عليه وسلم . فيقول : " من محمد رسول الله " ثم يأتي بعد ذلك اسم المرسل إليه : " إلى فلان .. " ثم التحية ، فإذا كانت الرسالة موجهة إلى مسلم . قال : " السلام عليكم ورحمة الله وبركاته " وإذا كانت

لغير مسلم يقول : " السلام على من اتبع الهدى " أو : " سلام على من اتبع الهدى " أو : سلام على من آمن " (١)

ثم تدخل الرسالة إلى صلب الموضوع الذى صيغت من أجله فإذا كانت الدعوة إلى الدخول فى الإسلام ، جاء قوله صلى الله عليه وسلم : " سلم أنت أو أنتم • أو " سلام أنتم " أو " أسلم تسلم " أو فإنى أدعوك إلى الإسلام" وكلها عبارات تحت على الدخول فى الإسلام ، والاتضواء تحت لوائه • وقد تحمل الرسالة عبارات للتحذير أو الوعيد • كقوله : " فإن توليت فعليك إثم ... " • وهكذا تبنى الرسالة صريحة واضحة ، لا التواء فى عباراتها ولا غموض • بل بيان نبوى كريم •

ثم تختم الرسالة بقوله : " فإنى أحمد إليك — إليك — الله الذى لا إله إلا هو ، وقد يذكر الشهادة •

وكانت كتب سفرائه وأمرائه تشبه فى مطلعها وختامها وأسلوبها منهج كتابته صلى الله عليه وسلم فى رسائله •

كذلك رد عليه بعض من كتب إليهم كالتجاشى ملك الحبشة والمقوقس عظيم قبط مصر ، على نفس المنهج والأسلوب •

وقد يظن بعض الكتاب المحدثين أن ردود بعض الملوك دخلها التغيير والتبديل ، لما تحمل من ملامح إسلامية ، ولكن إذا علمنا أن بعضهم أسلم كالتجاشى ، فما المانع من ذلك ، أضف إلى أن لغتهم — غالبا — كانت غير العربية •

فكان للترجمة ، أو المترجم إلى العربية دور فى مجيء الصيغة على تصوير عربى البيان

"كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يصنع نصب أعينه أشخاص المكتوب إليهم ، فيكلمهم ويكتب إليهم بما يقارب لهجاتهم" (١) .

وجاء في بعض رسائله - صلى الله عليه وسلم - تتابع الجمل القصيرة ، مع وجود العاطف ، وإن كانت غير متصلة المعاني ولا يربط بينها غير الغرض العام ، وهو الإرشاد والتوجيه (٢) .

كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يستأنس بالقرآن الكريم فيرصع أسلوبه ببعض آياته ، أو يطعمه ببعض مفرداته ، وقد تأتي الرسالة كلها قرآنية ، من ذلك رسالته إلى هرقل عظيم الروم ، وفيها يقول :

"بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى .

أما بعد ، فإنني أدعوك بدعاية الإسلام . أسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين . فإن توليت فعليك إثم الأريسيين (٣) " ويأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فإن تولوا فقولوا شهدوا بأننا مسلمون" (٤) .

رسائله - صلى الله عليه وسلم - كانت تقوم على مراعاة مقتضى الحال عند المرسل إليه ، كما جاء في رسالة إلى النجاشي - وكان نصرانيا لم يسلم بعد - فقد أكثر له من ذكر عيسى عليه السلام

(١) الكتابة والكتاب في عهد النبي ( ص ) ٧٦

(٢) السابق

(٣) الأريسيين م . أريسي . أى الفلاح

(٤) سورة الأعراف الآية ٦٤

حيث يقول : " وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلّمته ألقاهما إلى مريم البتول الطيبة الحسنة فحملت بعيسى من روحه ونفخه .  
وأما كتبه فى الأمان ، فهي تتميز بالقصر والإيجاز ، وقد تشابه فيها عبارات مثل : " من حاقه فلا حق له ، وحقه حق . وبل يحتو صوفه ، ولهم ذمة الله وذمة رسوله ... وفى المعاهدات كان الأسلوب يغلب عليه الطول والإسهاب والتفصيلات

ولعل من أهم خصائص كتاباته صلى الله عليه وسلم —

- البسر والسهولة . حتى يمكن إفهام من ترسل إليه .
- الإيجاز . فهو يؤدى ما يريد من المعانى بأقل الألفاظ . أوفى جوامع الكلم
- التزام بعض العبارات المعينة وتكرارها . مثل : الليل مد النهار شد "
- الإتيان ببعض الصور البلاغية . كالتشبيه والمجاز ، والجمل التى تشبه الأمثال مع قلة الاستعارة . من مثل قوله فى رسالة لهوذة ( شيخ اليمامة ) " واعلم أن دينى سيظهر إلى منتهى الخف والحافر "
- خلو كتاباته — صلى الله عليه وسلم — من الصنعة اللفظية والمحسنات البديعة ، ومن التعمل والتروى " (١) فما جاء منها فهو طبعى فطرى .
- فكان أسلوبه سلسا فصيحاً جامعاً مانعاً بريئاً من التكلف
- وفى عصر الخلفاء الراشدين
- كان المنهج محمدياً ، وسار الخلفاء سيرة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى كتاباته ، منتهجين نفس المنهج الذى سلكه

وإن دعت ضرورة الأحداث والوقائع إلى استحداث جديد  
 كحركة الردة التي استوجبت أن يكتب الصديق رسائل مع  
 أصحاب الألوكة ، فيها نداء ودعوة للخارجين كي يعودوا إلى  
 الإسلام وإلا كانت الحرب جزاءهم العادل .

**وفي عهد عمر** - رضى الله عنه - تتسع أرجاء الدولة ، فيدون  
 عمر الدواوين ، إذ رأى الحاجة ماسة إليها ، لتنظيم شؤون الدولة  
 ويتخذ من كتاب الدواوين كتابا لرسائله . وربما أرسل كتبه في  
 تعيين بعض القضاة .

**ويستمر الحال إلى عصر بني أمية** ، وفيه تتسع الحركة التدوين  
 فتكون الرسائل السياسية والشخصية ، وتأتي رسالة الحجاج إلى  
 قطرى بن الفجاءة ، ورد الأخير ، أنموذجا على هذه الرسائل  
 وهي تعتمد على :

- اختيار الألفاظ

- الإتيان بالسجع

- فيها إيهامات وادعاءات

ومن مميزات أسلوبها أيضا :

- سهولتها ووضوحها وقصدها إلى الغرض ، وبعدها التكلف ،  
 وخلوها من عبارات التفخيم ، وتأثرها بالقرآن وأسلوبه واقتباسها  
 منه

- ميلها إلى الإيجاز . حتى لقد كتب خالد بن الوليد . وهو  
 محاصر بدومة الجندل يقول فيها : " من خالد إلى عياص ..  
 اياك أريد "

- كانت الرسائل تبدأ : باسمك اللهم ، ثم يقول من فلان إلى فلان  
 ثم يلي ذلك غالبا قولهم : السلام عليكم ، أو السلام على من

اتبع الهدى ، ثم يثنون بقولهم " إني أحمد الله إليك ، ثم يأتى الكاتب غالباً يأماً بعد ويذكر عرضه الذى يكتب لأجله ، ويختمها بقوله : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته " .

" ولم تكثر الرسائل السياسية بين الخلفاء وولاتهم كما كثرت فى عهد عبد الملك ، وخاصة بينه وبين الحجاج ؛ لكثرة ؛ الفتن والثورات التى نشبت فى العراق وخرسان (١) .

وكان الحجاج نفسه يكثر من الكتابة إلى قواده ويكثر من السرد عليه ( انظر : الطبرى ) وشاعت إلى جانب الرسائل السياسية الوعظية . الرسائل الشخصية التى كان أصحابها يكتبونها متأثرين بالعوامل النفسية والاجتماعية . كتأثير الشوق عليهم إلى ذويهم وأصدقائهم ، نتيجة بعد الشقة بينهما ، لا تساع أرجاء الدولة ، أو للتهنئة أو الشفاعة أو العتاب أو الاعتذار

وهذا اللون من الرسائل كان يقوم على العنابية الشديدة باختيار الألفاظ وحسن تنسيقها ، وإحداث التوازن الموسيقى بين أطراف الكلام ، مع دقة التعبير ، وتجلية المعنى ، واستخدام الخيال فى تصوير ما يعتلج فى الحنايا ، وما يفور فى الصدور من شوق .

وهذا اللون هو ما عرف بعد بالرسائل الإخوانية —

ففى عهد معاوية نراه يتخذ ديوانين هما : ديوان الرسائل وديوان الخاتم ، وعين فى هذه الدواوين كتابا يقومون بتدوين الرسائل ، وهى التى عرفت باسم الرسائل الديوانية ، وهى التى تصدر عن الخليفة أو أحد ولاته إلى الدواوين أو الأشخاص . فهى تعتمد على:

- التعبير الموجز السريع ، مع الخلو من العاطفة أو الخيال ، مع طلاوة اللفظ وحسن الديباجة ، وسلوك المسالك إلى الإقناع ودقة المداخل .

- ونجد أن هذه الدواوين قامت لتخفيف الأعباء عن الخلفاء وتقليل مسؤولياتهم إذ إن " الخليفة لم يعد يملئ كتبه على كتابه كما كان الشأن في القديم ، بل أصبح الكاتب يكتب الرسالة ، ثم يعرضها عليه " (١) .

- وقد أدى ذلك إلى ظهور كتاب شهد لهم التاريخ بالباع الطويل في ميدان الكتابه مثل : عبد الحميد الكاتب ، الذي تدرج فى المناصب حتى تولى رئاسة ديوان مروان آخر خلفاء بنى أمية فى المشرق ، وقد كان ينتخب ألفاظه فلا يكون فيها توعر ولا غريب وحشى ، وإنما تمتاز بالحلاوة والعذوبة ، مع المعانى الغزيرة المرئية الخالية من الغموض والخفاء مع عناية بالترادف والازدواج والموسيقى والتحلية بالمحسنات التى تضيف على الأسلوب روعة بيانية خلابة .

- وفي العصر العباسي :

اتسعت أرجاء الدولة اتساعا كبيرا ، وتكونت فى غضون حكمها مذاهب وتيارات وقرق متعددة ، وكثرت الثورات والنزاعات بين طوائفها ، إلى جانب الحريات الواسعة التى نعم بها أبناء الأمم الأخرى ، كما ورثت الثقافة العربية حضارات متعددة ، وقامت الترجمة بنقل ثقافات أمم أخرى إلى العربية ، واتسعت العقول نتيجة تعدد الثقافات ، .

- كل ذلك أدى إلى نهضة رائعة فى مجالات النثر العربى ، وبخاصة الرسائل التى حلت مكان الخطابة التى تميزت بالخصائص الآتية
- دقة الأفكار : نتيجة التأثير بما نقل من علوم الفلسفة والمنطق وتأثر الكتاب بهما
  - عمقها وغزارتها : نتيجة التأثير باتساع الثقافة ، والاطلاع على علوم وثقافات الأمم المختلفة .
  - الميل إلى التسلسل والترتيب المنطقى . نتيجة ما وجدته أدباء العربية فى الآداب الأجنبية
  - الاتجاه إلى الاستقصاء والاستطراد . نتيجة الاحساس بإيفاء الموضوع حقه من الدراسة والإحاطة .
  - كثرة الصور البيانية من تشبيهات واستعارات . نتيجة زيادة التحضر والرقى الذى تعيشه الأمة وتزواج العرب بغيرهم من شعوب أخرى وانتشار مظاهر الترف والثراء .
  - غلبة المحسنات البديعة : نتيجة اتساع الثقافة اللغوية والبلاغية
  - تنوع الأسلوب بين المحاز والإطناب والمساواة . طبقا لأهمية الموضوع .
  - اتخاذ تقاليد خاصة . فى العمل الأدبى . من بدء وعرض وخاتمة .
  - كثرة الاستشهاد . بالقرآن الكريم والحديث الشريف ، والشعر والحكم والأمثال
  - سهولة الألفاظ ورفقتها : تعبيرا عن الحياة التى يحياها الأديب
  - دخول بعض الألفاظ الأجنبية : فى الأساليب العربية ، انعكاسا للاختلاط الثقافى والاجتماعى والسياسى .



ومن أبرز الكتاب في هذا المجال ( ابن العميد ) الذي يغلب على أسلوبه :

- إثارة الوجدان بالعبارة العاطفية والصور الخيالية ، والسترار  
السجع القصير الفقرات ، والجناس ، وتضمن الملح التاريخية  
والعلمية والاستشهاد بالشعر ، والعناية بالمعنى . قال فيه  
المتنبي :

عربي لسانه ، فلسفي رايه ، فارسية أعياده  
خلق الله أفصح الناس طرا في زمان أعرابه أكراده  
ثانيهما : ( القاضي الفاضل ) الذي يقوم أسلوبه على :

-توخى السجع والمحسنات .

- المغالاة في استعمال التورية والجناس والمطابقة-

- تحول الكتابة في عهده إلى صناعة أثرت سلبيا على النثر

الأدبي

- انصرف الأبناء عن المعاني والأفكار ، حيث ركزوا اهتمامهم

على الألفاظ والإكثار من الزخارف اللفظية والمحسنات البديعية

- اتجاه النقاد إلى تصوير رحلة النثر هذه ، مبيين أثر الكتابة

بقولهم " بنيت الكتابة بعيد الحميد ، وختمت بآبن العميد "

ولله الحمد أولا . وآخرها .

## خاتمة

وبعد ، فهذا ما أفاء الله تعالى على من فضله ، بذلت فيه جهداً أرجو أن ينال ثواب الله ، ورضاء من يقرأ هذا العمل .

ولقد حرصت أن أجمع فيه نصوصاً من العصر الجاهلي حتى الدولة العباسية حتى لا يتسع العمل ، ولعل في حال الوفادة والسفارة بعد تلك الفترة ما يشفع لى في الاكتفاء بهذا القدر ، وإن كانت قد اتخذت في العصر الحديث اتجاهات جديدة ، واتسعت اتساعاً يحتاج إلى عمل جديد فإله — تعالى — أسأل ، أن يكلل مسعائى بالتوفيق ، وأن أضيف بهذا العمل قطرة في بحار الأدب العربى ، يثرى العقلية العربية ، وينهض بخدمة لغة القرآن الكريم ، إنه سميع مجيب .

**" ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم "**

**الدكتور**

**رفعت زكى محمود**

## ثبت المراجع

- القرآن الكريم .
- لأدب العربي فى العصرين العباسى الثانى والأندلسى . د/ محمد  
سماعيل شاهين . م . منيرفا . ١٩٨٣
- عجاز القرآن . الباقلانى . دار المعارف
- علام النساء فى عايطى العرب والإسلام . عمر رضا كحالة .  
مؤسسة الرسالة بيروت . ١٩٨٢ ط٤
- الأغانى . أبو الفرج الأصبهاني . الهيئة المصرية العامة للكتاب  
مصر
- الأمالى . ابو على القالى . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥
- أمالى ابن دريد . ابن دريد
- الإمامة والسياسة . أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينورى . مؤسسة  
الحلبى القاهرة . د٠ ت
- أسرار الحماسة . السيد على المرصفى . مطبعة أبى الهول القاهرة  
١٩١٢ .
- البداية والنهاية . ابن كثير . مكتبة المعارف ، بيروت ط٢ .  
١٩٧٧
- ١- البيان والتبيين . عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ . مطبعة  
الخانجى - القاهرة ١٩٧٥
- ١- تاريخ الأدب العربى - العصر الجاهلى . د٠ شوقى ضيف .  
دار المعارف - مصر . د٠ ت
- ١- تاريخ الأدب العربى - العصر الإسلامى . د٠ شوقى ضيف .  
دا . المعارف - مصر ١٩٦٣

- ١٤- تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي الأول . د. شوقي  
ضيف ١٩٦٦ ط ٦
- ١٥- تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي الثاني . د. شوقي  
ضيف . دار المعارف - مصر ط ٣
- ١٦- تاريخ بغداد . الخطيب البغدادي . بيروت
- ١٧- تاريخ الأمم والملوك . أبو جعفر محمد بن جرير الطبري .  
بيروت
- ١٨- الثعالبى ناقد فى يتيمة الدهر . د/ حامد محمد الخطيب . مطبعة  
الأمانة - شبوا / ١٩٨٨
- ١٩- جهرة أشعار العرب . أبو زيد القرشى . ت / البجاوى . م .  
نهضة مصر / ١٩٦٧
- ٢٠- جهرة خطب العرب . أحمد زكى صفوت . م . الحلبي .  
القاهرة . ١٩٦٢ ط ٢
- ٢١- جواهر الأدب . أحمد محمد الهاشمى . دار الكتب العلمية -  
بيروت / ١٩٧٨ ط ٢٩ .
- ٢٢- حلية الأدباء . أبو نعيم الأصبهاني
- ٢٣- حياة الصحابة . محمد يوسف الكاند هلى . دار المعارف  
العثمانية - الهند نشر مكتبة الدعوة الإسلامية .
- ٢٤- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب . ابو بكر أحمد بن على  
بن ثابت البغدادي . السلفية ١٣٤٧ هـ
- ٢٥- دراسات فى الأدب العربى على مر العصور . شاكر محمود  
سعيد . م . الرسالة - الرياض .
- ٢٦- زهر الآداب . الحصرى . ط/ دار إحياء الكتب العربية .

- سفراء النبي (ص) وكتابه ورسائله . د. مختار الوكيل .  
سلسلة كتابك ٩٦ دار المعارف — مصر ١٩٧٨
- السيرة النبوية . ابن هشام . ت. أحمد حجازي . دار التراث  
لعربي / مصر . ١٩٤٧
- السيرة النبوية . ابن هشام . ط. بيروت ٦٠٧هـ
- شرح صحيح البخاري . زروق الفاسي . ت/ عزت على عطية  
مطبعة حسان القاهرة
- الشعر العربي . ضوابطه وموسيقاه . د. محمد أحمد سلامة  
المحمدية — القاهرة . ١٩٩٧
- الشعر والشعراء . ابن قتيبة . ت/ أحمد محمد شاكر . دار  
لمعارف مصر . ١٩٧٧ ط ٣ .
- صحيح البخاري . الإمام البخاري . دار الفتح الإسلامي .  
سكندرية
- الطبقات الكبرى . ابو عبد الله محمد ابن سعد بن منيع الزهري  
دار الكتب المصرية .
- العقد الفريد . أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي / ت. محمد  
معيد العريان . دار الفكر — مصر . ١٩٤٠
- العقد الفريد . أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي / ت. أحمد  
سرى العزباوي . دار الإمام علي . مصر . ١٩٩٢
- العمدة . ابن رشيقي القيرواني . ط حجازي . ١٩٥٤
- عمرو بن العاص . بنسالم العسلي . دار النفائس / بيروت .  
١٩٨٥ ط ٦ .
- عيون الاخبار ابن قتيبة

- ٤٠- فصول من تاريخ الأدب العربي في عهد صدر الإسلام ١٠٠١/د  
مجدد عيد السلام صقر
- ٤١- الكتابة والكتاب في عهد الرسول (ص) ١٠٠٠ د محمد جمعة .  
دار الأرقم - مصر ١٩٩١
- ٤٢- المزهر . الإمام جلال الدين السيوطي
- ٤٣- مع المتنبى ١٠٠٠ طه حسين . دار المعارف ١٩٨٦ ط ١٣
- ٤٤- معجم الأدباء . شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت . دار إحياء التراث - بيروت
- ٤٥- معجم الأدباء . الحموي الرومي البغدادي . ط . عيسى الحلبي  
- مصر ١٩٤٧
- ٤٦- من صحائف الأدب العربي في العصر الإسلامي ١٠٠٠ د السيد محمد ديب ١٩٩٤
- ٤٧- الموشح . المرزبانى . ط . السلفية ١٣٤٣ هـ
- ٤٨- نصوص مختارة من الأدب العباسي ١٠٠١/د حسن أحمد الكبير .  
١٩٩٨
- ٤٩- نصوص مختارة من العصرين الجاهلي والإسلامي ١٠٠١/د محمد عبد السلام صقر ١٩٨٦
- ٥٠- نهاية الأرب في فنون الأدب السفر ١٨ . شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النوير . مطبعة دار الكتب المصرية / ١٩٥٥
- ٥٠- وفيات الأعيان وأبناء الزمان . أبو شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان . دار صادر بيروت / ١٩٧٠

ب-الدوريات

جريدة الأهرام في مقال د / بنت الشاطيء

لمعاجم

١ - تاج اللغة وصحاح العربية • الجوهري • القاهرة •

١٩٨٢

٢ - القاموس المحيط • مجد الدين بن يعقوب الفيروز ابادي •

مؤسسة الرسالة - بيروت / ١٩٨٧

- لسان العرب • أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور • دار  
معارف - مصر

- لسان العرب • أبو الفضل محمد بن منظور • دار صادر -  
بنان

- المصباح المنير • المقرئزي • ط • مصطفى الحلبي - القاهرة

- الوسيط • ( لجنة ) إبراهيم مصطفى وآخرون • المكتبة العلمية  
- طهران

- الوسيط • ( لجنة ) إبراهيم مصطفى وآخرون • دار الدعوة  
تركيا اسطنبول • ١٩٨٦

- الوسيط • ( لجنة ) إبراهيم مصطفى وآخرون • مكتبة الحرمين -  
الرياض •

## فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٢	..... المقدمة
٨٥	<b>الباب الأول :</b> الوفادة والسفارة واشهر الوفادات والسفارات
١٧-٥	..... الفصل الأول: بين الوفادة والسفار
٨٠-١٨	..... الفصل الثاني أشهر الوفادات وأفرادها
٢٥-١٨	١- الوفادة فى الجاهلية.....
٣٤-٢٥	ب- ١ الوفادة فى عصر النبوة.....
٤٣-٣٥	٢- الوفادة بعد فتح مكة.....
٦٧-٦٤	٢- إسلام الجن.....
٨٠-٦٨	ب- السفارة ( رسل النبى ).....
٨١	<b>باب الثاني:</b> نماذج من نصوص الوفادة والسفارة...
٢٤٢-٨١	<b>نصل الأول -</b> نماذج من أدب الوفادة.....
٨٢	..... عصر ما قبل الإسلام
١٢٠	- عصر النبوة.....
١٤٢	- عصر ما بعد النبوة.....
١٤٣	لا- عصر الخلفاء.....
١٥٨	با- عصر بنى أمية.....
١٧٧	دات النساء.....
٢١٨	نادات على عمر بن عبد العزيز.....



٢٣٦	: الوفادة في عصر الدولة العباسية.....
٢٤٣	مل الثاني : نماذج من أدب السفارة.....
٢٦١	به الثالث : التحليل والدراسة.....
٢٦١	مل الأول : حول الوفادة والسفارة.....
٢٨٥	مل الثاني : الدراسة الفنية.....
٣٦٨	مة.....

(( تم بحمد الله تعالى ))

رقم الإيداع بدار الكتب

والوثائق القومية

٩٨ / ٤٧٥٨

الترقيم الدولي

**I.S.B.N.**

**977-280-176-0**